Aghani vol 7.

كتاب
الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السابع

القسم ٢٥ - ٢٨

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السابع

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد السابع
من كتاب الاغاني

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

هو الوليد بن يَزيد بن عبد الملك بن مَروان بن الحكَم بن أبي العاصِي بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، ويُكنى أبا العبّاس. وأمّه أم الحجّاج بنت محمد ابن يوسف بن الحكَم بن أبي عَقيل الثّقفي، وهي بنت أخي الحجّاج. وفيه يقول أبو نُخَيلة[1]:

بين أبي العاصِي وبين الحجّاجْ يا لكُما نُورا سراجٍ وَهّاجْ
عليه بعد عَمّه عُقِد التّاجْ

وأم يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يَزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرب بن أميّة. وأمّها أم كُلثوم بنت عبد الله بن عامر. وأمّ عبد الله بن عامر أم حكيم البَيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد:

---

(١) أبو نخيلة وهو اسمه. وكنيته أبو الجنيد، شاعر يغلب عليه الرجز، عاصر الدولتين الأموية والعباسية.

نَبيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه نبيَّ الهدى يَقهَرْ به من يُفاخِرُ

كان مرمياً بالزندقة :

وكان الوليد بن يزيد من فِتيان بني أُميَّـة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأَشِدّائهم، وكان فاسقاً خليعاً متَّهماً في دينه مرمياً بالزندقة؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل. وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول : إنه نُحِلَه وأُلصِقَ اليـه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيوب القُرَشيّ وجُوَيرِيةَ بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهالِ بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحَيم بن حَفص وغيرهم :

أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوشَ الى يزيد بن المهلَّب وعقَد لمَسلَمةَ ابن عبد الملك على الجيش وبعث العبّاس بن الوليد بن عبد الملك وعقَد له عـلى أهل دِمَشق، قال له العباس : يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غَدرٍ وإرجافٍ، وقد وجهتَنا محاربين والأحداثُ تَحدُثُ، ولا آمَنُ أن يُرجِفَ أهـلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهَد، فيَفُتُّ ذلك في أعضاد أهـل الشام؛ فلو عهِدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد! قال : غداً. وبلغ ذلك مَسلَمةَ بن عبد الملك، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين، أيّما أحبُّ اليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك. قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك؟ قـال : اذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي. قال : فابنُك لم يَبلُغ، فبايِعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام — قال : والوليدُ يومئـذٍ ابن إحدى عشرةَ سنة — قال : غداً أبايعُ له. فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام، وأخـذ العهدَ عليه ألّا يَخلعَ الوليدَ بعده ولا يغيّر عهدَه ولا يحتالَ عليـه. فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه،

فكان ينظر اليه ويقول : اللهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتُوفّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابنَ خمسَ عشرةَ سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدّةً، ثم طمِع في خَلعه وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسلَمة بن هشام، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولّاه الحجَّ ليظهرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ؛ فحجّ وظهر منه فعل كثير مذموم، وتشاغَل بالمغنّين وبالشّراب، وأمر مولًى له فحجّ بالناس . فلما حجّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك؛ فحرمه العطاء وحَرم سائرَ مَواليه وأسبابَه وجفاه جفاء شديداً . فخرج مُتبدِّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه، وكان يُرمى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ الى خلعه والبَيعةِ لَمسلمة بن هشام — وأمُّه أم حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصِي . وكان مَسلمةُ يُكنى أبا شاكر؛ كُنِي بذلك لمولًى كان لمروان يُكنى أبا شاكر، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظّمونه ويتبرّكون به — فأجابه الى خَلع الوليد والبيعة لَمسلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هِشامِ بن إسماعيل المخزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعقاع بن خُوَيلد العَبسيّ وغيرُهم من خاصة هشام . وكتب الى الوليد : ما تدَع شيئاً من المنكر إلّا أتيتَه وارتكبتَه غيرَ مُتحاشٍ ولا مستترٍ، فليت شعري ما دِينُك ؟! أعلى الإسلام أنت أم لا ؟! فكتب اليه الوليد بن يزيد — ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَله إياه — :

صوت

يأيّها السائلُ عن دِيننا نحن على دين أبي شاكرِ
نشرَبُها صِرفاً وممزوجةً بالسُّخنِ أحياناً وبالفاترِ

— غنّاه عمرُ الوادي رَمَلًا بالبنصر — فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال : يعيّرني بك الوليدُ وأنا أرشّحك للخلافة ! فالزَم الأدبَ، واحضُر الصلوات . وولّاه

المَوْسِمَ سنةَ سبعَ عشرةَ ومائة، فأظهر النُسكَ وَقَسم بمكة والمدينــة أموالًا . فقال رجل من موالي أهل المدينة :

يا أيّها السائلُ عن دِيننا نحن على دين أبي شاكِرِ
الواهبِ البُزْلَ[١] بأرسانِها ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

قال المدائنيّ : وبلغ خالداً القَسْرِيَّ ما عزَم عليه هشام، فقــال : أنا بريء من خليفة يُكنى أبا شاكر؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سببَ إيقاعه به .

أخبرني محمد بن الحسن الكِنديُّ المؤدِّب قــال حدّثني أبي عن العبّاس بن هشام قال :

دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْره قبل أن يدخل، فحَمَّقَه من حضَر من بني أميَّة . فلما جلس قال له العباس بن الوليــد وعمر ابن الوليــد : كيف حبُّك يا وليد للروميَّات، فانّ أباك كان بهنّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحبهنّ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهَجين مثلك — وكانت أمّ العباس روميَّة — قال : اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُه[٢] بمثلي؛ فقال له الوليد : اسكتْ يابنَ البَظْراء ! قال : أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شَرابُك ؟ قال : شَرابُك يا أمــير المؤمنين؛ وقام مغضَباً فخرج . فقال هشام : أهذا الذي تزعمون أنه أحمقُ ! ما هو أحمق، ولكني لا أظنّه على الملّة .

عبثه في مجلس هشام :

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال أخبرنا أحمــد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال :

(١) البازل من الإبل : الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة .
(٢) العسب : طرق الفحل، وقيل : هو ماء الفحل فرساً كان او بعيراً . يقال : قطع الله عسبه اي ماءه ونسله .

دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزبير مولى مَروان وليس هشام حاضراً؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف؛ قال : سعيد آبن أمير المؤمنين؛ قال : مرحباً بك . ثم نظر الى أبي الزبير فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير؛ قال : أنِسطاسُ أنت ؟ مرحباً بك . ثم قال لإبراهيم ابن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَن ابراهيم بن هشام ؟ وهو يعرفه؛ قال : ابراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَن إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة . قال : مَن الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ آبنته . قال : يآبن اللَّخْناء ! أتقول هذا ! وائتخذا[1] . وأقبل هشام ؛ فقيل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين، فجلسا وكفَّا . ودخل هشام؛ فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زَحَلَ[2] له قليلاً؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد؟ قال: صالحٌ. قال : ما فعلتْ بَرابِطُك[3]؟ قال : مُعمَلة أو مُستعملة . قال : فما فعل ندماؤك ؟ قال : صالحون، ولعنَهم اللهُ إن كانوا شراً ممن حضَرك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يآبن اللَّخْناء ! جَئُوا عنقَه؛ فلم يفعلوا ودفَعوه رُوَيداً . فقال الوليد :

أنا آبن أبي العاصِي وعثمانُ والدي ... ومروان جَدِّي ذو الفَعال وعامرُ
أنا آبنُ عظيم القريتين[4] وعِزُّها ... ثَقيفٌ وفِهْرٌ والعُصاةُ الأكابرُ
نَبيُّ الهدى خالِي ومن يَكُ خالَه ... نبيُّ الهُدى يَقهَر به من يُفاخرُ .

(١) ائتخذا : تصارعا .

(٢) زحل : تنحى .

(٣) البربط : العود .

(٤) القريتان : مكة والطائف . واختلف في عظيم القريتين، فقيل : الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف . وقال ابن عباس : الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عميرة الثقفي .

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

كان هشام بن عبد الملك يُكثِر تنقُّصَ الوليد بن يزيد؛ فكان مَسلمةُ يعاتب هشاماً ويَكُفُّه؛ فمات مَسلمة؛ فغُمَّ الوليدُ ورثاه فقال :

صوت

أتانا بَريدانِ من واسطٍ يَخُبَّانِ بالكُتُبِ المُعجَمَهْ
أقول وما البعدُ إلا الرَّدَى أمَسلَمَ لا تَبعَدَنْ(١) مَسلَمَه
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد تُضِيء فقد أصبحتْ مُظلِمَه
كتَمنا نَعِيَّك نخشى اليقين فجَلَّى اليقينُ عن الجَمجَمَه(٢)
وكم من يَتيم تلافيتَه بأرض العدوّ وكم أيِّمَه
وكنتَ اذا الحربُ دَرَّتْ دَماً نَصَبتَ لها رايةً مُعلَمَه

غنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

أقول وما البعدُ إلا الرَّدَى

يونسُ خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه ثقيلاً أوّلَ يُنسب الى أبي كامل وعمر الوادي . وذكر حَبَش أن ليونس فيه رملاً بالبنصر .

أخبرني الطُّوسيّ والحَرميّ بن أبي العَلاء قالا حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهير بن مُضَرّس بن مَنظور بن زَبّان بن سَيّار عن أبيه قال :

---

(١) لا تبعدن : لا تهلكن .

(٢) جلى عن الشيء : كشفه وأظهره . والجمجمة : إخفاء الكلام .

رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرطته، إذ طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشوانُ يَجرُّ مِطرَفَ خزٍّ عليه؛ فوقف على هشام فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن عُقبى من بقي لحوقُ من مضى؛ وقد أُقفِر بعد مَسلمةَ الصيدُ لمن يرى، وأختلَّ الثغرُ فوَهى، وعلى أثرِ مَن سَلَف يمضي من خَلف؛ فتزوَّدوا، فإن خيرَ الزاد التقوى. فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدَّ جواباً؛ ووَجِمَ الناسُ فما هَمَس أحدٌ بشيء. قال: فمضى الوليد وهو يقول:

أُهَينِمَةٌ⁽¹⁾ حديثُ القوم أم هُمْ ... سُكوتٌ بعد ما مَتَع⁽²⁾ النهارُ
عزيزٌ كان بينهمُ نبيّاً ... فقولُ القومِ وَحيٌ لا يُحار
كأنّا بعد مَسلَمةَ المُرجّى ... شُروبٌ طوّحتْ بهمُ عُقار
أوْ آلافٌ هِجانٌ في قيودٍ ... تلفّتُ كلّما حنّتْ ظُؤار⁽³⁾
فليتَكَ لم تمُتْ وفَداكَ قومٌ ... تُريح غبيَّهم عنّا الدّيار
سقيمُ الصَّدر أو شَكِسٌ نَكيدٌ ... وآخرُ لا يَزُور ولا يُزار

يَعني بالسّقيم الصدر يزيد بن الوليد، ويعني بالشَّكِس هشاماً، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد.

قال الزبير وحدّثني محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال:

أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهدَ لولده؛ فقال الوليد:

كفرتَ يداً من مُنعِمٍ لو شكرتَها ... جَزاكَ بها الرحمنُ ذو الفضل والمَنِّ
رأيتُكَ تَبني جاهداً في قَطيعتي ... ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدّمتَ ما تبني

---

(١) الهينمة: الكلام الخفيّ لا يفهم.

(٢) متع النهار: بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال، وقيل: متع النهار: طال وامتدّ.

(٣) الظؤار: جمع نادر، مفرده ظئر وهي الناقة العاطفة على غير ولدها المرضعة له.

أراكَ على الباقين تَجني ضَغينـةً فيا وَيحهم إن مُتّ من شرّ ما تَجني
كأنّي بهم يوماً وأكـثرُ قولهم أيا ليتَ أنّا، حين «يا ليت» لا تُغني

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد ابن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

عتَب هشام على الوليد وخاصّته. فخرج الوليد ومعه قوم من خاصّته ومَواليه فنزل بالأبرَق بين أرض بُلْقَين وفَزارة على ماء يقال له الأغدَف، وخلّف بالرصافة كاتبه عِياضَ بن مُسلِم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدُثُ، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى. فشربوا يوماً؛ فقال له الوليد: يا أبا وَهب، قـل أبياتاً نُغنّي فيها؛ فقال أبياتاً، وأمرَ عمرَ الوادي فغنّى فيها وهي:

صوت

أَلَمْ تَرَ للنّجم إذ سَبَّعـا[1] يُبادِر في بُرجـه المرجِعا
تحيّر عن قَصـد مَجراتِه الى الغَورِ والتمس المَطلَعـا
فقلتُ وأعجبني شأنُـه وقد لاح إذ لاح لي مُطمِعا
لعـلّ الوليدَ دنا مُلكُه فأمسى اليه قـد استجمَعا
وكنّا نؤمّـل في مُلكه كتأميل ذي الجَدب أن يُمرِعا
عَقدْنا له مُحكماتِ الأمو ر طَوعاً وكان لهـا مَوضِعا

فرُوِي هذا الشعرُ، وبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه وعلى أصحابه وحَرَمهم؛ وكتب الى الوليد: قد بلغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدّثاً ونديماً؛ وقد حقّق ذلك ما بلغني عنك، ولن أبرّئكَ من سوء؛ فأخرِج عبدَ الصمد مذموماً. قال: فأخرجه الوليدُ وقال:

لقد قذَفوا أبا وَهبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ

---

(١) سبعا: أقام سبع ليال.

وأشهَد أنهم كذَبوا عليــه شهادةَ عــالمٍ بهم خبيرِ

فكتب الوليد الى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، وأعتذر اليه من منادمته، وسأله أن يأذَن لاَبن سُهَيل في الخروج اليه — وكان من خاصّة الوليد — فضرب هشامٌ أبنَ سهيل ونفاه وسيّره — وكان أبنُ سُهَيلٍ من أهل النَّباهةِ، وقد وَلِي الولاياتِ، ولِي دِمَشقَ مراراً وولي غيرَها — وأخذ عِياضَ بن مُسلِم كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرّحاً وألبسه المُسوحَ وقيَّده وحبسه، فغمّ ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس! ومن يصنع المعروف! هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولّاه وهو يصنع بي ما ترَوْن، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هوًى إلّا أضرّ به؛ كتب إليّ بأن أخرجَ عبدَ الصمد فأخرجتُه، وكتبتُ اليه في أن يأذن لاَبن سُهيل في الخروج إليّ فضربه وطرَده وقد علم رأيي فيه؛ وعرَف مكان عِياض منّي وأنقطاعَه إليّ فضرَبه وحبسه، يُضارُّني بذلك؛ اللهمّ أجِرني منــه. ثم قال الوليد:

صوت

أنا النّذيرُ لمُسدي نعمــةٍ أبداً إلى المَقاريفِ[١] لمّا يَخبُرِ الدّخَلا
إن أنتَ أكرمتَهم ألفيتَهم بَطروا وإن أهنتَهمُ ألفيتَهمْ ذُلُــلا
أتشمَخون ومنّا رأسُ نعمتــكم ستعلَمون إذا أبصرتُمُ الدُّوَلا
انظُر فإن أنتَ لم تقدِر على مَثَل لهم سِوَى الكلبِ فأضرِبْه لهم مَثَلا
بَينا يسمِّنُه للصيــد صاحبُه حتى إذا ما أستوى من بعد ما هُزِلا
عدا عليــه فلم تَضرُرْه عَدْوتُه ولو أطاق له أكــلًا لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ.

---

(١) المقاريف: الأنذال، والمقرف أيضاً: الذي أمه عربية وابوه غير عربي.

فخره على هشام :

قال : وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام :

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قد عِلمتْ عُليا مَعَدٍّ مَدَى كَرّي وإقدامي
إني لَفِي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا مُقابَلٌ(١) بين أخوالي وأعمامي
بَنى لِيَ المجدَ بانٍ لم يكن وَكِلًا على منارٍ مُضِيئاتٍ وأعلام
حلّتْ من جوهر الأعياص(٢) قد عِلموا في باذخ مشمخر العزّ قَمْقام(٣)
صَعْبِ المرام يُسامي النَّجم مطلعُه يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثني مصعب الزبيريّ قال :

بعث الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله :

أنا الوليد أبو العباس قد عِلمت عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما عِلمتْ له مَعَدٌّ كرّاً ولا إقداماً ، إلا أنه شرب مرّة مع

---

(١) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه . قال الشاعر :

إن كنت في بكر تمت خؤولة فأنا المقابل في ذوي الاعمام

(٢) الاعياص من قريش : اولاد أمية بن عبد شمس الاكبر .

(٣) القمقام هنا : العدد الكثير . قال الشاعر :

من نوفل في الحسب القمقام

عمه بَكّار بن عبد الملك فعَرْبَد عليه وعلى جواريه ؛ فإن كان يَعني ذلك بَكرَه وإقدامه فعسى .

حقده على هشام :

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو ابن أبي سعد قال حُدِّثت أن أبا الزناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهريّ وهما يعيبان الوليدَ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم ألبَثْ أن استُؤذن للوليد فأُذِن له ، فدخل وهو مُغضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشام وولي الوليدُ كتب الى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه؛ فقال : أتذكر قولَ الأحول والزهريّ ؟ قلتُ : نعم ، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك ؛ قال : صدقتَ ؛ أتدري من أبلغني ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ، وأيم الله لو بقي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه . ثم قال : ذهب هشام بعمري ؛ فقلت : بل يُبقيك اللهُ يا أمير المؤمنين، وقام وصلّى العصر . ثم جلس يتحدّث الى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلى العَتَمةَ، ثم تحدّثنا قليلاً ثم قال : أسقِيَنّي فأتينه بإناء مغطًّى ، وجاء جَوار فقُمْنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن ؛ ومكث قليلاً ثم قال : أسقينني ففعلن مثلَ ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طلعَ الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمي مصعب عن أبي الزّناد قال :

أجمع الزُّهريُّ على أن يدخل الى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فمات الزهريّ قبل ذلك .

قال المدائنيّ: وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشراب؛ فلعنهم وقال: إنهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمرَ الوادي أن يُغنّي فيه - وهو من جيّد شعره ومُختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غيرَ مجنّس - :

صوت

ولقد قضيتُ - وإن تجلّل لِمّتي شيبٌ - على رغم العِدا لذّاتي
من كاعباتٍ كالدُّمى ومَناصفٍ ومراكب للصيد والنَّشَواتِ
في فِتيةٍ تأبى الهوانَ وجوهُهم شُمِّ الأنوف جَحاجح سادات
إن يَطلبوا بِتِراتِهم يُعطَوْا بها أو يُطلَبوا لا يُدرَكوا بتِرات

حدّثني المِنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد الى هشام: «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطع ما قطع عنّي ومَحْو من محا من أصحابي، وأنه حرَمني وأهلي. ولم أكن أخاف أن يبتلي اللهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثله منه، ولم يبلغ أستصحابي لابن سُهيل ومسئلتي في أمره أن يجري عليّ ما جرى. وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحسب العَيْر أن يقرُب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صَرْفه عن مواقعه المحتومة له. فقدَرُ الله يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا، لا تعجيلَ لآجله ولا تأخير لعاجله؛ والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه. وأميرُ المؤمنين أحقّ بالنظر في ذلك والحفظِ له. والله يوفّق أميرَ المؤمنين لطاعته، ويُحسن القضاء له في الأمور بقدرته. وكتب اليه الوليد في آخر كتابه:

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ حِياضك يوماً صادراً بالنّوافلِ

فأرْجِعَ محمودَ الرَّجاء مصرَّداً   بتحلِئةٍ عن وِرْدِ تلك المناهلِ
فأصبحتُ مما كنت آمُلُ منكمُ   وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمل
كمُقْتَبِضٍ يوماً على عُرض هَبوةٍ[1]   يَشُدُّ عليها كفَّه بالأنامل

فكتب اليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قطع ما قطع وغير ذلك. وأميرُ المؤمنين يستغفر اللهَ من إجرائه ما كان يُجري عليك، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ المأثم في الذي أحدث مِن قطع ما قطع ومحو مَن محا من صِحابتك، لأمرين: أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرف اليها ما يُجريه عليك. وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تجول بهم في سَفَهك. وأميرُ المؤمنين يرجو أن يكفِّر اللهُ عنه ما سلف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطعَه عنك. وأما ابنُ سُهيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً. وهل زاد ابنُ سُهيل، لله أبوك، على أن كان زَفّاناً[2] مغنّياً قد بلغ في السَّفَه غايته! وليس مع ذلك ابنُ سهيل بشرّ ممن كنتَ تستصحبه في الأمور التي ينزّه أميرُ المؤمنين نفسه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرتَ مما سبّبه الله لك، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضُرّاً ولا نفعاً، وإن الله وَلِيّ ذلك منه وإنه لا بدّ له من مفارقته، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولّي أمرَهم غيرَ من يرتضيه لهم منهم. وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرّضا به لهم؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازيَه شكره إلا بعون منه. ولئن كان قد قدّر الله لأمير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ، فإن في الذي هو مُفضٍ وصائرٌ اليه من كرامة

(١) الهبوة: الغبرة.

(٢) الزفن: الرقص.

الله لخلقاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُستنكرٍ من سَفَهك وحُمقك، فأبقِ على نفسك وقصِر من غُلوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك؛ فإنّ لله سَطوات وغِيَراً يصيب بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيقَ لأحبِّ الأمور اليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب :

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادكَ الهوى إلى بعض ما فيه عليـك مقالُ

والسلام » .

بشارته بالخلافة :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن المدائنيّ عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء عن المِنهال ابن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلهم عن أبي الزُّبير المنذِر بن عمرو — قال : وكان كاتباً للوليد بن يزيد — قال :

أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه ؛ فقال لي : يا أبا الزبير ، ما أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة ، عَرَضتني أمورٌ وحدّثتُ نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أُولع بي، فاركبْ بنا نتنفَّس . فركب وسرتُ معه ، فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر الى رَهج قد أقبل — قال عمر بن شبَّة في حديثه — وسمع قَعْقعة البريد ، فتعوّذ بالله من شرّ هشام، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وَحِيٍّ[1] أو بمُلك عاجل . فقلت : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك ، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلانِ ، أحدُهما مولًى لآل أبي سفيان بن حَرْب ؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعدُوان حتى دَنَوَا فسلّما عليه بالخلافة فوَجم ، وجعلا يكرران عليه التسليمَ بالخلافة ؛ فقال : وَيحكم ! ما الخبرُ ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ؛ قال : فرحباً بكما ! ما معكما ؟ قالا : كتاب

(١) الوحيّ : السريع .

مولاك سالم بن عبد الرحمن؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عِياض بن مُسلِم كاتِبه الذي كان هشام ضربه وحبسه، فقالا : يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلمّا صار الى حالٍ لا تُرجى الحياةُ لمثله معهـا، أرسل عياضْ الى الخُزّان : احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنّ أحد الى شيء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمُنِعَه، فقال : أرانا كنّا خُزّاناً للوليد؛ وقضى من ساعته . فخرج عياضْ من السجن ساعـةَ قضى هشامْ، فختم الابواب والخزائن؛ وأمر بهشام فأُنزِل عن فراشه ومنعهم أن يكفِّنوه من الخزائن، فكفّنه غالبْ مولى هشام، ولم يجـدوا قُمقُماً[1] حتى استعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك؛ فقال الوليد : ما أراه إلّا قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُروة بن الزبير وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قـبر أبيك مَعاذاً للظالمين، فخُذْه بردِّ ما في يده من مال الله؛ فقال : صدقتَ، وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر، وكتب اليه أن يَبسُط عليهما العذابَ حتى يَتلَفا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعـد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منه المظالمَ .

وقال عمر بن شَبَّة في خبره : إنه لمّاً نعي له هشام قال : والله لأُتلقّينّ هـذه النعمةَ بسَكرة قبل الظهر؛ ثم أنشأ يقول :

طاب يومي ولذّ شربُ السُّلافه إذ أتاني نَعِيُّ من بالرُّصافَه
وأتانا البريـدُ ينعى هشاماً وأتانا بخـاتمَ للخلافـه
فاصطبحنا من خمر عانَةَ[2] صِرفاً ولَهوْنا بقَينـةٍ عَزّافـه

ثم حلَف ألّا يبرح موضعَه حتى يُغنّى في هذا الشعر ويشربَ عليـه؛ فغُنّي له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة .

---

(١) القمقم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء .

(٢) عانة : بلدة على الفرات تنسب اليها الخمر العانية . قال زهير :

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت من خمر عانة لما يعـد ان عتقا

قال : وسَمِع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له : هذا من دار هشام يبكيه بناتُه؛ فقال :

إني سمعتُ بليــلِ   وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ
اذا بنــاتُ هشامٍ   يندُبْنَ والِدهُنَّــه
يندُبْنَ قَرْماً جليلاً   قد كان يَعضُدُهُنَّه
أنا المخنَّث حقّاً   إن لم أَنِيكَنْهُنَّهْ

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث : وشرِب الوليد يوماً؛ فلما طابت نفسُه تذكَّر هشاماً، فقال لعمر الوادي غنِّني :

إنّي سمعت بليــل   وَرَا المصلَّى برَنّــهْ

فغنَّاه فيه، فشرب عليه ثلاثةَ أرطال، ثم قال : والله لئن سمعه منك أحــد أبداً لأقتلنَّك . قال : فما سُمع منه بعدها ولا عُرف .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي ولَذَّ شُرْبُ السُّلافه   إذ أتانا نَعِيُّ من في الرُّصافهْ

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر .

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني أبو غسّان قال قال حَكَم الوادي :

كنّا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خَصِيٌّ فشقّ جيبَه وعزّاه عن

عمه هشام وهنأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتم وطومار[١]؛ فأمسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة؛ فقال: غنوني، غنياني: قد طاب شربُ السلافه ... البيتين؛ فلم نزل نغنيه بها الليلَ كله.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُل؛ قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال أتروي من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عمومتي وفي يده قَضيب ولي جُمّة[٢] فينانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتْك سُكَر (وهي أمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال: فسمعته يومئذٍ يُنشد:

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكياله الأوفرَ قد أُترِعا
كِلْنا له الصاعَ التي كالَها ... فما ظلمناه بها أَصوُعا
لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة ... أحلّه القرآن لي أجمعا

قال: فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت.

كان شاعراً مجيداً:

وللوليد أشعار جيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها — وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه — قوله في صفة الخمر — أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهْم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال

(١) الطومار: الصحيفة.

(٢) الجمة: مجتمع شعر الرأس وهي اكثر من الوفرة، وهي ايضاً مـا تدلى من شعر الرأس على المنكبين.

أنشدني أبو غسّان محمد بن يحيي وغيره للوليد . قال : وكان أبو غسّان يكاد يرقص اذا أنشدها — :

إصدَعْ نجيَّ الهموم بالطربِ وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبِلِ العيشَ في غضارته لا تقفُ منه آثارَ معتقِبِ
من قهوة زانها تقادُمها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى الى الشَّرْب يوم جَلوتها من الفتاة الكريمة النَّسب
فقد تجلّت ورَقّ جوهرها حتى تبدّت في منظر عجَب
فهي بغير المزاج من شَرَر وهي لدى المزج سائلُ الذهب
كأنها في زجاجها قَبَسٌ تذكو ضياء في عين مرتقِب
في فتيةٍ من أميّة أهلِ المجد والمأثُرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا فيهم مثلي ولا مُنتمٍ لمثل أبي

قال المدائنيّ في خبره : وقال الوليد حين أتاه نَعْي هشام :

طال ليلي فبتُّ أسقى المداما إذ أتاني البريد ينعى هشاما
وأتاني بحُلّة وقضيب وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلتُ الوليَّ من بعد فقدي يفضُل الناسَ ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قَرْم قريشٍ خيرُ قَرْمٍ وخيرُهم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيي عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي :

كنت يوماً أغنّي الوليدَ إذ ذكَر هشاماً؛ فقال لي : غنّني بهذه الأبيات؛ قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول :

صوت

هلَك الأحول المَشو مُ فقد أرسل المطرْ

ثُمّتَ اُستُخلِف الوليد فقد أورق الشجرْ

اقتباس الشعراء منه :

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلخوا معانيها، وأبو نواس خاصّة فإنه سلخ معانيه كلّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه . ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها هاهنا، على أنها تنبئ عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال أنشدني أبو غسّان وغيرُه للوليد — وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها — :

إصدَع نجيَّ الهموم بالطربِ وأنعَمْ على الدهر بأبنة العنبِ

الأبيات التي مضت متقدّماً . وهذا من بديع الكلام ونادره؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ الى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما .

ومن جيّد معانيه قوله :

رأيتُك تَبني جاهداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدّمتَ ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزَعُ
وكانوا اذا همّوا بإحدى هَناتِهم حسَرتُ لهم رأسي فلا أتقنّعُ

ومن نادر شعره قوله لهشام :

فإن تــك قد مَلِلتَ القربَ مني — فسوف تَرى مُجانبتي وبعــدي
وسوف تلوم نفسَكَ إن بقِينــا — وتبلو الناسَ والأحوال بعــدي
فتندَم في الذي فرّطتَ فيــه — اذا قايستَ في ذمّي وحمــدي

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا ابن مَهرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدّثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قــال حدّثني الهيثم بن عِمْران قال سمعتُه يقول :

لما بويع الوليد سمعتُه على المنبر يقول بدمشق :

ضَمِنتُ لكم إن لم تَرُعْني منيّتي — بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِعُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قــال حدّثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب الى أهل المدينة والشعر له :

مُحَرَّمُكم ديوانُكم وعطــاؤكم — به يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ
ضَمِنتَ لكم إن لم تصابوا بمهجتي — بأنّ سمــاء الضرّ عنكم ستُقلِعُ

وأول هذه الأبيات :

ألا أيّها الركب المُخِبّون أبلِغوا — سلاميَ سُكّان البــلاد فأسمِعوا
وقولوا أتاكم أشبــهُ الناس سنّةً — بوالده فاستبشِروا وتوقّعــوا
سيُورِثك إلحــاقٌ بكم وزيادة — وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشفَع

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لمّا خرج عليه زيد بن عليّ رضي الله عنه منع أهلَ مكة وأهلَ المدينة أعطِياتِهم سنةً . فقال حمزة بن بَيض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال :

وصلتَ سماء الضرّ بالضرّ بعد ما — زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِعُ

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنّا كما كنا نُرَجّي ونطمعُ

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال روى جرير بن حازم عن الفضل ابن سُويد قال :

بعث الوليد بن يزيد الى جماعة من أهله لمّا ولي الخلافة فقال : أتدرون لمَ دعوتكم؟ قالوا لا؛ قال : ليَقُل قائلُكم؛ فقال رجل منهم : أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدّد الله من نعمته وإحسانه؛ فقال : نعم، ولكني :

أُشهد اللهَ والملائكةَ الأبـــرار والعابدين أهلَ الصلاحِ
أنني أشتهي السَّماع وشربَ الـــكأس والعض للخدود الملاح
والنديمَ الكريم والخادمَ الفا رِهَ يسعى عليّ بالأقداح

قوموا اذا شئتم .

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال :

عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد، فقال لها : أيّ شيء تُحسنين؟ فقالت : أنا مغنّية؛ فقال لها : غنّيني، فغنّت :

صوت

لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم لكان في إظهاره مَخرَجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أجلْ ومن حَجّت له مَذحِج
لكن سباني منكمُ شادنٌ مُرَبّبٌ ذو غُنّة أدعج
أغرُّ ممكورٌ[١] هَضيمُ الحشى قد ضاق عنه الحِجْل والدُّملج

(١) المرأة الممكورة : المستديرة الساقين، او هي المدمجة الخلق الشديدة البضعة .

– الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن سُريج خفيفُ رمل بالبنصر. وفيه لدَحمان هَزَج بالوسطى؛ وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكيّ – فطرب طرباً شديداً وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: وممن أخذتيه؟ قالت: من حُنَين. قال: وأين لقيته؟ قالت: رُبيتُ بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيُطارحني. فدعا صاحبَه فقال: اذهب فابتعها بما بلغت ولا تُراجعني في ثمنها ففعل؛ ولم تزل عنده حظيّة.

شربه الخمر بجرن:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا العبّاس بن الوليد قال حدّثنا ضَمرة قال:

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً الى بعض الدّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة؛ فسأل صاحبَ الدّير: هل نزل بك أحدٌ من بني أميّة؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأيّ شيء صنعا؟ قال: شربا في ذلك الموضع، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: هلمّ نشرب بهذا الجرن[1] – وأومأ الى جرنٍ عظيم من رخام – قال: أفعلُ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثَمِلا. فقال عبد الوهاب لمولى له أسود: هاته. قال ضمرة: وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدّة، فذهب يحرّكه فلم يقدر. فقال الراهب: والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكلٌّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث.

---

(١) الجرن: حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال :

وفَد سعد بن مُرّة بن جُبَير مولى آل كثير بن الصَّلت ، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزّه له، فصاح به : يا أميرَ المؤمنين ، وافدُك وزائرك ومؤمِّلك ؛ فتبادر الحرس اليه ليصدّوه عنه، فقال : دعوه، ادنُ إليَّ فدنا اليه ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منّي أربعة أبياتٍ ؛ قال : هاتِ

صوت

شِمْنَ المَخايلَ نحوَ أرضِك بالحيا   ولَقِينَ ركباناً بعُرفِك قُفَّلا

قال : ثم مَهْ ؛ قال .

فعمَدن نحوَك لم يُنَخْن لحاجة   إلّا وقوعَ الطيرِ حتى تَرحلا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدن نحو مُوطِئٍ حجراتِه   كرَماً ولم تعدِل بذلك مَعدِلا

قال : فقد وصلتَ اليه ، فمه ؛ قال :

لاحتْ لها نيرانُ حَيَّيْ قَسطلٍ[١]   فأخترن نارَك في المنازل منزلا

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أنجحتْ وِفادتُك ، ووجبت ضيافتك ؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

(١) قسطل : موضع قرب البلقاء من ارض دمشق في طريق المدينة .

رجعت الرواية الى حديث المدائنيّ قال:

مسلمة بن هشام وزوجته:

لمّا قدِم العبّاس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هِشام وولده سوى مَسلمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألّا يَعرِضَ له ولا يدخل منزله. وكانت عند مسلمة أمُّ سَلمة بنت يعقوب المخزوميّة، وكان مَسلمة يشرب. فلمّا قدم العبّاس لإحصاء ما كتب اليه الوليد، كتبتْ اليه أم سَلمة: ما يُفيق من الشراب ولا يهتمّ بشيء مما فيه إخوتُه ولا بموت أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام الى العبّاس قال: يا مسلمة، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك، وأنّبه وعاتبه على الشراب؛ فأنكر مسلمة ذلك وقال: من أخبرك بهذا؟ قال: كتبتْ إليّ به أمّ سَلْمة؛ فطلّقها في ذلك المجلس؛ فخرجت الى فِلَسطين، وبها كانت تنزل، وتزوّجها أبو العبّاس السفّاح هناك.

وسَلمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وأمها أمُّ عمرو وبنت مروان بن الحكم، وأمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ.

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلّام وعن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء:

أن يزيد بن عبد الملك كان خرج الى قُرَين[1] مُتَبدِّياً به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان؛ وكانت بنته أمّ عبد الملك، وأسمها سَعدة، تحت الوليد بن يزيد. فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت، وجاءه الوليد عائداً، فدخل

(١) قرين: موضع باليمامة يسمى قرين نجدة، قتل عنده نجدة الحروريّ.

فلمح سلمى بنت سعيد أختَ زوجته وسترها حواضنها وأختها فقامت ففرّعتهن[1] طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلّق أمّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى الى أبيها . وكانت لها أخت يقال لها أمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثتْ الى أبيها – وقيل : بعث اليه هشام – : أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكح هذه ! فلم يزوّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ . وهويها الوليد ورام السلوَ عنها فلم يَسلُ ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ! خطبتُ اليه فردّني، ولو قد مات هشام ووليتُ لزوّجني ! وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنه لما طلّق سَعدة ندم على ذلك وغمّه . وكان لها من قلبه محلّ ولم تحصُل له سَلمى ؛ فاهتمّ لذلك وجزع . وأرسل سَعدة ، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك .

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدّثنا المدائنيّ قال :

بعث الوليد بن يزيد الى أشعب بعد ما طلّق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغَ رسالتي سَعدةَ ؛ فقال : أحضِر العشرةَ الآلاف الدرهم حتى أنظر اليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعبُ على عنقه وقال : هات رسالتك؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين :

أسَعدةُ هل اليكِ لنا سبيلٌ وهل حتى القيامةِ من تَلاقي
بَلى ولعلّ دهراً أن يُواتي بموت من حَليلك أو طلاق
فأصبِحَ شامتاً وتَقرّ عيني ويُجمعَ شملُنا بعد افتراق

فأتى أشعبُ الباب فأخبرتْ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففرشت وجلست وأذِنت له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسقَ ! فقال : يا سيّدتي

(١) فرعتهن : علتهن .

إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني؛ قال: وما تَهَبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي؛ قال: قومي عنه؛ فقامت فطواه وجعله الى جانبه، ثم قال: هات رسالتك جُعِلتُ فِداك؛ قالت: قل له:

أتبكي على لُبنى وأنت تركتها   فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال: هِيه، فأنشده البيت؛ فقال: أوّهْ قتلتني يابن الزانية! ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يابن الزانية، إما أن أُدَلِّيَك على رأسك منكَّساً في بئر أو أرمي بك منكّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً، هذا الذي أنا صانع، فاخترْ أنت الآن ما أنت صانع؛ فقال: ما كنتَ لتفعلَ شيئاً من ذلك؛ قال: ولِمَ يابن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذّب عينين نظرتا الى سَعدة. قال: أوّه! أفلتَّ والله بهذا يابن الزانية! اخرج عنّي. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أنشِدْه:

أتبكي على لُبنى وأنت تركتها   وأنت عليها بالمَلَا[1] كنتَ أقدرُ

وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبتُه:

صوت

أرى بيت لُبْنَى أصبح اليوم يُهجرُ   وهجرانُ لبنى يا لكَ الخيرُ مُنكَرُ
فإن تكن الدنيا بلُبْنَى تغيّرت   فالدّهر والدنيـا بطونٌ وأظهُر
أتبكي على لُبنَى وأنت تركتَهـا   وأنت عليها بالحَرَا[2] كنت أقدر

عروضُه من الطويل. والشعر لقيس بن ذَريح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ. وفيهما لعَريب رملٌ بالبنصر.

---

(١) الملا: موضع بعينه.

(٢) الحرا: جناب الرجل وما حوله، يقال: نزل بحراه وعراه اذا نزل بساحته.

وفيه لشاريةَ خفيفُ رمــل بالوسطى عن الهشاميّ . وفي الأوّل خفيفُ ثقيل مجهول .

قال ابن سَلَّام والمدائنيّ في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى[١] لعلّه يراها ؛ فلقيه زيّات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكّراً حتى دخل قصرَ سعيد، فنادى . من يشتري الزيت؛ فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن الى سَلمى وقُلنَ : إن بالباب زيّاتاً أشبهَ النــاس بالوليد ، فاخرجي فانظري اليه ؛ فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآني ! فقلن له : لا حاجةَ بنا الى زيتك ؛ فانصرف وقال :

إنني أبصرتُ شيخاً حسنَ الوجــه مليحْ
ولبــاسي ثوب شيخ من عبــاء ومُسوح
وأبيــعُ الزيت بيعاً خاسراً غــيرَ رَبيح

وقال أيضاً :

فما مِسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقــاحِ
بأشهى من مُجاجة ريق سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراح
ولا والله لا أنسى حياتي وَثاقَ الباب دوني واطّراحي

قال : فلما ولي الخلافةَ أشخص الى المغنّين فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما. فقال لابن عائشة : يا محمد، إن غنّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مــائة ألف درهم ؛ فغنّاه قولَه :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغنّاه :

(١) فرتنى : قصر بمرو الروذ .

فما مسكٌ يعلّ بزنجبيل

الأبيات ؛ فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

فما مسكٌ يُعَلّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراح

غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحمّاد بن إسحاق .

قال المدائنيّ وابن سَلّام : فلما طال بالوليد ما به كتب الى أبيها سعيد :

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيب الرشدَ في صلتي هُديتا
فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيْتةً ومَيْتا

قالوا : فلم يُجبه الى ذلك حتى ولي الخلافةَ ، فلما وليها زوّجه إياها ؛ فلم يلبث إلّا مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلة زُفّت اليه :

خفّ من دار جيرتي يابن داود أُنْسُها

وهي طويلة . فيها مما يغنّى به :

أوَ لا تخرج العرو سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يُقضَ لُبْسها
برزت كالهلال في ليلةٍ غاب نحسها
بين خمس كواعبٍ أكرمُ الخمس جنسها

غناء ابنِ سُرَيج، فيما ذكره حَبَش، رملٌ بالبنصر، أوّله:

خَفَّ من دار جيرتي

وغناء معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ، أوّله:

ومتى تخرج العرو س

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ. وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأُخر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب الى حكم والى أبي كامل والى عمر.

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال: رأيت حكما الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفّاً له فنقر فيه وقال: أنا، أطال الله بقاءك، القائل:

ومتى تخرج العرو س فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يُقضَ لُبسُها

قال: فتسرّع اليه الحرس، فصِيحَ بهم، وإذا هو حكم الوادي؛ فأدخل اليه المَضرِبُ فوصله وانصرف.

نسبة أولا تخرج العروس — قال: الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي. وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق؛ وذكر حكم الواديّ أن الهزج له؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكم خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيي: إن هذا اللحن لعمر الواديّ. وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدّلال خفيفَ ثقيل أول بالبنصر.

رثاؤه لسلمى:

وقال المدائنيّ: مكثتْ عنده سلمى أربعين يوماً ثم ماتت؛ فقال:

أَلَمَّا تعلَما سَلمى أقامت مُضَمَّنةً من الصحراء لحدَا
لعمركَ يا وليدُ لقد أَجنّوا بها حَسَباً ومَكرُمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصُر عن مداه شعاعُ الشمس أهلٌ أن يُفدَّى
فلم أرَ ميِّتاً أبكَى لعينٍ وأكثر جازعاً وأجلَّ فقدا
وأجدَر أن تكون لديه مِلكاً يُريك جَلادةً ويُسِرّ وَجْدا

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها

منها :

صوت

عرفتُ المنزلَ الخالي عفا من بعد أحوالِ
عفاه كلُّ حَنّانٍ عَسُوفِ الوَبْلِ هَطّالِ
لسلمى قرّةِ العين وبنتِ العمّ والخال
بذلتُ اليوم في سلمى خِطاراً[1] أتلفتْ مالي
كأنّ الريق من فيها سَحيقٌ[2] بين جِرْيالِ

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رمَلٌ ذكر الهشاميّ أنه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنسِيتَه :

---

(١) الخطار : جمع خطر (بالتحريك) وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان .

(٢) الجريال : صفوة الخمر . والسحيق : المسك . أي مسك سحيق بين قطع جريال او اجزاء جريال .

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السِّنونُ
أمِيتُ السرّ حفظاً يا سليمى اذا ما السرّ باح به الحَزُون[١]

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل. وفيه لابن سريج، ويقال للغريض، خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي.

ومنها:

صوت

أراني قد تصابيتُ وقد كنت تناهيتُ[٢]
ولو يتركني الحبُّ لقد صمتُ وصلّيت
إذا شئتُ تصبّرت ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا يصبر في الدَّيمومة[٣] الحُوت
سليمى ليس لي صبر وإن رخّصتِ لي جيت
فقبّلتُك ألفين وفدّيت وحيّيت
ألا أحبِبْ بزَوْرِ زا ر من سلمى ببيروتِ[٤]
غزالٌ أدعجُ العين نقيُّ الجيدِ والليتِ[٥]

(١) الحزون: الكثير الحزن.

(٢) في هذا الشعر السناد وهو احد عيوب القافية.

(٣) الديمومة: الصحراء البعيدة.

(٤) ويروى:

ألا يا حبذا شخص حمت لقياه بيروت

(٥) الليت: صفحة العنق.

غنّاه ابنُ جامع في البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى، وغنّاه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرتْ بَذْلُ ولم تجنِّسه. وغنّى حكم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

ومنها:

صوت

عتَبتْ سلمى علينا سَفاهاً — أن سبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قومُ منّي — ليس منها كان قلبي فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبي — لأبي سلمى خلافَ هواها
فثَكِلتُ اليوم سلمى فسلمى — ملأَتْ أرضي معاً وسماها
غير أني لا أظن عدواً — قد أتاها كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبى لدينا وقَلّتْ — أبداً حتى أنال رضاها

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال:

لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو يَمِلُّ؛ فقال له: يا أبا عثمان، أتردُّني على سلمى! وكأني بك لو قد وَليتُ الخلافةَ خطبتَني فلم أُجبْك؛ وإن تزوّجتُها حينئذٍ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت؛ فأمضّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا. وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه؛ فقال:

عتبت سلمى علينا سفاهاً — أن هجوتُ اليوم فيها أباها

وذكر الأبيات . وقال أيضاً في ذلك :

صوت

على الدُّور التي بَلِيتْ سَفاها[1] قِفا يا صاحبيّ فسائِلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوق وأخضل دمعُ عينك مأقِياها[2]
وقالت عند هجوتنا أباها أردتَ الصُّرمَ فأنتَدِه انتِداها[3]
أردتَ بعادَنا بهجاء شيخي وعندك خُلّةٌ تبغي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ فهَبْها خُطّةً بلغت مَداها

— غنّاه مالك بن أبي السَّمح خفيفَ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وللهُذليّ فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ ؛ وذكر حبش : أنّ الثقيل الثاني لإسحاق — يعني بقوله :

أردتَ بعادنا بهجاء شيخي

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال :

ومن يك مفتاحاً لخيرٍ يريده فإنك قُفلٌ يا سعيد بن خالدِ

قال المدائنيّ : لمّا غضِبتْ سلمى من هجائه أباها قال يعتذر اليه بقوله :

ألا أبلِغْ أبا عثما ن عِذرةَ مُعتِبٍ أسفا
فلستُ كمن يودّك بالـ لسان ويُكثر الحَلِفا

(١) السفا : التراب، والسفاة : الكبة منه .

(٢) مأق العين : طرفها مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع من العين . ولعله جاء على لغة من يلزم المثنى الالف في كل احواله .

(٣) انتده انتداها : اي ازدجر ازدجاراً . وندهه ندهاً : زجره ورده وطرده بالصياح .

عتَبتَ عليّ في أشيا ... ء كانت بيننا سَرَفَا
فلا تُشمِتْ بي الأعدا ... ء والجيرانَ ملتهِفا
تودّ لوَ انّني لحمٌ ... رأته الطير فاختُطفا
ولا ترفعْ به رأساً[1] ... عفا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره :

صوت

خبّروني أنّ سلمى ... خرجتْ يوم المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مليح ... فوق غصن يتفلّى
قلتُ من يعرف سلمى ... قال ها ثم تعلّى
قلت يا طير ادنُ منّي ... قال ها ثم تدلّى
قلت هل أبصرتَ سلمى ... قال لا ثم تولّى
فنكا[2] في القلب كَلْماً ... باطناً ثم تعلّى

فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق ، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدَحمان .

ومنها :

صوت

اسقِني يابن سالم قد أنارا ... كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديمَ كأساً عُقارا

---

(١) يريد : لا تذكره ولا تعلنه .

(٢) نكا مسهل نكأ . ونكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت . والكلم : الجرح .

غنّاه ابن قندح ثاني ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

شعر يشف عن ملك :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمي عبيد الله قال حدّثني أبي :

أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتا لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملكٍ ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرئ القيس :

أمِن أجل أعرابيّة حلّ أهلُها   جَنوبَ المَلا(١) عيناكَ تبتدِرانِ

قال : وما هذا مما يدلّ على مُلكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحضَر ، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة ؛ ثم قال : الشعر الذي يدُلّ على أن قائله مَلِكٌ قولُ الوليد :

اسقِني من سُلاف ريق سليمى   وأسق هذا النديمَ كأساً عقارَا

أمَا ترى الى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله :

ليَ المحضُ من ودّهم   ويغمُرهم نائـلي

وهذا قول من يقدِر بالمُلك على طَويّات الرجال ، يبـذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناء وهو قوله :

صوت

سقَيْتُ أبا كامـلِ   من الأصفر البابلي

(١) الملا : موضع .

وسقّيتها معبداً وكلّ فتى بازلِ[1]
لي المحضُ من ودّهم ويغمُرهم نائلي
فما لامني فيهمُ سوى حاسد جاهل

غنّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من مُلَح شعره :

صوت

أراني اللهُ يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تَجزين مَنْ تيّمتِ عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومَنْ لو مُتِّ مات ولا تموتي ولو أنسى[2] له أجلٌ بكاك
ومَنْ حقّاً لوُ اُعطي ما تمنّى من الدنيا العريضة ما عداك
ومَنْ لو قلتِ مُتْ فأطاق موتاً إذاً ذاق المماتَ وما عصاك
أثيبي عاشقاً كلِفاً مُعنّى اذا خدِرت له رِجلٌ دعاك

كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا بأسم أحبّ الناس اليه فسكنتْ . في الخبر أن رِجل عبد الله بن عمر خدِرتْ ؛ فقيل له : ادع بأسم أحبّ الناس اليك ؛ فقال : يا رسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى آله وسلم . ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لِسنان الكاتب، وذكرت دَنانيرُ أنه لحكم ولم تجنّسه .

ومنها :

(١) البازل : الكامل في عقله وتجربته .

(٢) أنسأ الله اجله : أخره .

صوت

وَيحَ سَلمى لو تراني لعَناها ما عَناني
مُتلِفاً في اللهو مالي عاشقاً حُورَ القِيانِ
إنما أحزن قلبي قولُ سلمى إذ أتاني
ولقد كنتُ زماناً خاليَ الذَّرْع لشاني
شاق قلبي وعناني حبُّ سلمى وبراني
ولَكَمْ لام نصيحٌ في سليمى ونهاني

غنَّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيل أول ينسب الى معبد ؛ وهو فيما يذكرُ إسحاق يُشبه غناءه وليس تُعرف صحَّتُه له، وذكر كثير الكبير أنه له ، وذكر الهشاميّ أنه لابن المكيّ . وفيه لحكَم هَزَجٌ صحيح .

ومنها :

صوت

بلِّغا عنّي سليمى وسلاها ليَ عمّا
فعلتْ في شأن صبٍّ دَنِفٍ أشعِرَ همّا
ولقد قلت لسلمى إذ قتلتُ البين علما
أنتِ همّي يا سليمى قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قَسراً منزلا قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ . ولعمر الوادي فيه خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صوت

يا سُلَيْمَى يا سليمى ... كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنةَ عمي ... بَرَدَ الليلُ وطابا
أيّما واشٍ وشى بي ... فاملئي فاهُ ترابا
ريقُها في الصبح مسك ... باشر العذبَ الرُّضابا

غنّاه عمر الوادي هَزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان. وفي كتاب إبراهيم أنه لعطَرَّد.

ومنها:

صوت

أَسلمى تلك حُيّيتِ ... قفي نُخبركِ إن شيتِ
وقيلي ساعةً نشكُ ... اليك الحبَّ أو بيتي
فما صهباءُ لم تُكسَ ... قذًى من خمر بيروت
ثوَتْ في الدَّنِّ أعواماً ... خَتِياً عند حانوت

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

يا مَن لقلب في الهوى مُتشعِّبِ ... بل مَنْ لقلب بالحبيب عميدِ
سَلمى هواه ليس يعرف غيرها ... دون الطَّريف ودون كلِّ تليد
إن القرابة والسعادة ألّفا ... بين الوليد وبين بنت سعيد

يا قلب كم كلِفَ الفؤادُ بغادةٍ ممكورةٍ ريّاَ العظام خَريد

غنّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها :

صوت

قد تمنّى معشرٌ إذ أُطربوا من عُقارٍ وسَوامٍ[1] وذَهَبْ
ثم قالوا لي تمنَّ واستمِعْ كيف ننحو في الأماني والطلبْ
فتمنَّيتُ سليمى إنها بنت عمي من لَهاميم[2] العرب

فيه للهذلي خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل لخالد صامة . وذكر ابن المكي أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها :

صوت

هل الى أمّ سعيدٍ من رسول أو سبيلِ
ناصحٍ يُخبر أني حافظٌ وُدَّ خليل
يَبذُل الودَّ لغيري وأكافي بالجميل
لستُ أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

غنّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى .

ومنها :

(١) السوام : كل ما رعى من المال في الفلوات .

(٢) اللهاميم : جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل .

صوت

طاف من سلمى خيالٌ ... بعد ما نِمتُ فهاجا
قلت عُجْ نحوي أُسائِلْـــك عن الحبِّ فعاجا
يا خليـلي يا نديمي ... قم فأَنفُثْ(١) لي سراجا
بفلاةٍ ليس تُرعَى ... أنبتَتْ شِيحاً وحاجا(٢)

غناه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيـه خفيفُ رمل بالوسطى عن حبش . ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْداذبه .

ومنها :

صوت

أمّ سَلّامٍ أثيبي عـاشقاً ... يعلم اللهُ يقينـا رِبُّهْ
أنّكم من عَيشه في نفسه ... يا سليمى فأعلَميه حَسْبُهْ
فارحميه إنه يَهذي بكم ... هائمٌ صبٌّ قَدَ اَوْدَى قلبُهْ
أنتِ لو كنت له راحمـةً ... لم يُكدَّر يا سليمى شِرْبُهْ

غنّاه حَكَمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن سريج رملاً بالوسطى .

ومنها :

---

(١) النفث : النفخ . ولعله قطعت همزة الوصل فيه للضرورة، إذ لم يرد في معاجم اللغة في مـادّة نفث إلا الثلاثي .

(٢) الحاج : نبت من الحمض .

صوت

ربَّ بيتٍ كأنه متن سهم سوف نأتيه من قُرى بيروتِ
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حُييتِ
أمَّ سلّامَ لا بَرِحت بخير ثم لا زلتِ جنّتي ما حَييتِ
طرباً نحوكم وتَوقاً وشوقاً لاَدّكاريكُمُ وطيبِ المبيتِ
حيثما كنتِ من بلاد وسرتم فوقاك الإله ما قد خَشيتِ

في البيت الاول والثاني لابن عائشة ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ، وذكر غيره أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لاَبن عائشة أيضاً رمل بالوسطى، ولاَبن سريج خفيفُ رمل بالبنصر. وقيل: إن الرّمـل لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه.

ومنها:

صوت

طرَقتني وصحابي هُجُـوعٌ ظبيـةٌ أدماء مثلُ الهلالِ
مثلُ قرن الشمس لما تبدّت واَستقلّت في رؤوس الجبال
تقطع الأهوالَ نحوي وكانت عنـدنا سلمى ألوفَ الحجال
كم أجازت نحوَنا من بـلاد وَحْشةٍ قتّالةٍ للرجـال

لاَبن محرز فيه ثقيل اول مطلَق في مجـرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولاَبن سريج في الاول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لاَبن عائشة ذكر الهشاميّ أنه رمل بالوسطى. وفيه خفيف رملٍ يُنسب الى اَبن سريج وعمر الوادي.

ومنها:

صوت

أنا الوليدُ الإمامُ مفتخِراً أُنعِم بالي وأَتْبَع الغَزَلا
أهوى سُلَيمى وهي تصرِمني وليس حَقًّا جَفاء من وصلا
أسحَب بُرْدي الى منازلها ولا أبالي مقالَ من عذَلا

غنّى فيه أبو كامل رملًا بالبنصر. وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد.

أخبرني الحسين بن يحيي عن حماد عن أبيه قال:

قال الوليد على لسان سلمى:

صوت

إقرَ منّي على الوليد السلاما عددَ النجم قلَّ ذا للوليدِ
حسداً ما حسَدتْ أختي عليه ربُّنا بيننا وبين سعيد

غنّاه الهذليّ خفيفَ ثقيل اولَ بالوسطى عن ابن المكيّ.

* * *

مغاضبته صدوف:

حدّثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثنا خالد بن النَّضر القُرَشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِستانيّ قال حدّثنا العُتبيّ قال:

كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف؛ فغاضَبها، ثم لم يُطِعه قلبه

فجعل يتسبَّب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهــل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبَرَه، فبَرِم به؛ فأنشده :

أَعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ   وعتابُ مثلِك مثلَهــا تشريفُ
لا تَقعُــدَنّ تلوم نفسك دائماً   فيها وأَنت بحبّهــا مشغوف
إن القَطيعــة لا يقوم لمثلهــا   إلا القــويّ، ومن يحبّ ضعيف
الحبّ أملَــكُ بالفتى من نفسه   والذلّ فيــه مَسلَك مألوف

قال : فضحِك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها .

استقدامه حماداً :

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال قال حمّاد الرّاويةُ :

إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فقدِمتُ عليه . فلما دخلتُ داره قال لي الخدم : أميرُ المؤمنــين من خلف الستارة الحمراء، فسلّمت بالخلافة؛ فقال لي : يا حمّاد؛ قلت : لَبَّيْك يا أميرَ المؤمنين؛ قــال : « ثم ثاروا » ؛ فلم أدر ما يَعني فقال : ويحك يا حمّاد! « ثم ثاروا » ؛ فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عمّا يُسأل! ثم أنتبهتُ فقلت :

ثم ثاروا الى الصَّبوح فقــامت   قَينــةٌ في يمينهــا إبريقُ
قدّمتْه على عُقــار كعين الدّيــك صفّى سُلافَهــا الرّاوُوق
ثم فُضّ الختــام عن حاجب الدّنّ وقامت لَدى اليهــوديّ سُوق
فسباهــا منــه أشمُّ عــزيز أريحيٌّ غــذاه عيش رقيــق

— الشعر لعديّ بن زيد . والغناء لُحنَين خفيف ثقيل اول بالبنصر . وفيه لمالــك خفيف رمل . ولعبد الله بن العبّاس الربيعيّ رمل، كل ذلك عن الهشاميّ — قال:

فإذا جارية قد أخرجتْ كفًّا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدري أيّهما أحسن الكفُّ أم القدح؛ فقال: رُدّيه فما أنصفناه! تغدّينا ولم نُغَدِّه! فأُتيتُ بالغداء، وحضر أبو كامل مولاه فغنّاه:

صوت

أَدِرِ الكأسَ يميناً لا تُدرها ليَسارِ
إسقِ هذا ثم هذا صاحبَ العُود النُّضارِ
من كُمَيْت عتَّقوها منذُ دهر في جِرارِ
ختَموها بالأفاويه[١] وكافورٍ وقارِ
فلقد أيقنت أنّي غيرُ مبعوثٍ لنارِ
سأروض الناسَ حتى يركبوا أيرَ[٢] الحمارِ
وذَرُوا من يطلب الجنة يَسعى لِتَبارِ[٣]

— فيه هزجانِ بالوسطى وبالبنصر لعمر الوادي وأبي كامل — فطرب وبرَزَ الينا وعليه غِلالة مورَّدةٌ، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدّةً ثم أذِن بالانصراف، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

حكايات تهتكه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال:

لما وليَ الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء، والشّراب والصيد، وحمَل المغنّين من

(١) الأفاويه: ما يعالج به الطيب وهي ايضاً ما أعدّ للطيب من الرياحين.
(٢) ويروى: «دين الحمار».
(٣) التبار: الهلاك.

المدينة وغيرها اليه وأرسل الى أشعب فجاء به، فألبسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب، وقال له : ارقُص وغنّني شعراً يُعجبني؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه الف درهم .

ودخل اليه يوماً، فلما رآه الوليد كشف عن أيْره وهو مُنعِظٌ — قال أشعب: فرأيتُه كأنه مِزمار آبنُوس مدهون — فقال لي : أرأيتَ مثلَه قطّ ؟ قلت : لا يا سيّدي؛ قال : فاسجُد له، فسجدت ثلاثاً؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدةً لأيرك وثنتين لخُصْيتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعضُ جلسائه والمغنّية تغنّي، فكرِه ذلك وأضجره؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكْهُ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنه واقعها يوماً وهو سكرانُ؛ فلما تنحى عنها آذنه المؤذِّنُ بالصلاة، فحلف ألّا يصلّي بالناس غيرُها؛ فخرجت متلثّمةً فصلّت بالناس .

قال : ونزل على غديرِ ماء فاستحسنه . فلما سكِر حلف ألّا يبرح حتى يشربَ ذلك الغديرَ كلّه ونام، فأمر العلاء بن البُندار بالقِرَب والروايا فأُحضرت ، فجعل ينزَحه ويصبّه على الارض والكُثُبِ التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء؛ فلما أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحِلوا . فارتحل الناس .

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضر بن حديد حدّثني ابن أبي جَناح قال أخبرني عمر بن جَبَلة :

أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيت؛ فقال حين انصرف :

قامت إليّ بتقبيل تعانقني ريّاً العظامِ كأن المسك في فِيها
أُدخُل فديتُك لا يشعُرْ بنا أحد نفسي لنفسك من داء تُفدّيها
بتنا كذلك لا نومٌ على سُرُرٍ من شدّة الوجد تُدنيني وأُدنيها

حتى اذا ما بدا الخيطان[١] قلت لها حان الفراقُ فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحدٌ واللهُ عني بحسن الفعل يجزيها

وحدّثني النَّضر بن حديد قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال :

مرّ الوليد بن يزيد وهو متصيّدٌ بنسوة من بني كلب من بني المنجاب ، فوقف عليهن واستسقاهنّ وحدّثهن وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول :

ولقد مررتُ بنسوة أعشينني حُورِ المدامع من بني المنجابِ
فيهنّ خرعبةٌ[٢] مليح دلّها غرثى الوشاح دقيقة الأنيابِ
زينُ الحواضر ما ثوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب

قال النَّضر وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه :

أن الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالا ، فأتي به فقال : خلُّوه ، فما رأيت أشبهَ منه جيداً وعينين بسلمى . ثم أنشأ يقول :

ولقد صِدْنا غزالا سانحاً قد أردنا ذبحه لما سَنَحْ
فإذا يشبهُك ما نُنكره حين أزجى طرْفَه ثم لمح
فتركناه ولولا حبُّكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنتَ يا ظبيُ طليقٌ آمِن فاغدُ في الغزلانِ مسروراً ورُح

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقيّ قال :

---

(١) الخيطان : يعني بها الخيط الابيض والخيط الأسود من الفجر .

(٢) الخرعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق .

بعث الوليد بن يزيد الى شُراعة[1] بن الزَّنْدَبُوذ؛ فلما قدم عليه قال: يا شُراعة، إني لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن؛ قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمُك بالفتوّة؟ قال: أبنُ بَجدَتها، وعلى الخبير بها سقطتَ، فسَلْ عمّا شئت. قال: فكيف علمك بالأشربة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عمّا أحبّ. قال: ما قولك في الماء؟ قال: هو الحياة، ويَشركني فيه الحمار. قال: فاللبن؟ قال: ما رأيته قطّ إلا ذكرتُ أمي فأستحييتُ. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارّة البارّة وشراب أهل الجنة. قال: لله درّك! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه؟ قال: عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً!

الوليد والمصحف:

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيي بن سُليم قال:

دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف؛ فلما فتحه وافق ورقةً فيها: ﴿وأستفتَحوا وخابَ كلُّ جبّارٍ عنيدٍ. من ورائِهِ جهنّمُ ويُسقى من ماءٍ صديدٍ﴾، فقال: أسجعاً سجعاً! علّقوه؛ ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزّقه؛ ثم قال:

أتوعِد كلّ جبّارٍ عنيدٍ ... فها أنا ذاك جبار عنيدُ
اذا لاقيتَ ربّك يوم حشر ... فقل لله مزّقني الوليدُ

قال: فما لبِث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قُتل.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن ابراهيم قال حدّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيّاش المروزيّ (من أهل ذي[2]

---

(١) كان من المجان الندماء، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد عجرد.

(٢) ذو المروة: قرية بوادي القرى.

المَرْوة) أن أباه حمل عدّةَ جَوارٍ الى الوليد بن يزيد ؛ فدخل اليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشَّعَرة وفيًّا ؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي :

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أوَ اصحاب اللِّوا الصِّيدِ

وأمرها أخوه أن تغنّي :

أتعجَبُ أن طرِبتُ لصوت حادٍ حدا بُزْلًا يَسِرْنَ ببطن وادِ

فغنَّت ما أمرها به الغمر ؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلًا الى أخيه . وعرفت الشرّ في وجهه ، فاندفعتْ فغنَّت :

صوت

أيها العاتبُ الذي خاف هجري وبعادي وما عَمَدْتُ لذاكا
أَتُرَى أنني بغيرك صبٌّ جعل الله من تظنّ فداكا
أنت كنت الملولَ في غير شيء بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولَوَ انّ الذي عتبتَ عليه خيرُ الناسَ واحداً ما عداكا
فأرْضَ عنّي جُعلتُ نعليك إنّي والعظيمِ الجليل أهوى رضاكا

— الشعر لعمر . والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً — قال : فسُرّي عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغنّي ما دعوتك اليه؟ قالت : لم أكن أُحسِنه ، وكنتُ أحسن الصوت الذي سألتنيه ، أخذتُه من ابن عائشة ؛ فلما تبيَّنتُ غضبك غنّيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به اليه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أوَ اصحاب اللِّوا الصِّيدِ [١]
أو من بني نَوفل أو آل مُطَّلِبِ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجلاعِيد [٢]
أو من بني زُهرةَ الأبطالِ قد عُرِفوا لله دَرُّك لم تَهْمُمْ بتهديد

الشعر لحسّان بن ثابت، يقوله لمُسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيم بن مُرّة، وخبرُه يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر، وقيل: إنه لمالك.

ومنها:

صوت

أتعجَب أن طربتُ لصوتِ حادِ حدا بُزْلا يَسِرْنَ ببطن وادِ
فلا تعجَبْ فإنّ الحبّ أمسى لبَثْنة في السواد من الفؤاد

الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق ابن إبراهيم قال:

عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّية؛ فقال لها: غنّي؛ فغنّت:

---

(١) الصيد: جمع أصيد وهو الملك او من هو رافع رأسه كبراً.

(٢) الجلاعيد: الشداد الصلاب، واحدهم جلعد، وزاد الياء للحاجة.

صوت

لولا الذي حُمِّلتُ من حُبِّكم لكان من إظهاره مَخرجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أَجلْ ومن حَجّت له مَذْحِجُ
لكن سباني منهمُ شادنٌ مربَّبٌ بينهمُ أدْعَجُ
أغرُّ ممكورٌ هَضيمُ الحشى قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُج

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المخزوميّ . قال : فمِمَّن أخذتِ الغناء ؟ قالت : من حُنَين . فقال : أعيديه ، فأعادته فأجادت ، فطرب الوليد ونعر[١] وقال : أحسنتِ وأبي وجعتِ كلَّ ما يُحتاج اليه في غنائك ، وأمر بأبتياعها ، وحَظِيتْ عنده .

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ولحنُه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ .

ومما يغنّى به من هذه القصيدة :

صوت

قد صرّح القوم وما جَلجَوا لَجُّوا علينا ليت لم يَلجَجُوا
باتوا وفيهم كالَمها طَفلةٌ قد زانها الخلخال والدُّمْلُج

غنّاه صباح الخيّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر . وغنّى فيه ابن أبي الكنّات خفيف ثقيل بالوسطى .

فأمّا خبر الشعر الذي قاله حسّان بن ثابت لُمسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيم بن

---

(١) نعر : صوّت بخيشومه وهو كناية عن الطرب والاستحسان .

مُرّة، فأخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن :

أنّ عبيد الله بن مَعمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً من سُبي، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم؛ فأمر بهما عمر أن يُلزَما[1]. فمرّ بهما طلحة بن عُبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما لابن مَعمَرٍ يُلازَم؟ فأُخبر خبره؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقضى عنه. فقال ابن معمر لابن عامر : إنها إن قُضيتْ عني بقيتَ مُلازَماً، وإن قضيتْ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي؛ فدفع اليه الأربعين ألف درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلّيت سبيله. فمرّ طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال : ما لابن معمر؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه! فأُخبر بما صنع؛ فقال : أمّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عم لا يُسلِمه، احملوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخُلّي سبيله. فقال حسّان بن ثابت لمُسافع بن عِياض ابن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة :

يا آلَ تيم ألا تَنهَوْن جاهلَكم ... قبل القِذاف بصُمٍّ كالجلاميدِ
فنَهنِهوه[2] فإني غيرُ تارككم ... إن عاد ما اهتزّ ماءٌ في ثرى عود
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أوَ اصحاب اللِّوا الصِّيد
أو من بني نوفل أو آل مُطَّلِبٍ ... أو من بني جُمَحَ الخُضرِ الجلاعيد
أو من بني زُهرةَ الأبطال قد عُرِفوا ... لله درُّك لم تَهمُمْ بتهديد
أو في الذُّؤابة من تَيم إذا انتسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيد
لكن سأصرفها عنكم وأعدِلُها ... لطلحةَ بن عبيد الله ذي الجود

(١) لزم الغريم ولازمه : تعلق به.

(٢) نهنهوه : ازجروه وكفوه.

رجع الخبر الى سياقة أخبار الوليد :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدّثني ابن عيّاش قال :

دخل أبو الأقرع[١] على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشِدني قولك في الخمر ؛ فأنشده قولَه :

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأس وَرْدَةٌ لها في عظام الشاربين دبيبُ
تُريك القَذَى من دونها وهي دونَه لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة! فقال : يا أمير المؤمنين، لئن كان نَعتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها .

تشبيبه بامرأة :

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مَهرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائنيّ :

نظر الوليد بن يزيد الى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً؛ فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول :

صوت

إنما هاج لقلبي شَجوه بعد المَشيبِ

(١) عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب، شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر .

نظرةٌ قد وقرت في الـــقلب من أمّ حبيبِ
فإذا ما ذقتُ فاها ذقت عذباً ذا غُروب[١]
خالط الراح بمسك خالصٍ غيرِ مشوب

غنّاه ابن محرز خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر، وهو الصحيح .

في آخر دولته :

أخبرني عمي قال حدّثني الكُراني عن النّضر بن عمرو عن العُتبي قال :

لمّا ظهرت المُسوِّدَة[٢] بخراسان كتب نصر بن سيّار الى الوليد[٣] يستمدّه ، فتشاغل عنه ؛ فكتب اليه كتاباً وكتب في أسفله يقول :

أرى خَلَلَ الرّماد وَميضَ جمرٍ وأحرِ بأن يكون له ضِرامُ
فإنّ النـار بالعودَين تُذكى وإنّ الحرب مبدؤها الكلام
فقلتُ من التعجّب ليت شعري أأيقاظٌ أميّـةُ أم نِيامُ

فكتب اليه الوليد : قد أقطعتُك خراسانَ ، فاعمل لنفسك أو دَع ، فإني مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حمّاد الراوية قال :

دخلت يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقيتُه فيــه ، فاستنشدني فأنشدُته كل

---

(١) الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الاسنان : مناقع ريقها .
(٢) المسوّدة : المراد بهم دعاة بني العباس .
(٣) المعروف أنه أرسل بهذا الشعر الى مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية .

ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام؛ فما هشّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدتُه لعمّار[1] ذي كناز مجنبذاً[2]:

أشتهي منكِ منكِ منـــك مكانا مُجَنْبَـذا[3]
فأُجا[4] فيـه فيه فيـــه بأير كمثـل ذا
ليت أيري وحِرَكِ يو ماً جميعاً تجـابذا[5]
فأخـذ ذا بشعر ذا وأخـذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى أستلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأُعيدها حتى سكِر وأمر لي بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبر. ثم أُدخلتُ على أبي مُسلِم فأستنشدني فأنشدتُه، قولَ الأفوه:

لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت الى قوله:

تُهدى الأمورُ بأهل الرشد ما صَلَحَتْ وإن تولَّت فبالأشرار تَنقادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذٍ أنّ أمره مُقبِل.

يخطب الجمعة بالشعر:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: وجدت في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزُّهريّ عن عمر عن أبيه قال:

(١) هو عمار بن عمرو بن عبد الاكبر يلقب ذا كناز. كان شاعراً ماجناً خميراً معاقراً للشراب.
(٢) كذا وردت ولا معنى لها.
(٣) المجنبذ: المرتفع.
(٤) أجا مسهل أجأ. والوجء: اللكز.
(٥) ويروى: «تآخذا».

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب ؛ فقيل له : إن اليوم الجمعة؛ فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر ؛ فصعِد المنبر فخطب فقال :

الحمد لله وليّ الحمدِ أحمَدُه في يُسرنا والجَهْدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ وهو الذي ليس له قرينُ
أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلٰهَا
ما إن له في خَلقه شَريكُ قد خضَعتْ لملكه الملوكُ
أشهد أن الدّين دينُ أحمدِ فليس من خالفَه بمهتدِي
وأنّه رسول ربّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خَلقه نذيرا وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليُظهِرَ اللهُ بذاك الدّينا وقد جُعِلنا قبلُ مُشركينا
من يُطِع اللهَ فقد أصابا أو يَعصِه أو الرسولَ خابا
ثم القرآنُ والهدى السبيلُ قد بقِيا لمّا مضى الرسولُ
كأنّه لما بقي لديكمُ حيٌّ صحيحٌ لا يزال فيكمُ
إنكم من بعدُ إن تزِلُّوا عن قصده أو نَهجه تَضِلُّوا
لا تترُكنْ نصحي فإني ناصحُ إنّ الطريق فاْعلمنّ واضحُ
من يتّقِ الله يجد غِبّ التقى يوم الحساب صائراً الى الهدى
إن التُّقى أفضلُ شيءٍ في العملْ أرَى جِماعَ البرّ فيه قد دخلْ
خافوا الجحيمَ إخوتي لعلّكمْ يومَ اللقاء تعرِفوا ما سرّكمْ
قد قيل في الأمثال لو علمتمُ فاْنتفِعوا بذاك إن عَقَلتُمْ
ما يزرع الزارعُ يوماً يحصدُهْ وما يقدِّم من صلاح يَحمَدُهْ
فاْستغفِروا ربّكمُ وتوبوا فالموتُ منكم فاْعلموا قريبُ

ثم نزل .

نوادره :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه عن الوليد البُندار[١] قال :

حجَجتُ مع الوليد بن يزيد؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير، إن اليوم يومٌ يشهَدُه الناسُ من جميع الآفاق، وأريد أن تشرّفني بشيء. قال : وما هو؟ قلتُ : إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسرَرتَ إليّ شيئاً؛ فقال : أفعلُ. فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُندار؛ فقمتُ اليه، فقال : ادنُ منّي فدنوتُ؛ فأخذَ بأُذُني ثم قال : البُندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكلُّ من ترى حولنا ولد زنا، أفهمتَ؟ قلتُ : نعم؛ قال : انزل الآن، فنزلتُ.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ عن أشعب قال :

دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال لي : تمنّ؛ فقلت : يتمنّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنّى؛ قال : فإنما أردتَ أن تَغلِبَني، فإني لأتمنّى ضعف ما تتمنّى به كائناً ما كان؛ قلت : فإني أتمنّى كِفلَين[٢] من العذاب؛ فضحك ثم قال : إذاً نوفّرهما عليك. ثم قال لي : ما أشياء تبلُغني عنك؟ قلتُ : يكذبون عليّ. قال : متى عهدُك بالأصمّ؟ قلتُ : لا عهدَ لي به. فأخرج أيرَه كأنه نايٌ مدهون، فسجدتُ له ثلاث سجدات؛ فقال : وَيلك إنما يسجُد الناسُ سَجدةً واحدةً؛ فقلت : واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصيتيك.

---

(١) البندار : الخازن.

(٢) الكفل : النصيب.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال :

إنما أغلى الجوهرَ بنو أميّة؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغالي به .

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضرب بطبل قدّامه ؛ فأخذه منها ووضعه على رقبته ، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة، وكان خليعاً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال :

قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ ؛ فقلت لإسماعيل بن يَسار : أَحذِنا[1] ممّا أعطاك الله؛ فقال : هَلُمّ أقاسمك إن قبلتَ ؛ بعث إليّ براويةٍ[2] من خمر .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مُصعَب قال حدّثني رجل قال :

كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يومَ الاثنين تغدّى وشرب رِطلين ثم جلس للناس . قال : فحدّثني عمر الوادي قال : دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشربت، وطرب ، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفّافة فدفف بها ، فأخذ كلٌّ واحد منا دفافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا الى الحاجب؛ فلما رآنا الحاجب صاح بالناس : الُحرَمَ الُحرَمَ ؛ اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني اللهُ فداءك ، اليومَ يحضُر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛

---

(١) أحذى الرجل : أعطاه مما أصابه .

(٢) الراوية : المزادة (القربة) .

فقال : إنما أنا حاجب فلا تحملني على الشراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فاشرب، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمَع وقام وهو سكران .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن شَريك قال حدّثني عمي علي بن عمرو قَوْقارة قال حدّثني أُنَيف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدّثني أبي قال :

خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ له الى مقصورةٍ ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها، فوثب عليها فافترعها؛ فقالت له الحاضِنة : إنها المجوسيّة؛ قال : اسكتي ! ثم قال :

من راقبَ الناسَ مات غمّاً وفاز باللذّة الجَسورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر، ولم يُدرك زمن الوليد .

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مَسلَمة بن سَلْم الكاتب قال :

قال الوليد بن يزيد : وددتُ أنّ كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأنّ كلّ حِرٍ في جبهة أسد، فلا يَشرب إلّا سخيّ، ولا ينكح إلا شجاعٌ .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب قال : سمعت رجلاً يحدّث أبي بالكوفة قال :

أرسلت الى الوليد جَفنةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرعَونيّة لم يُرَ مثلُها قطّ . فلمّا أمسينا صبَبنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ، حتى اذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلةٍ القمرُ الليلةَ ؟ فقال بعضهم : في الحَمَل، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ في

الجفنة ؛ قال : قاتلك الله ! أصبتَ ما في نفسي ! لتَشربنّ الهفتجنّة . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجنة فقال : شُرْب كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عبد الله بن عِمران بن ابي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناء على عودٍ ، قال :

بعث اليّ الوليد بن يزيد ، فقدِمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا لَه من مجلس وغلامٌ للوليد يقال له سبرة يَسقي القومَ الطِّلاء ، إذ جاءت نَوبةُ الغناء اليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أَخاه بكرا :

صوت

سَرَى همّي وهمُّ المرء يَسري ... وغار النجمُ إلا قِيدَ فِتْرِ
أراقب في المَجرّة كلّ نجم ... تعرّض في المجرّة كيف يَجري
بحُزْن ما أزال له مُديماً ... كأنّ القلبَ أُسعر حرّ جمر
على بكر أخي ولّى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر

غناه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ — قال خالد : فقال لي الوليد : أعِد يا صامُ فأعدتُ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجّر[1] واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله ابن أبي فَروة : وأنشدها ابنُ أذينة ابنَ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال :

(١) تحجر واسعاً : ضيقه .

كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت؛ فحلف ابن أذينة لا يكلّمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عَتيق وابنُ أذينة مهاجِرٌ له .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أنشِدت، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال : أُنشدت سكينةُ، وأخبرني الحسين بن يحيي عن عبّاد عن أبيه عن أبي يحيي العِباديّ :

أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر ؛ فلما انتهت الى قوله :

على بكر أخي ولّى حميداً وأيُّ العيش يحسُن بعد بكرِ

قالت سكينة : ومن أخوه بكر ! أليس الدّحداح[١] الأُسيّدَ القصير الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساء ؟ قالوا : نعم؛ قالت : كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي عن إسحاق قال :

قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ ، فجمع المغنّين وَسبّق[٢] بينهم ببَدْرة، وقال : أيّكم كان أحسن غناء فهي له؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبرُ ابنَ سريج، فجاء وقد أُغلِق الباب؛ فقال للحاجب : استأذِن لي؛ قال : لا يُمكن وقد أُغلق الباب، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلَق الباب لاستأذنتُ لك . قال : فدعني أغنّ من شقّ الباب؛ قال نعم . فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى :

سرى همّي وهمُّ المرء يسري

---

(١) الدحداح : القصير الغليظ البطن . والاسيد : تصغير الاسود .

(٢) يقال : سبق البدرة بين الشعراء، من غلب اصحابه أخذها، اي جعلها سبقاً بينهم .

فنظر المغنّون بعضهم الى بعض وعرفوه؛ فلما فرغ قال سليان : أحسن والله! هذا والله أحسنُ منكم غناء، أخرج يا غلام اليه بالبَدرة، فأخرجها اليه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعدُبة :

أنّ رجلًا أهدى الى هشام بن عبد الملك خيلًا، فكان فيها فرس مَربوع[١] قريبُ الرِّكاب؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهَر الرجلَ وشتَمه وقال : أتجيء بمثل هذا الى أمير المؤمنين! رُدّوه عليه، فردّوه . فلما خرج وجّه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذي يسمّيه السِّنديّ .

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيّد وحده؛ فانتدَب اليه مولًى لهشام يريد الفتك به . فلما بَصُر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله . وقال في ذلك :

ألم ترَ أنّي بين ما أنا آمِنٌ يَخُبّ بي السِّنديُّ قفراً فيافِيا
تطلّعتُ من غَورٍ فأبصرتُ فارساً فأوجستُ منه خِيفةً أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفتُ له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إنّي طعنتُه فروّيتُ منه صَعدتي وسِنانيا

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخُوريّ بالبنصر . ولإبراهيم فيه ثقيل اول، وقيل : إن له فيه ماخُوريّاً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل . ولمالكٍ رَمَلٌ من رواية الهشاميّ .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنديّ :

---

(١) المربوع : الوسيط القامة

قد أغتدي بذي سَبيبٍ هَيكلٍ[١] مُشرَّبٍ[٢] مثلِ الغرابِ أرْجلِ[٣]
أعددتـه لحَلَباتِ الأحولِ وكلِّ نَقعٍ ثائرٍ لجحفلِ
وكلِّ خطبٍ ذي شؤونٍ مُعضِلِ

فقال هشام: لكنّا أعددنا له ما يسوءه، نخلعه ونُقصيه، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً.

رثاؤه سلمى:

نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو الحسن العَقيليّ:

أنّ الوليد لمّا ولي الخلافة خطب سَلمى التي كان يَنسِبُ بها، فزوّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته؛ فقامت عنده سبعةَ أيام فماتت؛ فقال يرثيها:

يا سلمَ كنتِ كجنّةٍ قد أطعمتْ[٤] أفنانُها دانٍ جَناها مُوضَعُ[٥]
أربابُها شَفَقاً[٦] عليها نومُهم تحليل موضعها ولمّا يَهجَعوا
حتى اذا فسح الربيعُ ظنونَهم نثَر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

قتل نديمه ورثاه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكّار عن عمّه:

---

(١) الهيكل من الخيل: الكثيف العبل اللين، وهو ايضاً الطويل علواً وعدواً.

(٢) المشرب: الممزوج لونه بحمرة.

(٣) الارجل من الخيل: الذي في إحدى رجليه بياض. والرجل مكروه في الخيل إلا أن يكون به وضح غيره.

(٤) أطعمت الشجرة: أثمرت.

(٥) الموضع: المنضد.

(٦) شفقاً: خوفاً.

أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً، فكان لا يصبر عنه؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عديّ :

صوت

بكَر العاذلون في وَضح الصبـــح يقولون لي ألا تَستفيقُ
لست أدري وقد جفاني خليلي أعدوٌّ يلومني أم صديقُ
ثم قالوا ألا اصبَحونا فقامت قينةٌ في يمينهـا إبريقُ
قدّمته على عُقار كعين الدّيك صَفّى سُلافَها الرّاووقُ

— فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لُحنَين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العباس رَمَلٌ كلُّ ذلك عن الهشاميّ — قال : فاستحسنه الوليد وأعجِب بـه وطرب عليه وجعل يشرب الى أن غلَب عليه السكر فنام في موضعه، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه، فعُرِّف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سَبرة : ائتني برأسه ، فمضى الغـلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَست بين يديه؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه، فاسترجَع وندم على ما فرط منه، وجعـل يقلِّب الرأس بيده . ثم قال يرثيه :

صوت

عَينَيّ للحَدَث الجليلِ جُودا بأربعة[1] هُمُولِ

(١) الاربعة يعني بها اللحاظين والموقين فان الدمع يجري من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً .

جودا بدمع إنّه يشفي الفؤادَ من الغَليلِ
لله قبرٌ ضُمِّنت فيه عظامُ ابن الطويل
ماذا تضمّن إذ ثَوى فيه من اللبّ الأصيل
قد كنتُ آوِي من هوا ك الى ذَرى كَهْفٍ ظليل
أصبحتُ بعدك واحداً فرداً بمَدْرَجة السيول

— غنّاه الغريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو. وغنّى فيه سُليم لحناً من الثقيل الاول بالبنصر عن الهشامي، وذكر غيره أن لحن الغريض لدَحمان، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل، وذكر غيرُه أن لحن الغريض لدَحمان — قال: ثم دخل الى جواريه فقال: والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل. فيقال: إنه لم يَعِشْ بعده إلا مُدَيدةً حتى قُتل. والله أعلم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش عن حمّاد الراوية قال:

دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح؛ فقال: أنشدني في النَّسيب؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يَهَشَّ لشيء منها، حتى أنشدته قولَ عمّار ذي كناز:

إصبَحِ[1] القومَ قهوةً في الأباريق تُحتَذى
من كُميت مُدامةٍ حبّذا تلك حبّذا

فطرب. ثم رفع رأسه الى خادم وكان قائماً كأنه الشمس، فأومأ اليه فكشف سِتراً خلفَ ظهره، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل؛ فقال: أسقُوهم، فما بَقي أحد إلا أُسقِي، وأنا في خلال ذلك أُنشِده الشعر؛ فما زال يشرب ويَسقي الى طلوع الفجر. ثم لم نخرج عن حضرته

(١) صبحت فلاناً: ناولته صبوحاً من لبن او خمر.

حتى حملنا الفرّاشون في البُسُط فألقَوْنا في دار الضيافة، فما أفقنا حتى طلعت الشمس قال حمّاد : ثم أحضرني فخلَع عليّ خِلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال :

كان بين الحَكَم بن الزبير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيء في وكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرَّحبة[1] من أرض دمشق، وكان الجعفري قد استولى عليها فقطع شَفرَه الأعلى، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه؛ فقال الوليد في ذلك :

صوت

أَيا حَكَمُ المتبول[2] لو كنتَ تعتَزي[3] الى أسرةٍ ليسوا بسُود زعانفِ
لأيقنتَ قد أدركتَ وِتْرَكَ عنوةً بلا حُكمِ قاضٍ بل بضرب السوالفِ

— غنّاه الهذليّ ثقيلاً أول عن الهشاميّ ويونس — قال : فلما استُخلِف الوليد بعث الى بكر بن نوفل الجعفريّ فقال : ألا تعطي حَكَم بن الزبير حقّه ! قال : لا؛ فأمر به فشُتِرت[4] عينُه . ثم قال :

يا ربّ أمرٍ ذي شؤون جَحفلٍ[5] قاسيتُ فيه جَلَباتِ[6] الأحول

(١) رحبة دمشق : قرية بينها وبين دمشق ميل .

(٢) المتبول : المصاب بتبل وهو الذحل والعداوة .

(٣) تعتزي : تنتسب .

(٤) شتر عينه : شقها وقلب جفنها .

(٥) الجحفل : العظيم .

(٦) الجلبات : الشدائد .

رثاؤه ابنه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

خرج الوليد الى متصيَّد له فأقام به، ومات له أبن يقال له مؤمن بن الوليد، فلم يقدر أحدٌ أن ينعاه اليه، حتى ثَمِل فنعاه اليـه سِنانٌ الكاتب وكان مغنّياً؛ فقال الوليد – وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي أختيرت للواثق والرشيد قبله – :

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنانٌ بالوَداع لمـؤمنٍ فقلتُ له إني الى الله راجـعُ
ألا أيها الحاثِي[1] عليـه ترابَه هبِلتَ وشُلَّتْ من يديك الأصابع
يقولون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً فـكيفَ بما تُحنى عليه الأضالع

عروضُه من الطويل . غنّاه سِنان الكاتب، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامـل خفيفُ ثقيل اول بالوسطى عن عمرو . وقيل : إن فيـه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أيلَة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قـال حدّثني عَقيل بن عمرو قال :

قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث بـه الى النَّوار جارية الوليد، فغنّته به، وهو :

---

(١) حثا التراب عليه وفي وجهه يحثوه : قبضه ورماه .

مَضى الخلفاء بالأمرِ الحميدِ وأصبحت المذَمّـةُ للوليدِ
تشاغَل عن رعيّتـه بلهو وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيدِ

فكتب اليه الوليد :

ليتَ حظّي اليـومَ من كلّ مَعاشٍ لي وزادِ
قهوةٌ أبذُلُ فيهـا طارفي ثم تِـلادي
فيَظَلُّ القلب منهـا هـائماً في كلّ واد
إن في ذاك صلاحي وفـلاحي ورشادي

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إبراهيم بن الوليد الحِمصيّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنبريّ قال :

قال الوليد بن يزيد : يا بني أميّة، إياكم والغناء فإنه يَنقُص الحياء ويَزيد في الشهوة ويهدِم المروءةَ ويُثوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بدّ فاعلين، فجَنِّبوه النساء فإنّ الغناء رُقيةُ الزِنا . وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى اليّ من الماء البارد الى ذي الغُلّة، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قـال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال :

دخلت اليه وقد عقد لابنيه بعده وقدّم عثمان؛ فقلت له : يا أمـير المؤمنين، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسعُني السكوت ؟ قال : بل قُلْ قول الموثوق به؛ فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يُبايع لمن لم يَحتلِمْ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك؛ فقال : عَضُوا ببظور أمهاتكم، أفأُدخِل بيني وبين ابني غـيري ؛ فيَلقى منه كما لَقيتُ من الأحول بعد أبي ! ثم أنشأ يقول :

صوت

سَرى طيفُ ذا الظبي بالعاقِدا ... ن ليلاً فهيَّج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غِرّةٍ ... فباتت بحزنٍ تقاسي السُّهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره ... يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا
على أنها شَسَعت[1] شَسعَةً ... فنحن نرجّي لها أن تعودا
فإن هي عادت فعاصِ[2] القريـبَ منها لتؤيِسَ منها البعيدا

– غناه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو ابن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل لَحكَم، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفَضْل النجّار رَمَلاً بالبنصر – أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكّار قال: هو

سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر

ولكن هذا تصحيف سليمان السّوادي أو قال: خُلَيد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان، وهو أول من بايع لابن سُرِّيّةٍ أمةٍ، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبسهما ثم قتلهما؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب:

(١) شسعت: بعدت.

(٢) عاص القريب، يريد جاف القريب ولا تدنه من الخلافة بتوليتك اياه العهد.

إذا قُتل الخلف المُديم لسُكره بقفر من البخراء[1] أسس في الرمل
وسيق بلا جُرم الى الحتف والردى بُنيّاه حتى يُذبحا مذبح السّخل
فويلُ بني مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

زندقته :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال حدّثني أبي عن العَلاء البندار قال :

كان الوليد زنديقاً، وكان رجل من كَلْب يقول بمقالتـه مقالةِ الثنوية[2]؛ فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي عنده، وإذا بينهما سَفَط قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ؛ فقال : اُدْنُ يا عَلاء، فدنوتُ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطرِف كأنه يتحرّك؛ فقال : يا عَلاء، هذا مانِي[3]، لم يَبعثِ اللهُ نبياً قبله ولا يبعثُ نبياً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين، اتق الله ولا يَغُرّنك هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيّ : يا أميرَ المؤمنين، ألم أقُلْ لك : إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث . قال العلاء : ومكثتُ أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمله على بِرذَوْن هِملاجٍ[4] أشقرَ من أفرهِ ما سُخِر، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر؛ فما شعَر إلّا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسِخةً عنقُه ميتاً وبِرذَوْنه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك، فخرجت

(١) البخراء : ارض بالشام سميت بذلك لعفونة في تربتها ونتنها .

(٢) الثنوية : أصحاب الاثنين الازليين، يزعمون ان النور والظلمة أزليان قديمان .

(٣) هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور .

(٤) الهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة .

متعمِداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخراء لا حجرَ فيها ولا مَدرَ، فقلت لهم : كيف كانت قصّةُ هـذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على بِرذَون، فوالله لكأنه دُهنٌ يسيل على صَفاةٍ من فراهته، فعجِبنا لذلك؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبعَيه(١) فاحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدقّ عنقه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجئنا به .

قصة مقتله :

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال :

لما أكثر الوليد بن يزيد التهتُّكَ وانهمك في اللذّات وشُرْب الخمر وبَسطَ المكروهَ على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيّه، ملّ الناسُ أيامَه وكرِهوه . وكان قد عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا؛ فمشى الناسُ بعضهم الى بعض في خلعه، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى الى أخيه العبّاس – وكان امرأ صدقٍ ولم يكن في بني أميّة مثله، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز – فشكا اليه ما يجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإن مَشى بعضُكم في أمر بعض أكلتم ، ولله أجلٌ لا بدّ أن يَبلُغه فانتظرْه . فخرج من عنده ومشى الى غيره، فبايعه جماعةٌ من اليمانيةِ الوجوه ؛ فعاد الى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرّض له بأنه قد دُعي الى الخلافة ؛ فقال له : والله لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك اليه مشدوداً ؛ فنشدتُك الله ألّا تَسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ الى نفسه . وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومشيَ بعضهم الى بعض في خلعه :

---

(١) الضبع : العضد والإبط، يقال : أخذ بضبعيه اي بعضديه .

صوت

سَلِّ هَمَّ النفس عنها بعَلَنْداةٍ[1] عَلاةِ
نتَّقي الأرضَ وتَهوي بخفاف مُدْمِجات
ذاكَ أمْ ما بالُ قومي كسروا سِنَّ قناتي
واستخفُّوا بي وصاروا كقرودٍ خاسئات

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لأبي كامل غُزَيِّل الدِّمشقيّ ماخوريّ بالبنصر. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

أصبح اليومَ وليدٌ هائماً بالفَتَيات
عنده راح وإبريقٌ وكأسٌ بالفَلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورُماةً لرماة

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائنيّ عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء قال: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك :

لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك في اللذّات، سئمه الناس ووعَظه من أشفق عليه من أهله؛ فلما لم يُقلِع دَبُّوا في خَلعه. فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلّم عمي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد، فكان العباسُ يَنهاه وأبي يردّ عليه؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ أن يكلّم عمي ويردّ عليه؛ فقال العباس : يا بني مروان، أظن أن الله قد أذِن في هلاككم. ثم قال العباس :

(١) العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . وناقة علاة الخلق اي طويلة جسيمة .

إني أُعيذكم بالله من فِــتَنٍ مثلِ الجبال تَسامَى ثم تندفعُ
إنّ البريّة قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدّين وارتدعوا
لا تُلحِمُنّ[1] ذئابَ الناس أنفسَكم إنّ الذئاب إذا ما ألحِمتْ رَتعوا
لا تَبقُرُنّ بأيديكم بطونَكمُ فثَمّ لا فِــدْيةٌ تُغني ولا جَزَع

قال المدائنيّ عن رجاله : فلما استجمع ليزيد أمرُه وهو مُتبدّ أقبل الى دمشق، وبين مكانه الذي كان مُتبدّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ، فأقبل الى دمشق متنكراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع له أكثرُ أهلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزّة. فقال مولًى لعبّاد بن زياد : إني لَبِجَرُودَ — وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ — إذ طلع علينا سبعةٌ مُعتمّون على حُمُر فنزلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمى بنفسه فنام وألقَوْا عليه ثوباً، وقالوا لي : هل عندك شيء نَشتريه من طعام؟ فقلت : أمّا بيعٌ فلا، وعندي من قِراكم ما يُشبعكم ؛ فقالوا : فعجّله ؛ فذبحتُ لهم دجاجاً وفِراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشَوانيز[2]، وقلت : أيقظوا صاحبكم للغداء ؛ فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل ؛ فسفَروا للغداء فعرفتُ بعضهم، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمني. ومَضَوْا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ الى معاوية بن مَصاد وهو بالمِزّة — وبينها وبين دمشق مِيل — فأصابهم مطر شديد، فأتَوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاوية : الفِراشَ، ادخل أصلحك الله ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك ؛ فقال : ما تُريدني عليه أفسَدُ. فمشى على البساط وجلس على الفراش، ثم كلّم معاويةَ فبايَعه. وخرج الى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الخُشَنيّ مستخفياً، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحجّاج بن يوسف، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلَمي. وتمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور. وقيل

(١) ألحمت القوم : أطعمتهم اللحم.

(٢) الشوانيز : التوابل.

لعامل دمشق : إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ الى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع وعشرين ومائة ، فكَمَنوا في مِيضأةٍ عند باب الفَراديس[١] ؛ حتى إذا أذّنوا العَتَمةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلّوا. وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل؛ فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدفعُ المفاتيح الى من يحفظها ويخرُج . فلما صلّى الناسُ العَتَمةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا، وتَباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويَدخلون من باب، حتى لم يَبْقَ في المسجد إلا الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَنبسة السَّكْسَكيّ الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِر بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلًا . فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمَضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتَوْا بابَ المقصورة، وقالوا : نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادمُ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزّانَ البيت[٢] وصاحبَ البريد ؛ وأرسل الى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته الى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعلَبَكّ ، والى عبد الملك ابن محمد بن الحَجّاج فأخذهما . وبعث أصحابه الى الخَشَبيّة[٣] فأتَوْه ؛ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الأبواب غُدْوةً إلّا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمانُ بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخُزّان قبضوه، فأصابوا سلاحًا كثيرًا فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزّة مع حُرَيث بن أبي الجَهْم . فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة :

إذا استُنزِلوا عنهنّ للطعن أرْقَلوا الى الموت إرقالَ الجِمال المَصاعبِ

(١) باب الفراديس : باب من ابواب دمشق .

(٢) يريد بيت المال .

(٣) الخشبية اصحاب المختار بن ابي عبيد .

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون : انظروا الى هذا ! كان قُبَيْلَ الصبح يسبّح وهو الآن يُنشد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن مَروان فوقف بباب الجابية فنادَى : من كان له عطاء فليأتِ الى عطائه ، ومن لم يكن له عَطاء فله ألف درهم مَعُونة[١] ؛ فبايع له الناسُ وأمر بالعطاء . قال : وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز، وقال : من انتَدب معه فله ألفانِ ، فانتدب ألفا رجلٍ ، فأعطاهم وقال : موعدُكم ذَنَبة[٢] ؛ فوافى ذَنَبةَ ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادُكم مَصنعةُ بالبرِّية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم ثَقَل[٣] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جُمْهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَميّ والأصبغُ بن ذُؤالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغسّانيّ وحُمَيد بن نصر اللَّخميّ ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه . وأتاه خبرُ العبّاس بن الوليد : إني أجيئك . وأُتي الوليدُ بفرسين الذّائد والسِّنديّ ؛ وقال : أعليّ يَتواثبُ الرجال وأنا أثِبُ على الأُسد وأتخصَّر[٤] الأفاعي ! وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقُتل عثمان الخَشَبيّ ، وكان من أولاد الخشبيّة الذين كانوا مع المختارِ[٥] . وبلغ عبدَ العزيز بن الحجّاج أن العبّاس بن الوليد يأتي الوليدَ ؛ فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة[٦] خيل

(١) العبارة للطبري . وفي الاصول : « ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم فبايعه ... الخ » .

(٢) موضع بعينه من أعمال دمشق .

(٣) الثقل : المتاع .

(٤) تخصر : أخذ المخصرة (العصا) بيده وأمسكها .

(٥) يريد المختار بن أبي عبيد . خرج بالكوفة سنة ست وستين مطالباً بدم الحسين رضي الله عنه وأهل بيته وذلك في سلطان ابن الزبير وأخرج عن الكوفة عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير، ثم قتله مصعب بن الزبير في قصره بالكوفة سنة سبع وستين .

(٦) الجريدة من الخيل : الجماعة منها .

وقال: إنكم تلقَون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخذُوه. وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا الى الشِّعْب، وإذا العبّاسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه؛ فقال له: اعدِل الى عبد العزيز، فشتَمهم؛ فقال له منصور: والله لئن تقدّمتَ لأنفُذَنّ حَصِينك[١] بالرّمح؛ فقال: إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايِعْ ليزيد؛ فبايَعَ ووقف؛ ونصبوا رايةً وقالوا: هذا العبّاس قد بايَعَ. ونادى منادي عبد العزيز: من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ؛ فقال العبّاس: إنا لله! خُدعةٌ من خُدَع الشيطان! هلك والله بنو مروان! فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العبّاسَ. وظاهر الوليدُ في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعةٌ بعِدّة رؤوس، فقال: اكتبوا أسماءهم؛ فقال له رجل من مواليه: ليس هذا يا أميرَ المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة. وناداهم رجالٌ: اقتلوا اللُّوطيَّ قِتلةَ قوم لوط، فرمَوْه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال:

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاء وقَيْنةً وكأساً ألا حَسْبي بذلك مالَا

إذا ما صفا عيش برَمْلةِ عالِجٍ[٢] وعانقتُ سلمى لا أريد بِدالا

خذوا مُلكَكم لا ثبّت الله ملككم ثبـاتاً يساوي ما حَيِيتُ عِقالا

وخَلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جَرَى[٣] ولا تحسُدوني أن أموت هُزالا

---

(١) يعني درعك.

(٢) عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيء، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها.

(٣) قبل عير وما جرى، قال أبو عبيد: اذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك قيل: فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى. قالوا: خص العير لانه أحذر ما يقنص، واذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره، فضرب به المثل في السرعة. وقيل العير: إنسان العين، فاذا قيل: جاء قبل عير وما جرى فمعناه قبل لحظة العين.

— غنّاه عمرُ الوادي رملًا بالوسطى عن حَبَش — ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي، غنّني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلّمه ؟! فقال له يزيد بن عَنْبَسَة السَّكْسَكِيّ : كلِّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكاسِك ، ما تنقمون منّي ؟! ألم أزِد في أُعطياتكم وأعطيةِ فقرائكم وأخدَمتُ زَمْنَاكم ودفعتُ عنكم المؤَنَ !؟ فقال : ما نَنقِمُ عليك أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُربَ الخمور ونكاحَ أمهات أولاد أبيك واستخفافَك بأمر الله . قال : حَسْبُك يا أخا السَّكاسِك ! فلعمري لقد أغرقتَ[1] فأكثرتَ ، وإنّ فيما أحلّ الله لسَعَةً عمّا ذكرتَ . ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان[2] ، ونشر المصحفَ يقرأ ؛ فعلَوا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة ، فنزل سيفُ الوليد الى جنبه ؛ فقال له يزيد : نحِّ سيفَك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيف لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِله بيتاً ويُؤامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّريّ بن زِياد بن أبي كَبْشة ، فضربه عبد الرحمن السُّلميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّريّ بن زِياد على وجهه ، وجرّوه بين خمسة ليُخرجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه، واحتزّ رأسه أبو عِلاقة القُضاعيّ وخاط الضربةَ التي في وجهه بالعَقَب[3] ؛ وقُدِم بالرأس على يزيد ، قَدِم به رَوْح بن مُقبِل ، وقال : أبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتمّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه . ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره .

---

(١) اي تجاوزت الحدّ في القول وبالغت فيه .

(٢) يريد عثمان بن عفان رضي الله عنه فانه لما قتل كان يقرأ في المصحف وجرى دمه عليه .

(٣) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْري[1] يُدخل سيفه في أست الوليد وهو مقتول . فقال الأصبغ بن ذُؤالة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم أبنيه :

من مُبْلغٌ قيساً وخندفَ كلَّها ... وساداتهم من عبد شمس وهاشمِ
قتلنا أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... وبِعْنا وليَّ عهده بالدراهم

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد :

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أدخله ... في أستِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا

يقتل في مجلس الغناء :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن جرير قال :

قال لي عمر الوادي : كنت أغنّي الوليدَ أقول :

صوت

كَذَبتْكَ نفسُكَ أم رأيتَ بواسطٍ ... غَلَسَ الظلامِ من الرَّبابِ خيالا

قال : فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسه قد فارق بدنه ورأيتُه يتشحّط في دمه . يقال : إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال : لأبن جامع .

وليا عهده :

قالوا : وكان عثمان والحكم أبنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده، فتغيّبا فأخذهما

(١) هو خالد بن عبد الله القسري ، وقد كان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .

يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء[١] ودخل عليهما يزيدُ الأفقمُ بن هشام فجعل يشتُم أباهما الوليدَ وكان قد ضربَه وحلقه ، فبكى الحكم ، فقال عثمان أخوه : اسكت يا أخي ؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتم أبي ! قال : نعم ؛ قال : لكني لا أشتُم عمي هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم ، فانظر الى وجهك فإن كنتَ رأيت حَكَمِياً[٢] يُشبِهك أو له مثلُ وجهك فأنت منهم ، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن مَسلمة بن مُحارِب قال :

لما قُتل الوليدُ قال أيوبُ[٣] السَّختِيانيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتَنا لم يقتلوه . قال : وإنما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة .

الخلفاء العباسيون ينتصرون له :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ :

أن ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال : ممن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيّها ؟ فأمسكَ قال : قُـلْ وأنت آمن، ولو أنك مَرْوانيّ، قال : أنا ابن الغَمْر بن يزيد . قال : رحم الله عمك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلَةَ عمك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفةً مُجمَعاً عليه، ارفع إليّ حوائجك، فقضاها .

---

(١) الخضراء: موضع باليمامة، وهي ايضاً حصن باليمن كما في ياقوت، ولعلها أيضاً موضع بالشام لم تذكره معاجم البلدان .

(٢) يعني من ينسب الى الحكم بن أبي العاص والد مروان رأس هذه الأسرة .

(٣) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي أبو بكر البصري الفقيه أحد الأئمة الأعلام مات سنة ١٣١ هـ .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثنا الغَلابِيّ قال حدّثنا العَلاء بن سُوَيْد المِنقَرِيّ قال :

ذكر ليلةً المهديُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شَبيب بن شَيبة : يا أمير المؤمنين إن رأيت ألّا تُجرِيَ ذكرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنه كان زنديقاً؛ فقال : اسكت، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا عَقيل بن عمرو قال أخبرني شَبيب بن شَيبة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهديّ : أحسَبه كان زنديقاً، فقام ابن عُلاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين، اللهُ عزّ وجل أعظمُ من أن يولّي خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمّة من لا يؤمن بالله، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته، وحدّثني أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء ويُؤتى بثيابٍ بِيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود، فإذا فرغ عاد الى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود الى شربه ولهوه؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ! فقال له المهديّ : صدقت بارك الله عليك يابنَ عُلاثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره، والله أعلم .

صوت

من المائة المختارة

أمَّ سَلّامَ ما ذكرتُكِ إلّا شَرِقَتْ بالدموع منّي المآقي
أمَّ سَلّامَ ذِكرُكُم حيث كنتم أنتِ دائي وفي لسانِك راقي
ما لقلبي يَجول بين التَّراقي مُستخِفّاً يَتوق كلَّ مَتاق

حَذَراً أن تَبِينَ دارُ سُلَيمى أو يصيحَ الداعي لها بفِراقِ

غنّاه عمر الوادي، ولحنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ في مجرى البنصر . وذكر عمرو ابن بانة أنّ لسَلّامة القَسِّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى، ولعلّه بمعنى هذا . ومن الناس من يروي هذه الابيات لعبد الرحمن بن أبي عَمّار الُجشَميّ في سَلّامةِ القَسّ، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سَلمى هذه في شعره بأُمّ سَلّام وبسلمى، لأنه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه . ومن ذلك قوله فيها :

صوت

أُمَّ سَلّامَ لو لقيتِ من الوجـــد عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ
فأثيبي بالوصل صَبّاً عميداً وشفيقاً شجاه ما قد شجاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ .

ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

هو عمر بن داود بن زاذان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادي القُرى . وكان قدِم الى الحَرَم فأخذ من غناء أهله فحذِق وصنَع فأجاد وأتقن . وكان طيّب الصوت شجيَّه مُطرِباً . وكان أوّلَ من غنّى من أهل وادي القُرى؛ واتّصل بالوليد ابن يزيد في أيام إمارته فتقدّم عنده جدّاً؛ وكان يسمّيه جامع لذّاتي ومُحيي طربي. وقُتل الوليد وهو يغنّيه؛ وكان آخرَ عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد ابن يزيد وفيه غناء :

صوت

إنّني فكّرتُ في عمرٍ   حين قال القولَ فاختلجا
إنّه للمستنير به   قمر قد طمّس السُّرُجا
ويغنّي الشعر ينظِمُه   سيّدُ القوم الذي فلَجا
أكمل الواديُّ صنعتَه   في لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادي هَزَجٌ خفيفٌ بالبنصر في مجراها .

تقدمه على المغنين :

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاء اليه والاختصاصِ له. وبلغني أنه كان لا يضرِب وإنما كان مرتجِلاً، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ لذّاتي. قال: وبلغني أن حَكَما الواديّ وغيرَه من مُغنّي وادي القُرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه.

قال إسحاق وحدّثني عبد السلام بن الرّبيع:

أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقيّة، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أمّ الوليد؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنّاه صوتاً: أحسنتَ والله، أنت جامع لذّاتي، وأبو رقيّة مضطجعٌ وهم يحسَبونه نائماً، فرفع رأسه الى الوليد فقال له: وأنا جامع لذّات أمّك؛ فغضب الوليد وهمّ به؛ فقال له عمر الوادي: جعلني الله فِداك! ما يَعقِل أبو رقيّة وهو صاحٍ، فكيف يعقل وهو سكران! فأمسك عنه.

قال إسحاق: وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنساناً يغنّي غناء لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو:

صوت

وكنتُ اذا ماجئتُ سُعدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِرات البيضِ وَدّ جليسُها اذا ما انقضتْ أحدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً؛ فقلت: والله لألتمسنّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطتُ من الشَّرَف[2]، فاذا أنا برجل يرعى

(١) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا.
(٢) الشرف: المكان العالي.

غنماً واذا هو صاحب الصوت، فأعلمتُه الذي أقصَدني اليه وسألتُه إعادتَه عليّ؛ فقال: واللهِ لو كان عندي قِرًى ما فعلتُ، ولكني أجعله قِراكَ، فربما ترنّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبَع، وكسلانُ فأنشط ومستوحِشٌ فآنَس؛ فأعاده عليّ مراراً حتى أخذته، فواللهِ ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال.

حدّثني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني المؤمّل بن طالوت الواديّ قال حدّثني مَكّين العُذْريّ قال: سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء[1] والعَرْج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فربما ترنّمتُ به وأنا غرثانُ فيُشبِعني، ومستوحِشٌ فيؤنسني، وكسلانُ فيُنشِّطني. قال: فما كان زادي حتى ولَجتُ المدينةَ غيره، وجربتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال.

نسبة هذا الصوت

صوت

لقد هَجَرتْ سُعدَى وطال صدودُها   وعاوَد عَيني دمعُها وسهودُها
وكنتُ اذا ما زرتُ سُعدَى بأرضها   أرى الأرضَ تُطوَى لي ويدنو بعيدُها
منعَّمةٌ لم تَلقَ بؤسَ معيشةٍ   هي الخُلد في الدنيا لمن يَستفيدُها
هي الخلدُ ما دامتْ لأهلك جارةً   وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيّر. والغناء لابن مُحرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكيّ. وذكر الهشاميّ أنّ فيه ليزيدَ حَوْراء ثانيَ ثقيل. وفيه خفيفُ رَمَلٍ يُنسَب الى عمر الواديّ، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غَزَلِه ومختارِه. وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها:

(١) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة.

فتلك التي أصفيتُها بمودَّتي وليداً ولمّا يَستَبِنْ لي نهودُها
وقد قتلتْ نفساً بغير جَريرة وليس لها عَقْلٌ(١) ولا من يُقيدُها
فكيف يَودّ القلبُ من لا يودّه بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها
ألا ليت شِعري بعدنا هل تغيّرتْ عن العهد أم أمست كعهدي عهودُها
اذا ذكرَتها النفسُ جُنَّتْ بذكرها وريعَتْ وحَنَّتْ واستُخِفَّ جليدها
فلو كان ما بي بالجبال لَهَدّها وإن كان في الدنيا شديداً هُدودُها
ولستُ وإن أوعدتُ فيها بمُنتَهٍ وإن أُوقدَتْ نارٌ فشَبَّ وَقودها
أبيتُ نجيّاً للهموم مُسَهَّداً اذا أُوقدتْ نحوي بليل وُقودها
فأصبحتُ ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينفكّ همٌّ يعودُها
ونفس اذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ كما انسلّ من ذات النظام فريدُها
فلم تُبدِ لي يأساً ففي اليأس راحة ولم تُبدِ لي جوداً فينفع جودُها

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال:

قال عمر الوادي: خرج اليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعاعه؛ فقال لي: يا جامع لذّتي، أتحبّ أن أهبَه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي؛ فقال: غنّ في هذه الأبيات التي أنشدك فيها واجهدْ نفسَك، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك؛ فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

صوت

ألا يُسليكَ عن سَلمى قَتيرُ(٢) الشَّيب والحِلمُ

(١) العقل: الدية. وأقاد القاتل بالقتيل: قتله به.

(٢) القتير: اول ما يظهر من الشيب.

وأنّ الشكّ ملتبِسٌ فلا وَصلٌ ولا صُرمُ
فلا والله ربِّ النا س ما لك عندنا ظُلم
وكيف بظلم جاريةٍ ومنها اللّين والرُّحم[1]

تخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى أستقام ، ثم خرجتُ اليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدِر خُمارا ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرَغتُ مما أمرتني به ؛ وغنّيتُه ، فصاح : أحسنتَ والله ! ووثب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متّكئاً والكأس في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أعِد بأبي أنت وأمي ! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكَر ؛ فما زلت أعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام .

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد عن أبيه عن عُزَير بن طلحة الأرقمي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إني لبالعقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أشعبُ وعمر الوادي وأبو رقيّة، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يديّ وسبّقتهُموه في رَجزٍ فكان أوّلَ من خسَق[2] عمرُ الوادي فقال :

أنا ابن داود أنا ابن زاذانْ أنا ابن مولى عمرو بن عثمانْ[3]

---

(١) الرحم : العطف والرحمة .

(٢) الخسق : الرمي بالسهم . وهو هنا مجاز بمعنى المبادرة .

(٣) هذه الارجاز الثلاثة ليست متزنة اتزاناً عروضياً . ولعله كلام يقصد به الى الهزل والمزاح اكثر مما يقصد به الى الجد . لان أشعب لم يعرف عنه أنه كان شاعراً بل كان مزاحاً صاحب نوادر، وأبو رقية رجل ضعيف العقل، وعمر مغن وليس بشاعر .

ثم خسَق أبو رقيّة فقال :

أنا ابن عامر القاري   أنا ابن أوّل أعجمي

تقدّم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خسَق أشعبُ فقال :

أنا ابن أمِّ الخلنداج   أنا ابن المحرّشة بين أزواج

النبيّ صلى الله عليه وسلم . قال أبو الحكم : فقلت له : أي أخزاك الله ، هل سمعتَ أحداً قطُّ فخر بهذا ! فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخري ! لولا أن أمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضهنّ على بعض .

أخبار أبي كامل

اسمه الغُزَيِّل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أميَّة ؛ ولعلّه مات في أيامهم أو قُتل معهم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : أن أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال :

صوت

نام من كان خلياً مِن أَلَمْ وبدائي بتُّ ليلي لم أَنَمْ
أرقُب الصبحَ كأني مُسنَدٌ في أكفّ القوم تَغشاني الظُّلم
إنّ سلمى ولنا من حبّها دَيدَنٌ في القلب ما اخضرّ السَّلَم
قد سَبَتْني بشَتيتٍ نَبْتُه وثنايا لم يَعِبْهنّ قَضَم [١]

قال فطرِب الوليد وخلع عليه قَلَنسِيةَ وَشْيٍ مُذهّبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد الى عيد ويمسحها بكمّه ويرفعها ويبكي ويقول : إنما أرفعها لأني أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد) .

الغناء في هذا الصوت هزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانة الى عمر الوادي ، ونسبه غيرُه الى أبي كامل ، وزعم آخرون أنه لحكم ، هكذا نسبه ابنُ المكيّ الى حكم وزعم أنّه بالبنصر .

---

(١) القضم : انصداع في السن ، وقيل : تكسر وتثلم في أطراف الاسنان .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ عن صفوان بن الوليد المُعَيطيّ قال :

غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة، وهو :

جنّباني أذاةَ كلّ لئيم إنه ما علمتُ شرُّ نديم

فخلع عليه ثيابَه كلّها حتى قَلَنسيتَه . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه ؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تُجعل في أكفانه . وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة . فمنها مما يغنّى به :

صوت

سقَيتُ أبا كاملٍ من الأصفر البابلي
وسقَّيتُها معبـداً وكلّ فتى فاضـلِ

قال أيضاً فيه :

وزِقٍّ وافر الجنبيـــن مثل الجمل البازلْ
به رُحتُ الى صَحبي وندماني أبي كامل
شربناه وقد بِتنا بأعلى الدَّير بالساحِل
ولم نَقبَل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

الغناء لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنه ليحيي المكي وأنّه نُحِلَه أبو كامل . وذكر أن لعمر الواديّ أو لحكم فيـه رملاً بالوسطى وهو القائم .

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه الله أنّ لِيَنشو فيـه خفيفَ رملٍ .

ومنها في قول الوليد :

صوت

سَقَيْتُ أبا كاملٍ   من الأصفر البابلي
وسقَّيْتُها معبداً   وكلَّ فتى فاضلِ
ليَ المحضُ من ودّهم   ويَغمُرهم نائلي
وما لامني فيهمُ   سوى حاسدٍ جاهل

فيه هَزَجٌ يُنسب الى أبي كامل والى حكم . وفيه لِيَنشو ثقيلٌ أول . أخبرني بذلك قريشٌ ووجه الرُزّة جميعاً .

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال :

كان للمعتضد عليَّ صوتانِ من شعر الوليد ، أحدهما :

سقَيْتُ أبا كاملٍ   من الأصفر البابلي

والآخر :

إن في الكأس لمسكاً   أو بكفَّيْ من سقاني

وكان يُعجَب بها ويقول لجلسائه : أمَا تَرَوْن شمائل الملوك في شعره ! ما أبيَنَها :

ليَ المحضُ من ودّهم   ويغمُرهم نائلي

وحين يقول :

كلِّلاني توِّجاني   وبشعري غنّياني

وقد نُسِب الى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُلَيمى في أحدهما ، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك ها هنا صوتين ، أحدهما :

صوت

من المائة المختارة

سُلَيمى تلك في العِيرِ[١] قِفي نُخبِرْكِ أو سيري
إذا ما أنتِ لم تَرثي لصَبٍّ القلبِ مغمورِ
فلما أن دنا الصبحُ بأصواتِ العصافير
خرجنا نُتبِعُ الشمسَ عيوناً كالقوارير
وفينا شادنٌ أحوَ رُ من حُور اليَعافير[٢]

الشعر ليزيد بن ضَبَّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبذ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ ، وذكر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبّابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لعَطَرّد هزَجاً بالوسطى .

(١) العير : القافلة .

(٢) اليعافير : الظباء، واحدها يعفور .

اخبار يزيد بن ضبة ونسبه

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبّة الثقفيّ قال:

كان جدّي يزيد بن ضبّة مولًى لثقيف. واسم أبيه مِقسم؛ وضبّةُ أمّه غلبتْ على نسبه؛ لأن أباه مات وخلّفه صغيراً، فكانت أمّه تحضن أولاد المُغيرة ابن شُعبة ثم أولاد ابنه عُروة بن المغيرة، فكان جدّي يُنسب اليها لشهرتها. قال: وولاؤه لبني مالك بن حُطَيط ثم لبني عامر بن يَسار. قال عبد العظيم: وكان جدّي يزيد بن ضبّة منقطعاً الى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه. فلما أفضت الخلافة الى هشام أتاه جدّي مهنّئاً بالخلافة. فلما استقرّ به المجلس ووصلت اليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه، مثَل جدّي بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذَن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشِده، وأمرَ بإخراجه. وبلغ الوليد خبرُه، فبعث اليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتني، ولكن اخرج الى الطائف، وعليك بمالي هناك؛ فقد سوّغتك جميعَ غلّته، ومهما احتجتَ إليّ من شيء بعد ذلك فالتمِسه منّي. فخرج الى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أرَى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا ... وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا
لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حَمِدنا
وقد ضَنّت بما وعدتْ وأمستْ ... تغيّرَ عهدَها عمّا عَهِدنا
ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا
تُلِمّ على تنائي الدار منّا ... فيُسهرنا الخيالُ إذا رقدْنا

ألم تَرَ أننا لمّا وَلينا أموراً خُرِّقت فوهتْ سَدَدنا
رأينا الفَتْقَ حين وهى عليهم وكم من مثله صَدْعٍ رَفَأنا
إذا هاب الكريهةَ من يَليها وأعظمها الهَيُوبُ لها عَمَدنا
وجبّارٍ تركناه كَليلا وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أزَلْنا
فلا تنسَوا مواطِنَنا فإنّا إذا ما عاد أهل الجرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبَرْنا ولا جُبرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألا من مُبلِغٌ عني هشاماً فما منّا البَلاء ولا بَعُدْنا
وما كنّا الى الخلفاء نُفضي ولا كنّا نؤخَّر إن شَهِدنا
ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ فنُجزَى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يرون حقّاً لوافدنا فنُكرَمُ إن وَفَدْنا
ولينا الناسَ أزماناً طِوالا وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا
ألم تَرَ من ولَدْنا كيف أشبى[١] وأشبَيْنا وما بهمُ قعَدنا
نكون لمن ولدْناه سماءً إذا شِيمتْ مَخايِلُنا رَعَدنا
وكان أبوك قد أسدى الينا جسيمةَ أمره وبه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفاء كانوا بنا جَدُّوا كما بهم جدَدْنا
هُمُ آباؤنا وهُمُ بنونا لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلنا
ونَكوي بالعداوة مَن بَغانا ونُسعِد بالمودّة من وَدِدنا
نرى حقّاً لسائلنا علينا فنحبوه ونُجزِل إن وعدنا
ونضمن جارَنا ونراه منّا فنرفِدُه فنُجزل إن رفَدنا
وما نعتدّ دون المجد مالا إذا يُغلى بمكرُمةٍ أفَدنا
وأتلَدُ مجدِنا أنا كِرامٌ بحدّ المَشرَفيّة عنه ذُدْنا

قال: فلم يزل مقيماً بالطائف الى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ، فوفَد اليه. فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة.

(١) أشبى الرجل: ولد له ولد ذكي.

كل بيت بألف درهم :

فأدناه الوليد وضمه اليه ، وقبّل يزيد بن ضبّة رجليه والأرضَ بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاي وانقطاعه إليّ . فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذِن له ، فأنشده :

سُلَيمى تلك في العِيرِ ... قِفي أسألكِ أو سِيري
إذا ما بنتِ لم تأوِي ... لصَبّ القلبِ مَغمورِ
وقد بانت ولم تَعْهَد ... مهاةٌ في مَهاً حُورِ
وفي الآل[١] حُمولُ الحيّ ... تُزهى كالقَراقِير[٢]
يُواريها وتبدو منه ... آلٌ[٣] كالسَّمادير[٤]
وتطفو حين تطفو فيه ... كالنَّخل المَواقير[٥]
لقد لاقيتُ من سَلمى ... تباريحَ التَّناكير[٦]
دعتْ عيني لها قلبي ... وأسبابُ المقادير
وما إنْ مَنْ به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور
لسلمى رسمُ أطلالٍ ... عفَتْها الرّيحُ بالمُور[٧]

(١) الآل هنا : السراب .

(٢) القراقير : السفن العظيمة او الطويلة .

(٣) الآل هنا : الشخوص التي تظهر في السراب .

(٤) السمادير : الاشياء التي تتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدوار .

(٥) المواقير : جمع ميقار . والنخلة الميقار كالموقرة : التي عليها حمل ثقيل .

(٦) التباريح : الشدائد . وهو من الجموع التي لا مفرد لها . والتناكير : الامور المنكرة .

(٧) المور : الغبار المتردّد . وهو ايضاً تراب تثيره الريح .

خَريقٌ[١] تنخُل التُّربَ بأذيال الأعاصيرِ
فأوْحشْ إذ نأتْ سلمى بتلك الدُّور من دُور
سأرمي قانصاتِ البيـد إن عِشتُ بعُسْبور[٢]
من العيسِ شَجَوْجاةٍ[٣] طواها النِّسعُ بالكُور
إذا ما حَقَبٌ[٤] منها قرنَّاه بتصدير
زجرْنا العيسَ فارقَدَتْ[٥] بإعصافٍ وتَشمير
تُقاسيها على أيْنٍ بإدلاجٍ[٦] وتَهجير
إذا ما اعْصَوْصَبَ[٧] الآلُ ومال الظِّل[٤] بالقُور
وراحت تتَّقي الشمسَ مطايا القوم كالعُور
إلى أن يُفضِحَ[٨] الصبحُ بأصوات العصافير
لِتَعْتامَ[٩] الوليدَ القرْ مَ أهلَ الجود والخير
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُورِ[١٠] الجراجير

---

(١) الخريق : الريح الشديدة الهبوب .

(٢) العسبور : الناقة الشديدة .

(٣) الشجوجاة . الطويلة جداً . وقيل : الطويلة الرجلين . وقيل : الطويلة الظهر . والنسع : سير مفتول يشدّ به الرحل . والكور : الرحل .

(٤) الحقب : حبل يشدّ به الرحل في بطن البعير . والتصدير : الحزام، وهو في صدر البعير .

(٥) الارقداد : سرعة السير . والإعصاف : الإسراع في السير . والتشمير : الجدّ في الامر والاجتهاد فيه .

(٦) الإدلاج : السير في الليل . والتهجير : السير في الهاجرة .

(٧) اعصوصب : اشتد . والآل : السراب . والقور : جمع قارة وهي الجبيل المنقطع عن الجبال او الصخرة العظيمة .

(٨) أفضح الصبح : بدا .

(٩) اعتام : اختار واصطفى . يريد : تقصد اليه مختارة له .

(١٠) الخور : النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل .

تُراعِي حين تُزْجيهـا ... هَويًّا كالمزامير
كما جـاوبتِ النيبُ ... رِباعَ الخُلُجِ الخُور
ويُعطي الذهبَ الأحمـ ... ـرَ وَزْناً بالقنـاطير
بلَوْناه فأحمـدنا ... ه في عُسْر وميسور
كريمُ العُود والعُنصـ ... ـرِ غَمْرٌ غير منزور
له السَّبْق إلى الغايا ... تِ في ضَمِّ المضامير
إمامٌ يُوضِـح الحقَّ ... له نور عـلى نور
مقالٌ من أخي ودٍّ ... بحفظ الصـدق مأثور
بإحكام وإخـلاص ... وتفهيـم وتحبيـر

قال : فأمر الوليدُ بأن تُعَدَّ أبيات القصيـدة ويُعطى لكل بيت ألفَ درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأُعطيَ خمسين ألفاً . فكان أوَّلَ خليفة عَدَّ أبياتَ الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلّا هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبي حَفْصة ومنصوراً النَّمَرِيَّ لمَّا مدحاه وهَجَوا آلَ أبي طالب لكل بيت ألفَ درهم .

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد :

أنَّ الوليد خرج الى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضَبَّة ، فأصطاد عـلى فرسه السِّنديِّ صيداً حسناً ، ولحق عليه حماراً فصرَعه ؛ فقال لجدّي : صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم ؛ فقال في ذلك :

وأحوَى سَلِسُ المَرْسن مثلُ الصَّدَعِ الشَّعْبِ[٣]

(١) الهويّ : الدويّ في الأذن .

(٢) الرباع : جمع ربع (بضم ففتح) وهو ما ولد من الإبل في اول النتاج . والخلوج : الناقـة الكثيرة اللبن التي تحنّ الى ولدها .

(٣) المرسن : الأنف . والصدع : الفتيّ الشاب القويّ من الاوعال والظبـاء . والشعب (بالتحريك) : تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر . وسكن للضرورة .

سما فوق مُنيفاتٍ طوالٍ كالقنا سُلبِ [١]
طويلُ الساق عُنجوجٌ أشقُّ أصمعُ الكَعْبِ [٢]
على لأمٍ أصمَّ مُضمَّرِ الأشعَر كالقَعْبِ [٣]
تَرى بين حَوامِيه نُسُوراً كنَوى القَسْبِ [٤]
مُعالى شَنِجُ الأنساءِ سامٍ جُرْشُعُ الجَنْبِ [٥]
طَوَى بين الشَراسيفِ الى المَنْقَب فالقُنْبِ [٦]
يغوص الملحمَ القائمَ ذو حدّ وذو شَغْبِ
عَتيدُ الشَدِّ والتَقْريبِ والإحضار والعَقْبِ [٧]
صليبُ الأذن والكاهلِ والمَوْقِف والعَجْبِ [٨]

---

(١) الرمح السلب (ككتف) : الطويل والجمع سلب (بضمتين) . قال الشاعر :

ومن ربط الجحاش فان فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا

ويجوز فيه التخفيف بتسكين عينه كما هنا .

(٢) العنجوج : الرائع من الخيل . والأشق : الطويل . والصمع في الكعوب : لطافتها واستواؤها .

(٣) اللأم : الشديد من كل شيء ، ومن الحوافر : أشدّها . يريد : على حافر شديد صلب . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حول الحافر . والقعب : القدح الصغير يشبه به الحافر .

(٤) الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . والنسر : لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة . والقسب : تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة .

(٥) الأنساء : جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح له . وجرشع الجنب : منتفخه .

(٦) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . والمنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . والقنب : جراب قضيب الدابة .

(٧) يقال : فرس عتيد : شديد الخلق معدّ للجري . والتقريب : ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً وهو دون الإحضار . والعقب : الجري يجيء بعد الجري الاول .

(٨) الموقفان من الفرس : نقرتا الخاصرة على رأس الكلية . والعجب : أصل الذنب عند رأس العصعص .

عريض الخدّ والجبهـــة والبِركةِ والهُلبِ [1]
إذا ما حثّــه حاثٌ يُباري الرّيحَ في غَرْبِ [2]
وإن وجّهــه أسرع كالخذروفِ [3] في الثقْب
وقفّاهنّ كالأجـدَ ل لما انضمّ للضَّرْب
ووالى الطعنَ يختار جَواشِنَ [4] بُدّنٍ قُبِّ
ترى كلّ مُدِلٍّ [5] قا ئماً يلهثُ كالكلب
كأن الماء في الأعطا ف منه قِطعُ العُطْبِ [6]
كأن الدمَ في النّحر قَذالٌ عُلّ بالخضب
يَزينُ الدارَ موقوفاً ويشفي قَرَمَ [7] الرّكب

قال : فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته ، فأجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطِه الغُرَيلَ وعمر الوادي حتى يغنّيا فيه ؛ فقال :

صوت

إلى هندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلُهـا يُصبي
وهندٌ غادةٌ غَيْـدا ءُ من جُرثومةٍ [8] غُلْبِ
وما إنْ وَجد الناسُ من الأدواء كالحبّ

(١) البركة : الصدر . والهلب : شعر الذنب . وفي الأصول : « الهب » وهو تحريف .

(٢) غرب الفرس : حدّته ونشاطه .

(٣) الخذروف : شيء يدوّره الصبيّ بخيط في يده فيسمع له دويّ .

(٤) الجواشن : الصدور .

(٥) المدل : الجريء .

(٦) العطب : القطن .

(٧) القرم : الشهوة الى اللحم .

(٨) الجرثومة : الاصل . والغلب : جمع أغلب، وهو في الاصل الغليظ الرقبـــة ، وهم يصفون السادة أبداً بغلظ الرقبة وطولها .

لقد لَجَّ بها الإعرا ضُ والهجرُ بلا ذنبِ
ولمَّا أقضِ من هندٍ ومن جارتها نَحْبي[١]
أرى وجدي بهندٍ دا ئماً يَزداد عن غِبِّ[٢]
وقد أَطوَلْتُ[٣] إعراضاً وما بغضُهمُ طِبّي[٤]
ولكن رِقبَةُ الأَعيُنِ قد تحجُز ذا اللُّبِّ
ورغمُ الكاشح الراغم فيها أَيسرُ الخطْبِ

قال : ودفع هذه الأبيات الى المغنِّيَين فغنَّوْه فيها .

ولعه بالغريب :

أخبرني هاشم بن محمد الُخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ ، وحدّثني به محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

كان يزيد بن ضَبَّة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً ، وقد أدركتُه بالطائف، وقد كان يطلب القوافيَ المعتاصة والُحوشيَّ من الشعر .

قال أبو حاتم في خبره خاصّة وحدّثني غسّان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفيّ عن جماعة من مشايخ الطائفيّين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبّة ألفَ قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها ، فدخلتْ في أشعارها .

---

(١) النحب : الحاجة .

(٢) الغب : قلة الزيارة .

(٣) أطول كأطال، أنشد سيبويه :

صددتِ فأطولتِ الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

(٤) الطب هنا : الشأن والعادة .

اخبار اسماعيل بن الهربذ

إسماعيل بن الهِربذ مكيٌّ مولًى لآل الزبير بن العوّام، وقيل: بل هو مولى بني كِنانة. أدرك آخرَ أيام بني أميّة وغنّى للوليد بن يزيد، وعُمِر الى آخر أيام الرشيد.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن أبيه:

ان إسماعيل بن الهربذ قدِم على الرشيد من مكة، فدخل اليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيح وغيرُهم والرشيد يومئذٍ خاثرٌ[١] به خُمار شديد؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُلَيح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه؛ فاندفع ابن الهربذ يغنّي، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فغنّى:

صوت

يا راكبَ العيس التي ‌ ‌ وفدَت من البلد الحرامِ
قُل للإمام ابن الإما ‌ ‌ م أخي الإمام أبي الإمام
زَينِ البريّة إذ بدا ‌ ‌ فيهم كمصباح الظلام
جعل الإلهُ الهربذيَّ فِداك من بين الأنام

(١) خثرت نفسه: غثت واختلطت.

– الغناء لابن الهربذ رَمَـلٌ بالوسطى عن عمرو – قال : فكاد الرشيد يرقص، وأستخفَّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليـه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم. فقال له : يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثاً، فإن أذن مولاي حدّثته بـه؛ فقال : حدِّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير، فدَفع اليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً، فرُحتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق[1] وهي تغنّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويّه؛ فسألتها أن تُعلّمنيـه؛ فقالت : لا وحقِّ القبر[2] إلا بدرهمين ؛ فدفعتُ اليها الدرهمين وعلّمتْنيه؛ فرَجعت الى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرّحاً شُغِلتُ معـه بنفسي فأُنسِيتُ الصوت. ثم دفع اليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً؛ فلقِيَتني الجاريةُ فسألتُها أن تُعيد الصوتَ عليّ ؛ فقالت : لا والله إلا بدرهمين ؛ فدفعتُهما اليها وأعادته علـيّ مراراً حتى أخذتُه. فلما رَجعتُ الى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال : ما القصّة في هذين الدرهمين؟ فصدَقتُه القصّةَ وأعدتُ عليه الصوت، فقبّل بين عينيّ وأعتقني. فرحلتُ اليك بهذا الصوت، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر؛ فقـال : دَع الاولَ وتَناسَه، وأقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر؛ فأمّا مولاك فـأدفع اليه بدل كلّ درهم ألفَ دينار؛ ثم أمر له بذلك فحُمِل اليه.

ومما نُسب الى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له :

صوت

من المائة المختارة

إمدَح الكأسَ ومن أعمَلها وَاهجُ قوماً قتـلونا بالعطشْ

(١) العقيق : واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل.

(٢) تريد قبر النبي.

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ   فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش

الشعر لنابغة بني شَيبان. والغناء لأبي كامل، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسمِّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ. وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشاميّ أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الاول بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

نسب نابغة بني شيبان

النابغة اسمه عبد الله بن المُخارِق بن سُلَيم بن حصرة بن قَيس بن سِنان بن حَمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شَيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار. شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأمويّة. وكان يفِد الى الشام الى خلفاء بني أميّة فيمدحهم ويُجزلون عطاءه. وكان فيما أرى[1] نَصرانياً لأنّي وجدته في شعره يحلِف بالإنجيل والرُّهبان وبالأيمان التي يحلِف بها النصارى.

ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَن بعده من ولده؛ وله في الوليد مدائحُ كثيرة.

عند عبد الملك:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

لما همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَولِيةِ الوليدِ ابنهِ العهدَ، كان نابغة

(١) هذا ما رآه أبو الفرج. وقد ورد في ديوانه ما يدل على أنه كان مسلماً؛ فمن ذلك قوله في قصيدته الرائية:

وتعجبني اللذات ثم يعوجني ... ويسترني عنها من الله ساتر
ويزجرني الإسلام والشيب والتقى ... وفي الشيب والاسلام للمرء زاجر

بني شيبان منقطِعاً الى عبد الملك مَدَّاحاً له؛ فدخل اليه في يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدَّامَه، فمثل بين يديه وأنشده قوله :

أشتقتَ وأنهلَّ دمعُ عينك أنْ أضحى قِفاراً من أهله طَلَحُ [١]

حتى أنتهى الى قوله :

أزْحتَ عنّاَ آلَ الزبيرِ ولو كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا
إن تلقَ بَلوى فأنت مُصطبِرٌ وإن تُلاقِ النُّعمى فلا فرحُ
ترمي بعينَيْ أقنى على شَرَف لم يؤذه عائرٌ ولا لَحَحُ [٢]
آلُ أبي العاصِ آلُ مَأْثُرةٍ غُرٌّ عِتاقٌ بالخيرِ قد نفَحوا
خيرُ قريشٍ وهم أفاضلُها في الجدّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أرحَبُها أذرُعاً وأصبرُها أنتم اذا القوم في الوغى كَلَحوا [٣]
أمّا قريشٌ فأنتَ وارثُها تكُفُّ من صعبهم اذا طَمَحوا
حفِظتَ ما ضَيّعوا وزَندهم أوْرَيتَ إذ أصلدوا [٤] وقد قدحوا
آليتُ جهداً — وصادقٌ قسمي — بربِّ عبدٍ تَجُنُّه الكُرُحُ [٥]
يَظلّ يتلو الإنجيلَ يدرُسه من خَشية الله قلبُه طَفِحُ
لَابنُك أولى بمُلك والده ونجمُ من قد عصاك مُطَّرِحُ
داود عدلٌ فأحكم بسيرته ثم ابنُ حَرب فإنّهم نَصَحوا

(١) طلح وذو طلح : موضع دون الطائف لبني محرز، وقيل : موضع في بلاد بني يربوع .

(٢) هذه رواية ديوانه . والأقنى : الصقر، سمي بذلك لقنا أنفه اي ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والعائر : الرمد . واللحح : لصوق الاجفان بالرمص وهو وسخ ابيض جامد يلصق بالجفون . وفي الاصول :

ترمي بعيني أورى على شرف لم يوذه عائر ولا لحوا

والأروى : أنثى الوعول .

(٣) كلحوا : تكشروا في عبوس .

(٤) أصلد الزند : قدحه ولم يور .

(٥) الكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان .

وهم خيارٌ فأعمل بسنّتهم وأحيَ بخيرٍ واكدح كما كدحوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع ؛ فعلم الناس أنَّ رأيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز، فقال : لقد أدخل ابنُ النصرانية نفسه مُدْخلًا ضيقًا فأوردها مورداً خطراً ؛ وبالله عليّ لئن ظفرتُ بـه لأخضِبَنّ قدمَه بدمه .

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : لما قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشَّيبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح :

أَلا طال التنظُّر والثَّواء وجاء الصيف وانكشف الغِطاء
وليس يُقيم ذو شَجَنٍ مُقيمٍ ولا يَمضي اذا ابتُغِي المَضاء
طوالَ الدهر إلّا في كتابٍ ومقدارٍ يُوافِقه القضاء
فما يُعطى الحريصُ غنًى لحِرصٍ وقد يَنمي لذي الجود الثَّراء
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ سيتبعُها اذا انتهت الرَّخاء

يقول فيها :

أؤمُّ فتًى من الأعياص مَلْكاً أغرَّ كأن غُرّته ضِياء
لأُسمِعَه غريبَ الشعر مدحاً وأُثنِي حيث يتَّصِل الثناء
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً ويَنمِي كلّما ابتُغِي النَّماء
فضضتَ كتائبَ «الأزدي» فضّاً بكبشك حين لَفَّهما اللقاء
سَمكْتَ(١) المُلكَ مقتبَلًا جديداً كما سُمِكَتْ على الأرض السماء
نُرَجّي أن تدوم لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا رجاء
«هشامٌ» و«الوليد» وكلُّ نفسٍ تُريد لك الفناء لك الفِداء

(١) سمك الشيء : رفعه .

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن تُوقَر له بُرًّا وزَبيباً، وكساه وأجزل صلته .

قال : ووفد الى هشام لمّا وَلِي الخلافةَ؛ فلمّا رآه قال له : يا ماصّ ما أبقت المَواسي من بَظر أمّه ! ألستَ القائلَ :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ   تريد لك الفناء لـك الفِداء

أخرِجوه عنّي ! والله لا يَرزَؤني[١] شيئاً أبداً وحرَمه . ولم يزل طولَ أيامه طريداً؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد؛ فوفد اليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته .

شعره في الخمر :

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني عُبيد الله بن محمد الكوفيّ عن العُمَريّ الخصّاف عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شَيبان :

أيها الساقي سقتْـكَ مُزْنَةٌ   من ربيعٍ[٢] ذي أهاضيبَ وَطَشّ
إمدح الكأس ومن أعملهـا   واْهجُ قوماً قتلونا بالعطش
إنمـا الكأسُ ربيعٌ باكرٌ   فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش
وكأنّ الشَّرْبَ قوم مُوّتوا   من يَقمْ منهم لأمرٍ يَرتَعِش
خُرُس الألْسُن مما نالهم   بين مصروع وصاحٍ منتعش
من حُمَيّاً[٣] قَرْقَفٍ حُصِّيَّةٍ   قهوةٍ حَوْليَّةٍ لم تُمتَحَش

---

(١) لا يرزؤني شيئاً : لا يصيب مني شيئاً .

(٢) الربيع : المطر في اول فصل الربيع . والاهاضيب : حلبات القطر بعد القطر . والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : دبيب الشراب . والقرقف : الخمر، سميت بذلك لانها تصيب شاربها بقرقفة اي رعدة . والحصية : نسبة الى الحص وهو الزعفران . والحولية : التي مضى عليها حول . ولم تمتحش : لم تحرق . يريد : لم تصبها النار .

ينفع المزكومَ منها ريحُها ثم تَنني داءه إن لم تُنشْ[١]
كلّ من يشربها يألفها يُنفق الأموالَ فيها كلَّ هَشّ

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الُجمحيّ — قال ابن أبي الأزهر : وهو محمد بن سَلّام — :

غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد :

إمدَحِ الكأسَ ومن أعملها واْهجُ قوماً قتلونا بالعطشْ

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل : نابغة بني شيبان ؛ فأمر بإحضاره فأُحضِر ؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إياها ؛ وظنّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد : لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيبان، ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ ؛ ووصله وانصرف . واول هذه القصيدة قوله :

خَلّ[٢] قلبي من سُليمى نبلُها إذ رمتني بسهام لم تَطِشْ
طَفلةُ[٣] الأعطاف رُوْدٌ دُميةٌ وشَواها بَختريّ لم يُحَشْ
وكأنّ الدُّرّ في أخراصها[٤] بَيضُ كَحْلاء أقرّته بعُشّ
ولها عينا مَهاةٍ[٥] في مهاً ترتعي نبتَ خُزامى ونَتَشْ

---

(١) لم تنش : من النشوة اي لم تسكر .

(٢) خل : نفذ وثقب .

(٣) الطفلة : الناعمة . والرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : التمثال من رخام . والشوى : الاطراف . ولم يحش : لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحبالته .

(٤) الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر .

(٥) المهاة : البقرة الوحشية . والخزامى : نبات طيب الريح . والنتش : اول ما يبدو من النبات على وجه الارض .

حُرَّةُ الوجه رخيمٌ صوتُها رُطَبٌ تَجنيه كفُّ المُنتقِش[١]
وهي في الليل اذا ما عُونِقَتْ مُنيةُ البعل وهمُّ المُفترِش

وفيها يقول مفتخراً :

وبنو شَيبان حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ[٢] وليست بالقَمِشْ
ورَدوا المجدَ وكانوا أهلَه فرَوُوا والجودُ عافٍ[٣] لم يَنِشْ
وتَرى الجُرْدَ لدى أبياتهم أرِناتٍ[٤] بين صَلصال وجُشّ
ليس في الألوان منها هُجنَةٌ[٥] وَضَحُ البُلقِ ولا عيبُ البَرَش
فبها يَحوُون أموالَ العِدا ويَصيدون عليها كلَّ وحش
دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُدَينيّات[٦] والخيلِ النُّجُش
نُنهِل الخَطِّيَّ[٧] من أعدائنا ثم نَفرِي الهامَ إن لم نَفترِش
فإذا العيسُ من المحل غَدَتْ وهي في أعينها مثلُ العَمَش
حُسَّرَ الأوبار مما لَقِيَتْ من سَحاب حاد عنها لم يُرِش[٨]

(١) انتقش : تخير .

(٢) الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . والقمش : زعانف الناس وأرذالهم .

(٣) العافي : الوافي . ولم ينش : لم ينضب .

(٤) الارنات : النشيطات . والصلصال : الحمار المصوّت . وجش : جمع أجش وهو الغليظ الصوت .

(٥) الهجنة : العيب . والبرش : البرص .

(٦) الردينيات : الرماح نسبة الى « ردينة » وهي امرأة كانت تقوّمها . والنجش : المستثارة المسرعة .

(٧) الخطيّ : الرمح نسبة الى الخط وهي مرفأ للسفن بالبحرين . ونفري : نشق . والهام: جمع هامة وهي الرأس . ونفترش : نصرع .

(٨) أرشت السماء : جاءت بالمطر .

خُسَّفَ[١] الأعينِ تَرعى جُوفةً[٢] هَمَدتْ أوبارُها لم تَنتفِشْ
نَنعَشُ العافي ومن لاذ بنا بسِجال الخيرِ من أيدٍ[٣] نُعُش
ذاك قولي وثنائي وهُمُ أهلُ وُدّي خالصاً في غيرِ غِشّْ
فسَلُوا شَيبانَ إن فارقتُهم يوم يمشون الى قبري بنعش
هل غَشِينا مَحرماً في قومنا أو جَزَينا جازياً فُحشاً بفُحش

وبما يغنّى فيه من شعر نابغة بني شيبان :

صوت

ذَرَفَتْ عيني دموعاً من رسوم بحَفيرِ[٤]
مُوحِشاتٍ طامساتٍ مثلِ آيات الزَّبورِ
وزِقــاقٍ مُترَعــاتٍ من سُلافات العَصيرِ
مُجلَخِدّاتٍ[٥] مِــلاءٍ بطُنُــوهن[٦] بقِــيرِ
فإذا صارت اليهــم صُيِّرتْ خــيرَ مَصيرِ
من شبابٍ وكُهولٍ حكّموا كأسَ المُديرِ
كم ترى فيهم نــديماً من رئيس وأمــيرِ

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو .

---

(١) خسف الأعين : غائرتها .

(٢) الجوفة : النبتة الفارغة الجوف .

(٣) أيد نعش : تنتعش لفعل الكرم والخير .

(٤) حفير : موضع بين مكة والمدينة .

(٥) مجلخدات : مستلقيات .

(٦) القير : الزفت .

صوت

من المائة المختارة

يا عَمْرُ حُمَّ فراقُكم عَمْرا وعَزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا
إحدى بني أَوْدٍ[1] كَلِفتُ بها حَمَلَت بلا تِرَةٍ لنا وِتْرا
وترى لها دَلًّا اذا نطقتْ تركت بنات فؤاده صُعْرا[2]
كتساقط الرُّطَبِ الجَنِيِّ من الأفنان لا نَثْرًا[3] ولا نَزْرا

الشعر لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ . والغناء لفَزار المكيّ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

(١) بنو أود : قبيلة .

(٢) صعرا : مائلة .

(٣) النثر : الكثير .

اخبار أبي دهبل ونسبه

نسبه – فيما ذكر الزُّبير بن بَكَّار وغيره – وَهْب بن زَمْعة بن أُسيد بن أُحيحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب . ولخلف بن وَهْب يقول عبد الله بن الزِّبَعْرى أو غيرُه :

خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخر ليلةٍ أبداً يكثِّر أهلَه بعيالِ
سَقْياً لوَهْب كهلِها ووليدِها ما دام في أبياتها الذيَّال
نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم صُيَّابَةٌ[1] ليسوا من الجُهَّال

وأمّ أبي دَهبل امرأة من هُذَيل . وإيَّاها يَعني بقوله :

أنا ابنُ الفروعِ الكرامِ التي هُذَيلٌ لأبياتها سائِلَهْ
هُمُ ولدوني وأشبَهتُهم كما تُشبِه الليلة القابِلَهْ

وأسمها، فيما ذكر ابن الأعرابيّ، هذيلة بنت سَلَمة .

جميل عفيف :

قال المدائنيّ : كان أبو دهبل رجلًا جميلًا شاعراً، وكانت له جُمَّة يُرسلها فتضرب مَنكِبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدَح معاوية، وعبدَ الله بن الزُّبير، وقد كان ابنُ الزبير ولّاه بعضَ أعمال اليمن .

(١) الصيابة : الخيار من كل شيء .

رأي راهب في شعره :

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الكَلبيّ عن أبي مِسكين ، وأخبرني به محمد بن خَلف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مِسكين :

أنّ قوماً مرّوا براهب، فقالوا له : يا راهب، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : مكانَكم حتى أنظرَ في كتاب عندي، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال : وَهْبٌ من وَهْبين، من جُمَح أو جُمَحين .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عليّ بن صالح عن عبد الله بن عُرْوة قال :

قال أبو دَهبل يفخَر بقومه :

قومي بنو جُمَح قوم اذا انحدرَتْ شَهباءُ تُبصر في حافاتها الزّغَفا[1]
أهلُ الخلافة والمُوفُون إن وَعدوا والشاهِدو الروع لا عُزْلا ولا كُشُفا[2]

قال الزبير وأنشدني عمي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهبل يفخَر بقومه بقوله :

أنا أبو دهبلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ من جُمَحٍ في العز منها والحَسَبْ
والأُسرةِ الخضراء والعِيصِ[3] الأَشِبْ ومن هُذَيل والدي عالي النّسب
أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبْ رمحي رُدَيْنيّ وسيفي المستلِب

(١) الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .

(٢) الروع : الحرب . والعزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه . والاكشف : من لا ترس معه في الحرب، وقيل : من ينهزم فيها .

(٣) العيص : الاصل . والأشب : الملتف .

وَبيضتي قَوْنَسُهـا من الذَّهبْ دِرْعي دِلاص سَرْدُها سردٌ عَجَبْ [١]

والقوس فَجَّاء لها نَبْلٌ ذَرِبْ محشورةٌ أُحكِم منهن القُطَبْ [٢]

ليوم هَيجاء أُعِدّت للرَّهَبْ

محبوبة تتنكر :

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا محمد بن زُهَير قال حدّثنا المدائنيّ :

أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة ، وكانت امرأةً جَزْلة [٣] يجتمع اليها الرجال للمحادثة وإنشادِ الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كل من يجتمع اليها، وكانت هي أيضاً مُحِبّة له . وكان أبو دهبل رجلًا سيّداً من أشراف بني جمح، وكان يحمل الحَمالات [٤] ويُعطي الفقراء ويَقري الضيف . وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك، وزعم غيرُهم أنه لم يصل اليها . وكانت عمرة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمِن لها ذلك واتّصل ما بينهما . فوقفت عليه زوجتُه فدسّتْ الى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها؛ فجاءتها فحادثتها طويلًا ثم قالت لها في عُرْض حديثها : إني لَأَعجَبُ لك كيف لا تتزوّجين أبا دهبل مع ما بينكما! قالت : وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل! قال : فتضاحكت وقالت : أتسترين عني شيئاً قد تحدّثتْ به أشراف قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواكِ وتَهوَينه ؛ فوثَبتْ عن مجلسها فاحتجبتْ ومنعت كلّ من كان يجالسها

---

(١) البيضة : ضرب من الدروع يتقى بها . وقونسها : أعلاها، وقيل : مقدّمها . ودرع دلاص : لينة ملساء براقة .

(٢) قوس فجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .

(٣) الجزلة : الاصيلة الرأي .

(٤) الحمالة : الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

من المصير اليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت اليه بما كره . ففي ذلك يقول :

صوت

تطاولَ هذا الليل ما يتبلّجُ ... وأعيتْ غواشي عبرتي ما تَفرَّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خِلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهج
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمرة الْمُنى ... وطوراً اذا ما لَجَّ بي الحزنُ أنشِج[1]
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

— الغناء في البيت الاول وبعده بيت في آخر القصيدة :

أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يخاف القتلَ ولهان مُلفَجُ

لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى . وذكر حمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جرهد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسبه الناس اليه، فكان اذا غنّاه وسُئل عنه يقول : هذا والله لحائد بن جرهد لا لي . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبَش . وفي « لقد قطع الواشون » وقبله « فطوراً أمنّي النفس » لمالك ثقيلٌ اول بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش — .

رأوا غِرّةً فاستقبلوها بألبهم[2] ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدلجوا
وكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غيبَهم ... فلم ينههم حلمي ولم يتحرّجوا
فليت كوانيناً[3] مِنَ أهلي وأهلها ... بأجمعهم في قعر دجلة لَجّجوا[4]

(١) النشيج : صوت معه توجع وبكاء .

(٢) بألبهم : بجمعهم .

(٣) الكوانين : الثقلاء، وقيل : الكانون : الذي يجلس حتى يتحصى الاخبار والاحاديث لينقلها .

(٤) لججوا : وقعوا في اللجة .

هُمُ منعونا ما نحبّ وأوقـدوا علينا وَشبّوا نار صُرم تَأجّجُ
ولو تركونا لا هَدى اللهُ سعيَهم ولم يُلحِموا قولًا من الشرّ يُنسَجُ
لأوشك صرفُ الدهر يفرّق بيننا ولا يَستقيم الدّهر والدهرُ أعوج
عسى كُرْبةٌ أمسيت فيها مقيمةً يكون لنا منها نجاةٌ ومَخرج
فيُكبَتَ أعداءٌ ويَجذَلَ آلِفٌ له كَبِدٌ من لوعة الحبّ تلعج
وقلت لعَبّاد وجاء كتابُها لهذا وربّي كانت العين تَخلَج
وإنّي لمحزونٌ عشيَّةَ زرتُها وكنتُ اذا ما جئتُها لا أعرّج
أخطّط في ظهر الحصير كأنني أسيرٌ يخاف القتل ولهان مُلفَج

الملفج: الفقير المحتاج .

وأشفَقَ قلبي من فراق خليلةٍ لها نَسبٌ في فرع فِهرٍ متوّجُ
وكفٌ كهُدّاب الدِمَقسِ لطيفةٌ بها دَوْسُ[١] حِنّاء حديثٌ مُضَرَّج[٢]
يَجول وشاحاها ويَغتَصُ[٣] حَجلها ويَشبَع منها وَقفُ[٤] عاج ودُملج
فلما ألتقينا لَجلَجتْ في حديثها ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجلَج

شعره في عمرة :

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه محمد بن خَشرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمرة :

يا عَمرُ حُمَّ فراقُكم عمرا وعزَمتِ مِنّا النأيَ والهجرا

(١) الدوس : المراد به هنا التزين والترتيب .

(٢) مضرج : مصبوغ .

(٣) يغتص : يمتلئ .

(٤) الوقف : سوار من عاج .

يا عمر شيخُكَ وهو ذو كَرَم   يَحمي الذِّمار ويُكرِم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منك فلا   تُرعِي[1] عليَّ وجدِّدي السِّحرا
إحدى بني أوْدٍ كَلِفتُ بها   حَمَلتْ بلا وِتْرٍ لنا وِتْرا
وتَرى لها دَلاًّ اذا نطقتْ   تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا
كتساقُطِ الرُّطَب الجَنِيِّ من الأفنان لا نَثْراً ولا نَزْرا
أقسمتُ ما أحببتُ حبَّكم   لا ثَيِّباً خُلقتْ ولا بِكرا
ومقالةٌ فيكم عَرَكْتُ بها   جَنْبي[2] أريد بها لك العذرا
ومُريد سرِّكم عدلتُ به   فيما يحاول مَعدِلاً وَعْرا
قالت يُقيم بنا لنَجزِيَه   يوماً فخَيَّم عندها شهرا
ما إن أقيم لحاجةٍ عَرَضتْ   إلّا لأُبليَ فيكمُ العذرا

قالوا: وفيها يقول:

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيتُه   وغيري في الذنب الذي كان ألومُ
أمِنَّا أناساً كنتِ تأتمنينَهم   فزادوا علينا في الحديث وأوهموا[3]
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كثَّروا   علينا وباحوا بالذي كنت أكتُمُ

— غنّى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر —.

وقد مُنِحتْ عيني القَذى لفراقهم   وعاد لها تَهتانُها فهي تَسجُمُ
وصافيتُ نِسواناً فلم أرَ فيهمُ   هوايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أعلم

---

(١) الإرعاء: الابقاء على أخيك.

(٢) يقال: عركت ذنبه بجنبي اذا احتملته. قال:

اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما   يسوء من الأدنى جفاك الأباعد

(٣) أوهموا: نقصوا.

أليس عظيماً أن نكون ببلدة   كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال :

سمع أبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أبي دهبل :

أليس عجيباً أن نكون ببلدة   كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

فقال له أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة أخرجي فخرجت؛ فقال له : أعِدْ بأبي أنتَ البيت فأعاده؛ فقال : بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرّة لوجه الله ! إذهب فديتُك مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له : ما لَقيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني !

وحدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : كنّا نختلف الى أبي العباس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والاخبار، وكان يصحبنا فتىً من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملِهم زيّاً ولا نعرف باطنَ أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العبّاس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلسَ الذي شهدناه ؛ فإذا بجارية قد اطّلعتْ فطرحتْ في حِجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسن من شكلها مختومةً بعنبر؛ فقرأها منفرِداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها الى الجارية . فلم نَلبَثْ أن خرج خادم من الدار في يده كُرِش(١)، فدخل الينا فصفع الفتى به حتى رحمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالًا . فلما تباعدنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب :

كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ   كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

فقلنا له : هذا ابتداء ظريف، فبأيّ شيء أجبتَ أنت ؟ قال : هذا صوت سمعتُه يُغنّى فيه، فلما قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

(١) الكرش : وعاء الطيب .

أراعك بالخابور[١] نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وفَّاك القومُ حقك قط، وقد كان ينبغي أن يُدخلونا معك في القصَّة لدخولك في جُملتنا، ولكنَّا نحن نُوَفِّيك حقَّك؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر الى سياقة اخبار أبي دهبل

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ قال حدّثنا صالح بن حَسّان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني محمد بن السَّريّ قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبرُه أتمّ، قال :

حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طُوًى . فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرتْ جواريَها فرفعن السِّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر الى الطريق، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً؛ فوقف طويلاً ينظر اليها والى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمّا فطِنت له سترَتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمته : فقال أبو دهبل :

إني دعاني الحَيْن فاقتادني حتى رأيتُ الظبي بالباب
يا حسنَه إذ سبَّني مُدْبِراً مستتِراً عنّي بجلباب
سبحان من وقّفها حسرةً صُبَّت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلّبتُها أبٌ لها ليس بوهّاب

(١) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واسعة وبلدان جة غلب عليها اسمه، فنسبت اليه .

أحلّها قصراً منيعَ الذُرى ‏ ‏ يُحمَى بأبواب وحُجّابِ

مع ابنة معاوية :

قال : وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّون، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناء؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ اليه بكُسوةٍ، وجَرَتِ الرسل بينهما. فلما صدَرت عن مكة خرج معها الى الشام ونزل قريباً منها، فكانت تعاهَدُه بالبرّ واللَّطَفِ[١] حتى وردتْ دمشقَ وورد معها، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك :

طال ليلي وبِتّ كالمحزونِ ‏ ‏ ومَللتُ الثَّواء في جَيرونِ
وأطلتُ المُقام بالشام حتى ‏ ‏ ظنّ أهلي مُرَجّماتِ الظنون
فبكتْ خشيةَ التفرّق جُمْلٌ ‏ ‏ كبكاء القرين إثْرَ القرين
وهي زهراء مثلُ لؤلؤة الغوّاصِ مِيزتْ من جوهر مكنون
وإذا ما نسبْتَها لم تَجدْها ‏ ‏ في سَناء من المكارم دون
ثم خاصرتُها الى القبّة الخضـراء تمشي في مَرْمَرٍ مَسنونِ[٢]
قُبّةٌ من مَراجلٍ[٣] ضربوها ‏ ‏ عند بَرْد الشتاء في قَيطون
عن يَساري اذا دخلتُ من البا ‏ ‏ ب وإن كُنتُ خارجاً عن يميني
ولقد قلتُ إذ تطاول سُقمي ‏ ‏ وتَقلّبتُ ليلتي في فنون
ليت شعري أمِنْ هوًى طار نومي ‏ ‏ أم بَراني الباري قصيرَ الجفون

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه ؛ حتى اذا كان في يوم

---

(١) اللطف : الهدايا .

(٢) المسنون : المصبوب على استواء .

(٣) المراجل : ثياب من ثياب اليمن . والقيطون : البيت في جوف البيت .

الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبه : اذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه وارْدُده إليّ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرفَ؛ فناداه معاوية : يا أبا دهبل إليّ، فلما دنا اليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له : ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول :

ولقد قلت إذ تطاول سُقْمي   وتقلّبتُ ليلتي في فنونِ
ليت شعري أمن هوًى طار نومي   أم براني الباري قصيرَ الجفون

غير أنك قلتَ :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبتَها لم تجدْها   في سَناء من المكارم دُون

والله إنّ فتاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتبة لكما ذكرتَ؛ وأيَّ شيء زدتَ في قدْرها! ولقد أسأتَ في قولك :

ثم خاصرتُها الى القبّة الخضراء تمشي في مرمرٍ مسنونِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا، وإنما قيل على لساني . فقال له : أمّا من جهتي فلا خوف عليك، لأنّي أعلم صيانةَ ابنتي نفسَها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلِّ من لم يَجُز، وإنما أكره لك جِوارَ يزيد، وأخاف عليك وَثَباته، فإن له سَوْرةَ الشباب وأَنَفةَ الملوك . وإنما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته؛ فحذِر أبو دهبل فخرج الى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكةَ . فبينا معاويةُ ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خَصِيّ له فقال : يا أمير المؤمنين، والله لقد سقَط الى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأته بكَت ثم أخذته فوضعته تحت مُصلّاها، وما زالت خاثِرَة النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخصِيّ، فلم يزل يَلطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به الى معاوية، فإذا فيه :

أعاتِكَ هلّا إذ بخلتِ فلا تَرَيْ لذي صبوة زُلْفَى لديك ولا حقّاً
رَدَدْتِ فؤاداً قد تولّى به الهوى وسكّنتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا
ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ولم أرَ يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتنسين أيّامي بربعك مُدْنَفاً صريعاً بأرض الشام ذا سقم مُلقى
وليس صديقٌ يُرتضى لوصيّةٍ وأدعو لدائي بالشّراب فما أُسقى
وأكبرُ همّي أن أرى لك مُرسَلاً فطولَ نهاري جالسٌ أرقُبُ الطُرقا
فوا كبدي إذ ليس لي منك مجلسٌ فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتُك تزدادين للصبّ غلظةً ويزداد قلبي كلَّ يوم لكم عشقا

قال : فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث الى يزيد بن معاوية ، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال : يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذي شجاك ؟ قال : أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات الى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه ؟ فقال : والله إن الرأي لهيّنٌ . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزقّة مكة فيُريحنا منه . قال معاوية : أفّ لك ! والله إن امرأً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك الى ما يسمو لغيرُ ذي رأيٍ، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش ! أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قوله وجعلتنا أُحدوثةً أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرتُ به فيه. قال : وما هي ؟ قال قال :

ألا لا تقلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ وما كلّ من يَلحى محبّاً له عقلُ
لقد كان في حولين حالا ولم أزُرْ هواي وإن خُوّفتُ عن حبها شغل
حمَى الملكُ الجبّار عني لقاءها فمن دونها تُخشى المتالفُ والقتل
فلا خيرَ في حبّ يُخاف وبالُه ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل

فواكَبِدي إنّي شُهرتُ بحبّها ولم يكن فيما بيننا ساعةً بَذْلُ
ويا عجباً إني أكاتم حبَّها وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبُل

قال: فقال معاوية: قد والله رفّهتَ عنّي؛ فما كنتُ آمَنُ أنه قد وصل اليها؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّي؛ فقام يزيد فانصرف. وحجّ معاويةُ في تلك السنة؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائزَ كثيرةً. فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجع اليه؛ فقال له: يا أبا دهبل، ما لي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارصَ[١] تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه الى خُصمائنا وموالينا؛ لا تَعرِضْ لأبي خالد. فجعل يعتذر اليه ويحلف له أنّه مكذوبٌ عليه. فقال له معاويةُ: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلتَ؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمك أحبّ اليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى! فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتَنيها طالقٌ البتّةَ. فسُرّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف الى دمشق. ولم يَحجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال:

خرج أبو دهبل يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجَيرون جاءته امرأةٌ فأعطته كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبتْ

(١) القوارص: الكلم التي تؤلم وتنغص.

فدخلت قصراً ثم خرجتْ اليه فقالت : لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على أمرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله، فإنه من غائب لها يَعنيها أمرُه؛ فبلغ معها القصر؛ فلما دخلا إذا فيه جوارٍ كثيرة، فأغلقن القصرَ عليه، واذا فيه أمرأة وضيئة، فدعَته الى نفسها فأبَى، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطعِم وسُقِي قليلاً قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت، ثم دعَته الى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً، ولكنّي أتزوّجُك؛ قالت : نعم، فتزوّجها؛ فأمرتْ به فأُحسِن اليه حتى رجعتْ اليه نفسُه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تَدعُه يخرج، حتى يَئِس منه أهلُه وولدُه، وتزوّج بنوه وبناته واقتسموا ماله، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم ماله . ثم إنه قال لامرأته : إنك قد أَثِمتِ فيّ وفي ولدي وأهلي؛ فأْذَني لي أطالعهم وأعود اليك؛ فأخذتْ عليه أيماناً ألّا يقيم إلا سنةً حتى يعود اليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله، فرأى حالَ زوجته وما صار اليه ولدُه . وجاء اليه ولدُه؛ فقال لهم: لا والله ما بيني وبينكم عمل، أنتم قد ورِثتموني وأنا حيّ فهو حظُّكم؛ والله لا يَشرَك زوجتي فيما قَدِمتُ به أحد؛ ثم قال لها : شأنَك به فهو لك كلّه . وقال في الشاميّة :

صاحِ حيّاً الإلهُ حيّاً ودُوراً   عند أصل القناة من جَيْرونِ
عن يَساري اذا دخلت من البا   ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشام حتى   ظنّ أهلي مُرَجّماتِ الظنون
وهي زهراء مثلُ لؤلؤة الغوّاص مِيزت من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسبتَها لم تَجِدها   في سَناء من المكارم دون
تجعل المسك واليَلَنجوجَ[2] والنّدّ صِلاء لها على الكانون
ثم ماشيتُها الى القبّة الخضراء تمشي في مَرمَرٍ مَسنون

(١) يريد : خرج بخير كثير .

(٢) اليلنجوج : عود البخور . والند كذلك : عود يتبخر به، وقيل : هو العنبر .

وقبابٍ قد أسرِجتْ وبيوت نُظِمتْ بالرَّيحان والزَّرَّجونِ [١]
قبَّة من مراجل ضربوها عند حدّ الشتاء في قيطون
ثم فارقتُها على خير ما كا ن قرينٌ مُفارقٌ لقرين
فبكتْ خشيةَ التفرّق للبيـن بكاء الحزين إثْرَ الحزين
وأسألي عن تذكّري وأطمئني لأُناسي اذا هُمُ عذلوني

فلما حلّ الأجلُ أراد الخروج اليها، فجاءه موتها فأقام.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب قال:

وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ابن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يقال له ابن الازرق والمِهبرزِي [٢]، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن؛ فأنكره ورأى منه جفوةً، فمضى الى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرَمَوْت، فقال يمدحه ويعرّض بابن الأزرق:

يا رَبّ حيٍّ بخير ما حيّيتَ إنساناً عمارَهْ
أعطى فأسنانا ولم يك من عطيّته الصَّغاره [٣]
ومن العطيّة ما تُرى جَذْماء ليس لها نَزاره [٤]
حجراً تقلّبه وهل تُعطِي على المدح الحجاره

(١) الزرجون: قضبان الكرم.

(٢) المِهبرزي: الاسوار من أساورة الفرس. وهو أيضاً الدينار الجديد، والأسد، والجميل الوسيم من كل شيء.

(٣) الصغارة والصغر: خلاف العظم.

(٤) الجذماء: المقطوعة. والنزارة: القلة اي ليس فيها قليل ولا كثير.

كالبغل يُحمد قائماً وتُذمّ مِشيَته المُصارَة [١]

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم؛ فقال له حُنَين مولى ابن الأزرق في السرّ: أرى أنك عَجِلتَ على ابن عمك وهو أجودُ الناس وأكرمهم، فعُد اليه فانه غيرُ تاركك، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزل فلازِمْه ولا يفقدك؛ فإني أخاف أن ينساك؛ ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

يا حُنَّ إني لمّا حدّثتني أُصلاً مُرَنَّح من صميم الوجد معمودُ
نخاف عزلَ امرئٍ كنّا نعيش به معروفُه إن طلبنا الجودَ موجود
إعلم بأنّي لمن عاديتَ مُضطَغِنٌ ضَبّاً [٢] وأنّي عليك اليوم محسود
وأنّ شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لُبنان جُلمود
أنتَ الممدّح والمُغلِي به ثمناً إذ لا تُمدّح صُمّ الجندل السُّود
إن تَغدُ من مَنقَلَي [٣] نَجرانَ مُرتحِلاً يَرحَلْ من اليمن المعروفُ والجود
ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها لمّا اعترى الناسَ لأواءٌ [٤] ومجهود
حتى الذي بين عُسفانٍ الى عَدَنٍ لَحْبٌ لمن يطلب المعروفَ أخدود [٥]

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي.

حكاية نظم بيت:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكّار، وحدّثني حمزة بن عُتبة قال:

---

(١) مصر الفرس كمنى: استخرج جريه. والمصارة: الموضع تمصر فيه الخيل.

(٢) الضب: الحقد والغيظ.

(٣) المنقل: الطريق في الجبل.

(٤) اللأواء: الشدّة والضيق.

(٥) اللحب: الواضح. والأخدود: الشق في الارض.

قال أبو دهبل الجُمَحيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها :

إعلَم بأنّي لمن عاديتَ مُضطغِنٌ ... ضَباً وأنّي عليك اليوم محسودُ

قلتُ فيها نصف بيت ... وأنّ شكرك عندي لا أنقضاء له ... ثم أرتجَ عليّ، فأقمتُ حولين لا أقعُ على تمامه، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان، فقلت : ما لُبنان ؟ فقال : جبل بالشام، فأتممتُ نصف البيت :

ما دام بالهَضْب من لبنان جُلمودُ

تفضيله على نصيب :

قال الزبير وحدّثني محمد بن حَبَش المخزوميّ قال :

دخل نُصَيبٌ على إبراهيم بن هشامٍ وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها، فقال ابراهيم بن هشام : ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا أبن الأزرق حيث قال :

إن تَغدُ من مَنقَلَيْ نَجرانَ مرتحِلاً ... يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضِب نُصَيبٌ فحَمِي فنزع عمامته وطرَحها وبرَكَ عليها، ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل .

قال الزبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيميّ قال :

كان ابراهيم بن هشام جبّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهر. فإذا أذِنَ للناس أذِنَ معهم لشاعر، فيُنشد قصيدةَ مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام . فأذِن لهم يوماً، وكان الشاعرُ الذي أذِن له

معهم نُصَيباً وعليه جُبَّةُ وَشْيٍ ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قصيدةَ لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدةُ هشام أشعرُ، فأراد الناسُ مُمالحةَ نُصَيب فقالوا : ما أحسنَ هذا يا أبا مِحجَن ! أعِدْ هذا البيت . فقال إبراهيم : أكثرتم، إنه لشاعرٌ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق :

إن تُمسِ من مَنقَلَيْ نَجران مرتحِلا   يَبِن من اليمن المعروفُ والجود
ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها   لما اعترى الناسَ لأواءٌ ومجهود

وحَمِي نصيبٌ فقال : إنَّا والله ما نصنع المديحَ إلا على قَدْر الرجال، كما يكون الرجلُ يُمدح . فعمّ الناسَ الضَحِكُ وحَلُم عنه، وقال الحاجب : ارتفعوا، فلما صاروا في السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا : أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبَّار ! وحَلْم من غير حلم .

قال الزبير وحدّثني عمي مصعب قال :

خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلقِيه معزولاً، فشقّ ذلك عليه واسترجع، فقال له ابن الأزرق : هوِّن عليك ! لم يَفُتْك شيء، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهبل :

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ   عنه المكارمُ تغشاه وما نَزَعا

وحدّثني محمد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثني أبو تَوبة صالح بن محمد بن دُرّاج قال حدّثنا أبو عمرو الشيبانيّ قال :

ولّى عبدُ الله بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ

الثَّبت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزبيد[١]، فقال لابن الازرق : هَلُمّ حسابَك؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وخرج متوجهاً الى مكة . فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوقّاصي فأذن له فرجع معه، حتى اذا دخلوا صنعاء لقيهم بَحِير بن رَيسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرهم، ومضى ابنُ الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن، فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبق منه درهم. فقال أبو دهبل :

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنه المكارمُ تغشاه وما نَزَعَا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصي، فلم يَصنع به خيراً . فقال أبو دهبل :

ماذا رُزِئنا غداةَ الخَلِّ[٢] من رِمَعٍ[٣] ... عند التفرّق من خِيمٍ ومن كَرَمِ
ظلّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما ... سمّى وقال لنا في قولِه نَعَمِ

— نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أجرِيَتْ حركتُه الخفضَ لأنه أولى بالساكن — .

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعيُننا ... لما تولّى بدمعٍ واكفٍ سَجِمِ[٤]
تَحمِلُه الناقةُ الأدماءُ مُعتجِراً ... بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَم
وكيف أنساكَ لا أيديك واحدةٌ ... عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ

---

(١) زبيد : اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف الا به . وهي مدينة مشهورة باليمن .

(٢) الخل : موضع باليمن في وادي رمع .

(٣) رمع : موضع باليمن، وقيل : هو جبل باليمن .

(٤) السجم : السائل .

حتى لقينا بَجيراً عند مَقدَمِنا في موكب كضِباع الجزع(١) مُرتكِم
لما رأيتُ مُقامي عند بابهمُ وَدِدتُ أني بذاك الباب لم أُقِم

وبجير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل :

صوت

بَجير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ(٢) يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ
له نفحاتٌ حين يُذكر فضلُه كسيل ربيع في ضَحاضِحةِ السَنَدْ(٣)

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه لِيان، وذكر الهشاميّ أنه لابن جامع :

مدائحه في ابن الازرق :

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيبانيّ قال :

كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمدّ يدَه الى أموالها وأعطى أعطيةً سنيَّة وبثّ في قريش منها أشياء جزيلةً فأثنت عليه قريش ووفدوا اليه فأسنى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبدَ الله بن الزبير فحسَده وعزَله بابراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص. فلما قدِم عليه أراد أن يحاسبَه، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وقدِم مكة؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزبير عليه

(١) الجزع : منعطف الوادي، وقيل : هو رمل لا نبات فيه . وارتكم الشيء : اجتمع .

(٢) الجند : موضع باليمن، هو أجود كورها .

(٣) الضحضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره . والسند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .

أن يفتّشه أو يَكشِفَه فلبست السلاح وخرجت اليه لتمنعه ؛ فلما لَقِيَهم نزلتْ اليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسَطتْ له أرديتَها وتلقّته إماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوّة[١] والعود المَندَلِيّ يبخّرون بين يديه حتى انتهى الى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء الى ابن الزبير فسلّم عليه وهم معه مُطِيفون به . فعلم ابن الزبير أنّه لا سبيل له اليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء . ومَضى الى منزله . فقال أبو دهبل :

فمن يك شانَ العزلُ أو هدّ ركنَه ... لأعدائه يوماً فما شانكَ العزلُ
وما أصبحتْ من نعمة مُستفادةٍ ... ولا رَحِمٍ إلا عليها لكَ الفضل

وقال أبو دهبل ايضاً فيه — أخبرني بذلك ابن المَرزُبان عن أبي تَوبة عن أبي عمرو الشيباني؛ وأخبرني به الحرميّ عن الزبير عن عمه — :

عُقمَ النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه ... إن النساء بمثله عُقْمُ
متهلِّلٌ بنَعَمْ بلا مُتباعِدٌ ... سيّانِ منه الوفر والعُدْم
نَزْرُ الكلام من الحياء تخاله ... ضَمِناً[٢] وليس بجسمه سُقْم

وفود على سليمان الخليفة :

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال :

قال أبو دهبل يمدح ابن الأزرق :

بأبي وأمّي غيرَ قول الباطلِ ... الكاملُ ابن الكامل ابن الكاملِ
والحازمُ الأمرِ الكريمُ برأيه ... والواصلُ الأرحام وابنُ الواصل
جمعَ الرياسةَ والسماحَ كليهما ... جَمْعَ الجفيرِ[٣] قِداحَ نبل النابل

---

(١) الألوّة : العود يتبخر به .

(٢) الضمن : المريض .

(٣) الجفير : جعبة السهام .

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني سليمان بن عَبَّاد قال حدّثني أبو جعفر الشُّوَيفِعي (رجل من أهل مكة) قال:

قدِم سليمان بن عبد الملك مكة في حرّ شديد، فكان يُنقَلُ سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء. فلما بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل، فقال سليمان: أين أبو دهبل الشاعر؟ عليّ به؛ فأُتي به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِتنةٌ يُشعلها ورّادُها حطبَ النار فدعها تشتعِلْ
فإذا ما كان أمنٌ فأْتِهمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزِل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعونَ مروانَ كيما يَستجيبَ لهم وعند مروان خار القومُ أو رقدوا
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَدٌ[1] عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامةَ! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فُتِنوا فكاشفوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنما فُتِنتُ فقلت بلساني، فلِمَ لا يُعفى عنّي! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بجاذان باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ! قال: أردتُ أن أُميته وأُميتَ ذكرَه بها.

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة:

أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلةً

---

(١) الجسد: الذي لا يعقل ولا يميز.

يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها، وكانت هي أيضاً محبةً له. وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح، وكان يحمل الحمالة وكان مُسوَّداً؛ وزعمت بنو جمح أنه تزوّجها بعد، وزعم غيرُهم من الرّواة أنه لم يصل اليها ولم يَجْر بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدّم الى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن اليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقُلنَ: قد علِق امرأةً؛ قالت: وما ذاك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لكِ وأنّك عاشقة له. فرفعت مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم وبينها، وكتبت الى أبي دهبل تَعذُله وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه. فعند ذلك يقول:

تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلَّجُ ... وأعيَتْ غواشي عَبرتي ما تَفرَّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنّما ... خلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّج
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً اذا ما لَجّ بي الحزن أنشِج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى أن يُوصل الحبلُ أحوج
رأوا غِرّةً فاستقبلوها بألبهم ... فراحوا على ما لا نحبّ وأدلجوا
وكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غيبَهم ... فلم يَنههم حلم ولم يتحرّجوا
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ... علينا وشبّوا نار صُرم تأجّج
ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلحِموا قولًا من الشرّ يُنسَج
لأوشكَ صرفُ الدهر يفرّق بيننا ... وهل يَستقيم الدّهرُ والدهرُ أعوج
عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاة ومَخرج
فيُكبَتَ أعداءٌ ويَجذَل آلِفٌ ... له كبد من لوعة الحب تَنضَج
وقلتُ لعَبّادٍ وجاء كتابُها ... لهذا وربّي كانت العين تَخلج
وخطّطتُ في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ ولهان مُلفج
فلما التقينا لَجلَجتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلجلج

وإنّي لمحجوبٌ عشيّةَ زرتُهـا وكنتُ اذا ما جئتُها لا أُعرِّجُ
وأعيا عليَّ القولُ والقولُ واسعٌ وفي القول مُستَنٌّ[1] كثيرٌ ومَخرَجُ

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال:

أتيتُ ابنَ أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جارية مغنّية لم يرَ أحدٌ مثلَها قط؛ فقال لي: إنّ في البيت والله شيخين كريمَين عليّ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما؛ فلو أقمتَ حتى أطّلِعَ رأيَهما في ذلـك، فدخل ثم خرج إليّ فقال: ادخل فدخلتُ، فاذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُندَب الهذَليّ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً؛ فلما وُضع العودُ في حجرها اندفعتْ تغنّي وتقول:

عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً يكون لنا منها نَجاة ومَخرَجُ
وإنّي لمحجوبٌ غداةَ أزورها وكنتُ اذا ما زرتُها لا أُعرِّجِ

قال: ثم بكت؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له: لعلك أرَبْتها[2] بشيء، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ اليها حتى تقبّل رأسَها وتترضّاها، ففعل.

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تطاوَلَ هـذا الليلُ ما يتبلّجُ وأعيَتْ غواشي عَبرتي ما تَفرَّجُ
أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يَخاف القتل وَلهانُ مُلفَج

(١) المستن: الطريق المسلوك.
(٢) أربتها: أقلقتها وأزعجتها.

الغناء لمعبد ثقيل اول بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم يجنِّسه . وحُكِي أن مالكاً كان اذا سُئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوَّمه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ .

صوت

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن الى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرة َ المنى وطوراً اذا ما لَجَّ بي الهمّ أنشِج

الغناء لمالك ثقيل اول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

رثاؤه الحسين :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي مُصعَب قال :

قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواتُه :

تَبيتُ سُكارى من أميّة نُوَّماً وبالطَّفّ قتلى ما يَنام حَميمُها
وما أفسد الإسلامَ إلا عصابةٌ تأمّر نَوكاها ودام نعيمُها
فصارت قناةُ الدّين في كفّ ظالمٍ اذا أعوجّ منها جانب لا يُقيمها

قصيدته الدالية :

قال الزبير وحدّثني يحيي بن مِقداد بن عِمران بن يعقوب الزَّمْعي قال حدّثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها :

سقى اللهُ جازاناً فمن حلَّ وَليَه فكلَّ فَسِيلٍ من سَهام وسُردُدِ[١]
ومحصولَه الدارَ التي خيَّمتْ بها سقاها فأروى كلَّ ربع وفَدْفد[٢]
فأنتِ التي كلَّفتِني البِرْكَ[٣] شاتياً وأورَدتِنيه فانظري أيَّ مَورد

صوت

فوانَدَمي أن لم أُعجْ إذ تقول لي تقدَّمْ فشيِّعنا الى ضَحوة الغَدِ
تكن سكناً أو تقدرُ العين أنها ستبكي مراراً فاسلُ من بعد واحْمَد
فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

– الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لبذْل الكبير رمل عن الهشاميّ – :

لعلَّك أن تلقى محبّاً فتشتني برؤية رِيم بَضَّةِ المُتجرَّدِ
بلاد العدا لم تأتها غيرَ أنها بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنجِد[٤]
وما جعلت ما بين مكة ناقتي الى البِرْكَ إلّا نومةَ المتهجّد
وكانت قُبيلَ الصبح تَنبِذ رحلَها بدُومةَ[٥] من لَغط القطا المتبدّدِ

قال فقلت : يا عمي فما يمنعك أن تكتري دابّةً بدرهمين فتشيّعها وتصبحُ معك؟

---

(١) جازان : موضع في طريق حاج صنعاء . والولي : القرب . يقال : داره ولي داري اي قربها . وسهام : اسم موضع باليامة . وسردد : واد مشهور متسع بتهامة اليمن مشتمل على قرى ومدن وضياع .

(٢) الفدفد : الفلاة، وقيل : الارض الغليظة ذات الحصى، أو المكان المرتفع .

(٣) البرك : ناحية باليمن وهو نصف الطريق بين حلى ومكة .

(٤) التهام : المنسوب الى تهامة .

(٥) هي دومة الجندل وهي ما بين برك الغماد ومكة .

فضحك وقال : نفَع الله بك يابن أخي، أمـا علمتَ أن النَّدم توبةٌ، وعمك كان أشغل مما تحسب .

قال الزبير وحدَّثني عمي مصعب بن عبد الله قال :

أنشد رجل أبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أبي دهبل :

سقى الله جازاناً فمن حلّ وَليَه   فكلَّ فسيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ

فلما بلغ قوله :

فواندمي أن لم أُعجْ إذ تقول لي   تقدّم فشيِّعنا الى ضحوة الغـدِ

قال أبو السائب : ما صنع شيئاً ! ألا أكتري حماراً بدرهمين فشيَّعهم ولم يقل « فواندمي » أو أعتذر ! وإني أظنّ أنه قد كان له عذرٌ . قال : وما هو ؟ قال : أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً .

قصيدته الميمية :

فقال الزبير وحدَّثني ابنُ مِقداد قال حدَّثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قوله :

صوت

ألا علِق القلب المتيّمُ كُلثُما   لَجاجاً ولم يَلزَم من الحبّ مَلزَما

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما   أصات المنادي بالصلاة فأعتما [١]

فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ   من الحيّ حتى جاوزتْ بي يَلَملَما [٢]

(١) أعتم : دخل في العتمة .

(٢) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن .

ومرّت ببطن الليث[١] تهوي كأنها تُبادِر بالإدلاج نَهباً مقسَّما

— غنّى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ. قال: وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ. وفيه لِقِيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أبيه عن الهشاميّ. وقال الهشاميّ: فيه لحَكَم ثقيلٌ أول. وذكر أبو أيوب المدينيّ في أغاني ابن جامع أنّ فيه لحناً ولم يجنّسه —.

وجازَتْ على البَزْواء[٢] والليلُ كاسرٌ جناحَيْن بالبَزْواء وَرْداً وأدهَما

فما ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنَتْ بعُلَيَّبَ[٣] نخلاً مشرفاً أو مخيِّما

ومرّت على أشطان رَوْنَق بالضّحى فما خَزَرَتْ[٤] للماء عيناً ولا فما

وما شربتْ حتى ثنيتُ زمامَها وخِفتُ عليها أن تَخِرّ وتُكلما

فقلت لها قد بنتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبح وادي البِرك غَيثاً مُديَّما

قال: فقلتُ له: ما كنتَ إلّا على الريح؛ فقال: يابن أخي، إن عمّك كان اذا همّ فعل، وهي الحاجةُ. أما سمعتَ قولَ أخيْ[٥] بني مُرّة:

اذا أقبلتْ قلتَ مشحونةٌ أطاعَتْ لها الرّيحُ قِلعاً جَفُولا

وإن أدبرتْ قلت مذعورةٌ من الرُّبْد[٦] تتبع هَيقاً ذَمولا[٧]

(١) الليث: موضع بالحجاز بين السرّين ومكة.

(٢) البزواء: موضع في طريق مكة قرب الجحفة.

(٣) عليب: واد بتهامة.

(٤) الخزر: ضيق العين وصغرها أو هو النظر الذي كأنه في احد الشقين.

(٥) هو بشامة بن الغدير.

(٦) الربد: النعام، من الربدة وهي لون بين السواد والغبرة.

(٧) الهيق: الظليم أي ولد النعام. والذمول: السريع.

وإن أعرضتْ خال فيها البصير ما لا تكلفه أن يَميلا
يَدا سُرُحٍ مائل ضَبعُها تسوم وتُقدم رجلًا زَحولا[١]
فمرَّت على خُشُبٍ غُدوةً ومرّتْ فُوَيق أرَيْكٍ[٢] أصيلا
تخبط بالليل حُزّانه[٣] كخبطِ القويِّ العزيزِ الذليلا

وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال: أنشدت رَيَّان السوّاق قولَ أبي دهبل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ
ولا تَصرِميني أن تَرَيني أحبّكم أبوء بذنبٍ إنّني أنا أظلمُ

فقال: أحسن، أحسن الله اليه؛ ما بعد هذا شيء.

وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أَمِنّا أناساً كنتِ قد تأمَنِينَهم فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كثّروا علينا وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ
لقد كُحِلتْ عيني القَذى لفراقكم وعاودها تَهتانها فهي تَسجُمُ
وأنكرتُ طيبَ العيشِ مني وكُدِّرتْ عليَّ حياتي والهوى متقسَّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفا رملٍ أحدُهما بالوسطى لمتيَّمَ والآخر بالبنصر لعَريب.

(١) السرح من الابل: السريعة المشي. والضبع: وسط العضد بلحمه وقيل: العضد كلها وقيل: الابط. وتسوم: تمرّ مسرعة.
(٢) أريك: واد في بلاد بني مرّة.
(٣) حزان: جمع حزن، وهو ما غلظ وصلب من الارض مع إشراف قليل.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي قال حدّثني القاسم بن المعتمِر الزُّهريّ قال:

قلتُ لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أمَا أحسن أبو دهبل حيث يقول:

صوت

أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنّي إذاً لصبورُ
هَبُوني امرأً منكم أَضلّ بعيرَه له ذمّة إنّ الذِّمامَ كبيرُ
ولَلصّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أن يَضِلّ بعيرُ

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنتُ والله لا أحبُّك وتَثقُل عليّ، فأنا الآن أحبُّك وتخِفّ عليّ.

وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانِيه. وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما. وأوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر، وهو:

عفا اللهُ عن ليلى الغَداةَ فإنها اذا وَلِيَتْ حُكماً عليّ تجورُ

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي مصعب ومحمد بن الضحّاك عن أبيه:

أن أبا رَيحانة عمّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد الله بن الزبير، فتوعّده عبد الله بن صفوان، فلحِق بعبد الملك بن مروان، فاستمدّه الحجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف؛ فأشرف أبو رَيحانة على أبي قُبَيس فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله. فقال له ابن الزبير: مهلًا يابنَ أخي! فقال: قلنا لك ائذَنْ لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا الى ما ترى من الكثرة. قال: وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمّه أبا ريحانة — واسمه عليّ بن أسيد بن أُحيحَة —:

ولا تُوعِد لتقتله علياً ... فإن وعيدَه كلأٌ وَبِيلُ
ونحن ببطن مكَّة إذ تَداعَى ... لرهطك من بني عمرو رَعيلُ(١)
أولو الجمع المقدّم حين ثابوا ... اليك ومن يودّعهم قليل
فلما أن تفانَينا وأودى ... بثروتنا الترّحلُ والرحيل
جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبَةُ او سَلول

رثاؤه ابن الازرق :

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيبانيّ قال :

مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلَيب، فلما احتُضِر أبو دهبل ايضاً أوصى أن يُدفن عنده . وفيه يقول أبو دهبل يَرثيه — عن أبي عمرو الشيبانيّ — :

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُليَبٍ ... فتًى كان من أهل الندى والتكرّمِ
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمِّم
أألحقّ أني لا أزال على مِنًى ... اذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِم
سقى اللهُ أرضاً أنت ساكنُ قبرها ... سِجال الغَوادي من سَحِيلٍ ومُبرَم(٢)

يطلب ميراثه :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي قال حدّثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال :

وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده؛ ثم رجع من الطريق فقال :

إسلَمي أمَّ دهبلٍ بعد هَجرٍ ... وتقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ
واذكري كرّيَ المطيَّ إليكم ... بعد ما قد توجّهتْ نحو مصر
لا تخالي أنّي نسيتُك لمّا ... حال بِيشٌ(٣) ومن به خلف ظهري

(١) الرعيل : كل قطعة متقدّمة من خيل ورجال .
(٢) السحيل : الخيط غير المفتول . والمبرم : المفتول .
(٣) بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك .

إن تكوني أنت المقدّم قبلي وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري

قال إبراهيم: فوقفتُ على قبره الى جانب قبرها بعُلَيَبٍ.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيي

ألا أيها الشادنُ الأكحلُ الى كم تقول ولا تفعلُ
الى كم تجود بما لا نريد منك وتمنع ما نَسأل

الشعر للحسين بن الضحاك. والغناء لأبي زَكّارِ الأعمى، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر.

أخبار حسين بن الضحاك ونسبه

الحسين بن الضحّاك باهليٌّ صَليبةٌ(١)، فيما ذكر محمد بن داود بن الجرّاح؛ والصحيح أنه مولى لباهِلة. وهو بَصريّ المولد والمَنشأ، من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه اولُ من جالس منهم محمدُ الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرُّف في الشعر حلو المَذهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها. واذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسَبه الناس الى ابي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبَق اليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه وتُذكر في أماكنها. وكان يلقَّب الخليعَ والأشقرَ، وهاجى مُسلِمَ بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيّد. وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلّف. وعُمّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المُستعين او المنتصر.

وحدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال:

كان حسين بن الضحّاك بن ياسِر مولًى لباهلة، وأصلُه من خُراسان؛ فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جَحَده، وكان يلقَّب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهليّ ابنا خالة.

وحدّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال: هو حسين بن الضحّاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة

(١) صليبة: خالص النسب.

الباهليّ . قال الصوليّ : وسألتُ الطيّبَ بن محمد الباهليّ عنه فقال لي : هو الحسين ابن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، وداره في بني مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين، أرانيها صاحبُنا سعيد بن مسلم .

قصيدته الخمرية :

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة الكاتب ومحمد بن يحيي الصّوليّ قالا : حدّثنا المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس لمّا حَجَجْت قصيدتي التي قلتُها في الخمر وهي :

بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآءِ[1] ومن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء

فلما أنتهيتُ منها الى قولي :

حتى إذا أُسنِدَتْ في البيت وأحتُضِرتْ عند الصَّبوح بيسَّامين أكفاءِ
فُضَّتْ خواتمُها في نَعت واصفها عن مثل رَقراقةٍ[2] في جفن مَرهاءِ[3]

قال : فصَعِق صعقةً أفزعني، وقال : أحسنتَ والله يا أشقر ! فقلتُ : ويلك يا حسن ! إنك أفزعتني والله ! فقال : بلى والله أفزعتني ورُعتَني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بدّ أن ينتهي اليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني اليه واختلسته منّي، وستعلم لمن يُروى أَلِي أم لك؛ فكان والله كما قال، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال :

---

(١) الآء : شجر الدفلي (نبت مر زهره كالورد الاحمر) .

(٢) الرقراقة : الدمعة التي تترقرق في العين ولا تسيل .

(٣) المرهاء : المرأة التي لم تكتحل .

سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول: لما قلت قصيدتي:

بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآء

أنشدتُها أبا نواس، فقال: ستعلم لمن يَرويها الناسُ أَلِي أم لك؛ فكان الأمرُ كما قال، رأيتُها في دفاتر الناس في اول أشعاره.

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين ابن الضحّاك، فذكروا نحواً منه.

ازورار المأمون عنه:

أخبرني الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشرس، قال الصوليّ وحدّثنيه عَون بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال:

لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار الى بغداد، أمر بأن يُسمّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءهم حتى بلغَ الى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هلّا بَقيتَ لسَدّ فاقَتِنا أبداً وكان لغيرك التَلَفُ
فلقد خلفتَ خلائفاً سلفوا ولَسوفَ يُعوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق. ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه له وتعريضِه به. قال: وانحدر حسينٌ الى البصرة فأقام بها طولَ ايام المأمون.

أخبرني عمي والكوكبيّ بهذا قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا

عبد الله بن الحارث المَروَزِيّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السِّنديّ بن هاشك، فذكر مثله سواء .

قال ابن أبي طاهر فحدّثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال :

دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتانِ للحسين بن الضحّاك، فقلت : يا أمير المؤمنين، أحبّ أن تسمع مني بيتين؛ فقال : أَنْشِدْهما فأنشدتُه :

حَمِدنا اللهَ شكراً إذ حبانا بنصرك يا أميرَ المؤمنينا
فأنت خليفةُ الرحمن حقًّا جمعتَ سماحةً وجمعتَ دِينا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلتُ : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلتُ : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا ؛ فقال : وما هو ؟ فأنشدتُه قوله :

صوت

أَيَبخَل فردُ الحسن فردُ صفاتِه عليّ وقد أفردتُه بهوًى فَردِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعد ما قال في أخي محمد وقال .

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللهُ تعالى، وعلى أن الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بيّناً، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوي أيضاً في أخباره أنه دفعها الى ابن البوّاب فأوصلها الى ابن المأمون، وكان له صديقاً . ولعلّ الغَلَط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة الى حسين بن الضحاك والى ابن البواب الدالية لإبراهيم بن المهدي خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر. وفيها لعبيد الله بن موسى الطائي رمل بالبنصر.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لستَ تطرَح على جواريّ وغلماني ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك إبعث الى منزلي فجئ بالدفاتر واُختَرْ منها ما شئتَ حتى ألقيَه عليهم؛ فبعث الى منزلي فجيء اليه بدفاترِ الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر مما فيه، فمرّ به شعر الحسين بن الضحاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو:

أَطِلْ حَزَناً وأَبكِ الإمامَ محمداً بحزن وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا
فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمدٍ ولا زال شَمْل الملك منها مُبَدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا

فقال لي صالح: أنت تعلم أنّ المأمون يجيء اليّ في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلا! ثم دعا بسكّين فجعل يحُكّه؛ وصعِد المأمونُ من الدَّرَجة ورمى صالح الدفترَ. فقال المأمون: يا غلام الدفترَ، فأُتي به، فنظرَ فيه ووقف على الحَكّ فقال: إن قلت لكم: ما كنتم فيه تَصدُقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: إبعث فجِئ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أراه فأمر بحكّه؛ قلنا: كذا كان. فقال: غنِّه يا عمرو؛ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، الشعر لحسين ابن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غنِّه فغنّيتُه؛ فقال: ارْدُدْه فردَدتُه ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يَضرُرْك عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحاك، وكان نديمه وصديقه:

يا سَعيد وأين مني سعيد

مراثيه في الأمين :

وللحسين بن الضحاك في محمد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جيـاد ، وكان كثيرَ التحقق به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه ومَيْله اليـه وتقديمه إياه . وبلغ من جَزعه عليه أنه خُولِط؛ فكان يُنكر قتلَه لمَّا بلغه ويدفعه ويقول : إنه مُستتِرٌ وإنه قد وقف على تفرّق دُعاته في الامصار يدعون الى مُراجَعة أمره والوفـاء ببيْعته ضنًّا به وشفقةً عليه . ومن جيِّد مراثيه إياه قولُه :

صوت

سألونا أن كيف نحن فقلنا مَن هَوى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قوم أصابنا حَدثُ الدهـر فظَلْنا لرَيبه نَستكين
نتمنّى من الأميـن إياباً لَهفَ نفسي وأين مني الأمين

وفي هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى . وفيها لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ .

ومن جيِّد قوله في مراثيه إيَّاه :

أعزّي يا محمد عنك نفسي مَعاذَ الله والأيدي الجِسامِ
فهـلّا مات قوم لم يموتوا ودُوفع عنـك لي يوم الحِمام
كأن الموتَ صادف منك غُنْما أو اَستشفى بقُربك من سَقام

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عليّ ابن محمد النَّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبَّاد : قال لي المأمون وقـد قدمت من

البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْرِكم ؟ قلتُ : ما أعرفه؛ قال : ذاك الحسين بن الضحّاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم . أليس هو الذي يقول:

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده   فملّكه والله أعلم بالعبدِ

قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغَ من بيته هذا؛ فاكتب اليه فاستقدِمْه؛ وكان حسين عليلاً وكان يخاف بوادرَ المأمون لما فرَط منه؛ فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين، علّتُه تمنعه من الحركة والسفر. قال : فخُذْ كتاباً الى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه اليه فقبض المال .

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيد الأزديّ يقول : حسين بن الضحّاك أشعر المُحدَثين حيث يقول :

أيُّ ديباجةِ حُسْنِ   هيّجتْ لوعة حزني
إذ رماني القمر الزا   هر عن فَترة جفن
بأبي شمسُ نهارٍ   برَزَتْ في يوم دَجْن
قرّبتني بالمنى حتى   اذا ما أخلفتْني
تركتني بين ميعا   د وخُلفٍ وتَجنّي
ما أراني لي من الصبوة   إلّا حسنُ ظنّي
إنما دامت على الغد   رِ لِما تعرف منّي
أستعيذ اللهَ من أعـ   ـراض من أعرض عنّي

عند المعتصم :

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال :

لمّا ولِي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضحّاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم. فلما دخل وسلّم استأذن في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قولَه:

هلّا سألت تلذُّذَ المشتاقِ ... ومَننت قبل فراقه بتَلاقِ
إنّ الرقيب ليَستريبُ تنفُّساً ... صُعُداً اليك وظاهرَ الإقلاق
ولئن أرَبتُ[1] لقد نظرتُ بمقلةٍ ... عَبرى عليك سخينةِ الآماق
نفسي الفِداء لخائفٍ مترقِّب ... جعل الوَداعَ إشارةً بعِناق
إذ لا جوابَ لمفحَمٍ متحيِّرٍ ... إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى أنتهى الى قوله:

خيرُ الوُفود مبشِّرٌ بخلافةٍ ... خَصَّتْ ببهجتها أبا إسحاقِ
وافته في الشهر الحرام سليمةً ... من كل مُشكلة وكلّ شِقاق
أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً ... قبل الأكُفّ بأوكد الميثاق
سكن الأنامُ الى إمام سلامةٍ ... عفِّ الضمير مهذَّبِ الأخلاق
فحمى رعيَّته ودافع دونها ... وأجار مُملِقَها من الإملاق

حتى أتمّها. فقال له المعتصم: أدْنُ منّي فدنا منه؛ فملأ فمه جواهراً من جوهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنظَم ويُدفع اليه ويخرج الى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه. فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذٍ.

ومما قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال:

قل للألى صرَفوا الوجوه عن الهدى ... متعسّفين تعسّفَ المُرّاقِ

---

(١) أراب الرجل: كان ذا ريبة.

إني أحذرِكم بوادرَ ضيغمٍ دَرِبٍ بحطمِ موائلِ الأعناقِ
متأهبٍ لا يستفزّ جنانَه زَجلُ الرعودِ ولامعُ الإبراق
لم يَبقَ من متعرّمين[1] توثّبوا بالشام غيرُ جماجمٍ أفلاق
من بين مُنجدِلٍ تمجّ عروقُه عَلَقَ[2] الأخادع او أسيرٍ وَثاق
وثنى الخيولَ الى معاقل قيصرٍ تختال بين أحزّةٍ[3] ورِقاق
يحملن كلَّ مُشمّرٍ مُتغشّمٍ ليثٍ هِزَبْرٍ أهرتَ الأشداق[4]
حتى اذا أمَّ الحصونَ مُنازلًا والموتُ بين ترائبٍ وتَراقِ[5]
هرّتْ بطارقُها هريرَ قساورٍ بُدِهَتْ بأكرهِ منظرٍ ومَذاق[6]
ثم أستكانت للحصار ملوكُها ذُلًّا وناط حلوقَها بخِناق[7]
هربتْ وأسلمتِ الصليبَ عشيّةً لم يَبقَ غيرُ حُشاشةِ الأرماق

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا. فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال: سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنها ويستظرفها جدًّا وهما:

---

(١) المتعرّمون: ذوو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخلق.

(٢) العلق: الدم. والاخادع: عروق في العنق.

(٣) الأحزة: جمع حزيز وهو الغليظ من الارض. والرقاق: المستوية اللينة منها.

(٤) المتغشم: الغضوب. وهرت الاشداق: سعتها. والأسود توصف بذلك.

(٥) الترائب: عظام الصدور وفوقها التراقي، مفرده ترقوة.

(٦) هرّت: صوّتت. والقساور: الشجعان والأعزة والأشداء من الرجال، واحده قسورة. وبدهت: بغتت.

(٧) الخناق: ما يخنق به من حبل او وتر ونحوه.

إذا ما الماء أمكنني وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صَبَبتُ الفضَّةَ البيضا ءَ فوق قُراضةِ الذهبِ

فقلت له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال : أرَقّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملُهم ظَرفاً حسين بن الضحّاك .

مصالتة ابي نواس :

اخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال : انشدتُ أبا نُواس قصيدتي :

وشاطِريّ[1] اللسان مختلِق التكـريه شاب المُجونَ بالنُّسُكِ

حتى بلغتُ الى قولي :

كأنما نُصْبَ كأسه قمرٌ يكرَعُ في بعض أنجُم الفلكِ

قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه يُقبِّل في داجٍ من الليل كوكبا

قال : فقلت له : يا أبا عليّ هذه مُصالَتة[2] . فقال لي : أتظن أنه يُروى لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ ! أخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال :

(١) شاطريّ : نسبة الى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً . وكان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد .

(٢) المصالتة عند الشعراء هي أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى، وهي من أقبح السرقات الشعرية، من الصلت بمعنى اللص .

انشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك :

كأنما نُصْبَ كأسِه قمرٌ   حاسده بعد أنجُم الفلكِ
حتى اذا رنّحته سَوْرتها   وأبدلته السكونَ بالحرَكْ
كشفتُ عن وَرْدَة مسنّمة   في لين صِينيَّة من الفلك[١]

فقال لي إبراهيم بن المدبِّر : إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرَق منه هـذا المعنى حين يقول : يقبِّل في داج من الليل كوكبا   فإن كان سرَقه منه فهو أحقُّ به لأنه قد برَّز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصّر عنه .

مع الواثق :

أخبرني محمد بن يحيي الخراسانيّ قال حدّثني محمد بن مُخارِق قال :

لمَّا بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل عليـه الحسين بن الضحَّاك فأنشده قصيدَته التي أوّلها :

صوت

ألم يَرُع الإسلامَ موتُ نصيرِه   بَلى حَقّ أن يرتاع من مات ناصرُهْ
سيُسليك عمّا فات دولةُ مُفضِلٍ   أوائله محمـودةٌ وأواخرُهْ
ثنى الله عِطفَيه وألَّف شخصَه   على البِرّ مُذْ شُدّت عليه مآزِرُهْ
يَصَبُّ ببذْل المـال حتى كأنما   يرى بذلَه للمال نَهباً يُبادرُهْ
وما قـدّم الرحمنُ إلّا مقدَّماً   مواردُه محمـودةٌ ومصادرُهْ

فقال الواثق : إن كان الحسين لَينطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة . ثم أمر

(١) الصينية : الإناء المعروف . والفلك : التل من الرمل .

بأن يُعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان، منها لعَريبَ في طريقة الثقيل الاول :

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عمرو الرّوميّ قال :

لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها :

سيُسليك عمّا فات دولةُ مُفضِلٍ أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ
وما قدّم الرحمٰنُ إلّا مقدّماً مواردُه محمودةٌ ومصادرُهْ

قال : فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر، فقال لي : نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول :

جَرى لك من هارونَ بالسعد طائرُهْ إمامُ اعتزام لا تُخاف بوادرُهْ
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ مواردُه محمودةٌ ومصادرُهْ

قال : فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين، وإنما كان يروي للأوائل ويتعصّب على المحدَثين وعلى ابي العتاهية خاصّةً .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

صوت

جرى لك من هارون بالسعد طائرُهْ إمامُ اعتزامٍ لا تُخاف بوادرُهْ
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ مواردُه محمودة ومصادره
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُقى مُسَلَّمةٌ من كل سوء عساكره
لِتُغمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُهْ

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصُّولِيّ. وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسِر. والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ.

صوت

سَيُسلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفضِلٍ   أوائله محمودةٌ وأواخـرُهْ
ثنى الله عِطفَيـه وألّف شخصَه   على البِرّ مُذ شُدّت عليه مآزِرُه

الشعر لحسين بن الضحّاك. والغناء لعَريبَ ثقيل اول مطلق. وفيه لقَلَم[١] الصالحيّة خفيفُ رمل، وهو أغرب اللحنين ولحن عَريبَ المشهور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني عليّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجاء قال حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنّا مع الواثق بالقاطُولِ[٢] وهو يتصيّد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَوّ[٣] من الإوَزّ والدرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب، وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضحّاك فأنشده:

سقى اللهُ بالقاطُول مَسرَحَ طرفكا   وخصّ بسُقياه مناكبَ قصرِكا

حتى أنتهى الى قوله:

---

(١) هي جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات.

(٢) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصراً سماه أبا الجند.

(٣) الزوّ: نوع من السفن كان منتشراً في العصر العباسي.

تَحِنّ للدُّرّاج في جَنَباتـه   وللغُرّ آجالٌ قُدِرْنَ بكفّكا
حُتُوفاً اذا وجّهتَهنّ قواضِباً   عِجالاً اذا أغريتهنّ بزجركا
أبحتَ حَمـاماً مُصعِداً ومُصوِّباً   وما رِمْتَ[١] في حاليك مجلسَ لهوكا
تصرّفُ فيه بين نايٍ ومُسمِعٍ   ومشمولةٍ[٢] من كفّ ظبيٍ لسَقْيكا
قضيتَ لُبـاناتٍ وانت مخيِّمٌ   مُريحٌ وإن شطّتْ مسافةُ عزمكا
وما نال طِيبَ العيش إلّا مُودَّعٌ[٣]   وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدِّكا

فقال الواثق : ما يعدِل الراحةَ ولذّةَ الدّعة شيء . فلما أنتهى الى قوله :

خُلقتَ أمينَ الله للخَلق عِصمةً   وأمْناً فكلٌّ في ذَراك وظِلّكا
وثِقتَ بمن سمّاك بالغيب واثِقاً   وثبّت بالتأييد أركانَ مُلكِكا
فأعطاك مُعطيك الخلافةَ شكرَها   وأسعد بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمـارنا، غيرَ مِنّة   عليك بها، أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ   عُداةً لمن عاداك سِلماً لسلمكا
اذا كنتُ من جَدْواك في كل نعمةٍ   فلا كنتُ إن لم أفنِ عمري بشكركا

فطرِب الواثق فضرب الأرضَ بمِخصَرةٍ كانت في يده، وقال : لله درّك يا حسين ! ما أقرب قلبَك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنـين ، جودُك يُنطِق المُفحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر . فقال له : لن تنصرف إلّا مسروراً؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

حدّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدّثنا أبو العبّاس الرّياشيّ قال حدّثنا الحسين بن الضحّاك قال :

---

(١) رام المكان : زال عنه وفارقه .

(٢) المشمولة : الخمر الباردة .

(٣) المودع : المرفه .

دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطْخُ[١] غيم، فقال لي: ما الرأي عندك في هذا اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما حكم به وأشار اليه قبلي أحمد بن يوسف؛ فإنه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض. فقال: وما قال؟ فقلت قال:

أرى غيماً تؤلّفه جَنوبٌ وأحسَبه سيأتينا بهَطلِ
فعين الرأي أن تدعو بِرِطلٍ فتشربه وتدعو لي بِرِطل

فقال: أصبتما؛ ودعا بالطعام وبالشراب والمغنّين والجلساء، واصطبحنا.

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني الحسين بن عُلوان قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله الكاتب قال:

كان حسين بن الضحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا الى أن مضى ثُلثٌ من الليل، فأمر بأن يبيتَ مكانَه. فلما أصبح خرج الى الندماء، وهم مقيمون، فقال لحسين: هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها؟ فقال: لم يمضِ شيء، وأنا أقول الساعة؛ وفكّر هنيهةً ثم قال:

حَثَّتْ صَبوحي فكاهةُ اللّاهي وطاب يومي بقرب أشباهي
فاستَثِرِ اللهوَ من مكامنه من قبل يومٍ منغّصٍ ناهي
بابنة كَرْمٍ من كفّ مُنتَطِقٍ[٢] مؤزّر بالمجُون تَيّاه
يَسقيك من طرفه ومن يده سقيَ لطيف مجرّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها حيرانُ بين الذّكور والساهي

قال: فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته، واصطبح يومَه ذلك معهم؛ وقال: نحقّق قولك يا حسين ونقضي لك كلّ أرَب وحاجة.

---

(١) لطخ غيم: قليل غيم.

(٢) المنتطق: اللابس المنطقة وهي كل ما شددت به وسطك.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن مُغيرة المهلّبي قال حدّثنا حُسين بن الضحّاك قال :

كانت لي نَوبةٌ في دار الواثق أحضُرها جَلَس أو لم يجلس . فبينا أنا نائم ذات ليلةٍ في حجرتي، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال : قُمْ فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً والى جَنبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمة، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد الى فراشه ؛ فغضبتْ حَظيّتُه وتركته حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتَها؛ فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال : اُختُلِستْ عزيزتي، ويحكم أين هي! فأُخبِر أنهـا قامت غَضبى ومضت الى حجرتها، فدعا بك . فقلت في طريقي :

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسةً   فلها العُتْبى لدَيْنـا والرّضا
يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً   فاْغفِريها واْصفَحي عمّا مضى
واْتركي العذلَ عـلى من قاله   واْنسُبي جوْرِي الى حكم القضا
فلقد نَبّهتِني من رَقْدتي   وعلى قلبي كنيرانِ الغَضا

قال : فلما جئتُه خبّرني القصّة وقال لي : قُلْ في هذا شيئاً ؛ ففكّرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعِدْها يا حسين ؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى الى الجارية وخرجتُ أنا الى حجرتي .

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدّثني الغَلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابِق قال قال لي حسين بن الضحّاك :

كان الواثق يتحظّى جاريةً له فماتت فجزِع عليها وترك الشرب أياماً ثم سَلاها وعاد الى حاله؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين، رأيتُ فلانة في النوم؛ فليت نومي كان طال قليلًا لأتمتّعَ بلقائها؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت :

ليتَ عينَ الدهر عنَّا غَفَلَتْ ورقيبَ الليل عنَّا رَقَدَا
وأقام النومُ في مدّته كالذي كان وكنَّا أبدا
بأبي زَوْرٌ(١) تَلَفَّتُّ له فتنفَّستُ اليه الصُّعَدا
بينا أضحك مسروراً به إذ تقطَّعتُ عليه كمَدا

قال : فقال لي الواثق : أحسنتَ ! ولكنَّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ للَّيل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد الى منامه فرقد .

أخبرني جَحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني حسين بن الضحّاك، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال :

لقيني أبو نُواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربي، فأنشدته :

أَخَوَيَّ حيّ(٢) على الصَّبوح صباحاً هُبَّا ولا تَعِدا الصباحَ رَواحاً
هذا الشَّمِيطُ(٣) كأنه متحيّر في الأُفْق سُدَّ طريقُه فألاحا
ما تأمرانِ بسَكرة قَرَوِيّة قَرَنَتْ الى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحظة . والذي أحفظه :

ما تأمران بقهوة قَرَوِيّة

قال : فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول :

ذكر الصَّبُوحَ بسُحرة فارتاحا وأَمَلّه ديكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له : حسنُ يابن الزانية ! أفعلتها ! فقال : دع هذا عنك، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلّا نُسِب لي .

---

(١) الزور : الخيال يرى في النوم .
(٢) حيّ : منقلة يندب بها ويدعى بها يقال : حيّ على الصلاة، أي هلموا .
(٣) الشميط : الصبح .

أخبرني محمد بن يحيي الصُّولي قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني أبو أمامة الباهليّ عن الحسين بن الضحّاك، قال محمد بن يحيي وحدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ:

أنّ الحسين بن الضحّاك شرب يوماً عند ابراهيم بن المهديّ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدّين والمذهب؛ فدعا له إبراهيمُ بنِطع وسيف وقد أخذ منه الشرابُ؛ فانصرف وهو غضبان. فكتب اليه ابراهيم يعتذر اليه ويسأله أن يجيئه. فكتب اليه:

نديمي غيرُ منسوب الى شيء من الحَيْفِ
سقاني مثلَ ما يشر ب فعلَ الضَّيفِ بالضيف
فلما دارت الكأسُ دعا بالنِّطع والسيف
كذا من يشرب الخمر مع التِّنِّينِ في الصيف

قال: ولم يعد الى منادمته مدّة. ثم إن ابراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد الى منادمته.

حدّثني عمي قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنت أنا وأبو نواس تِرْبين، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة، وكنّا نحضُر مجالسَ الأدباء متصاحبَين، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة، واتّصل بي ما آل اليه أمرُه، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له؛ فخرجتُ عن البصرة الى بغداد ولَقِيتُ الناس ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء، وهذا كلّه في أيام الرشيد، إلّا أنّي لم أصِلْ اليه واتّصلتُ بأبنه صالح فكنتُ في خدمته. فغنّي يوماً بهذا الصوت:

ألَنْ زُمَّ[١] أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

---

(١) زمّ البعير: خطمه وعلق عليه الزمام.

فقال لي صالح : قل أنت في هذا المعنى شيئاً؛ فقلت :

أأن دَبَّ حُسَّادٌ ومَلَّ حبيبُ　　وأورق عودُ الهجر أنت حبيبُ
لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه　　هل الحبُّ إلّا عَبرةٌ ونحيب
كأنك لم تسمع بفرقة ألفةٍ　　وغَيبَةِ وصل لا تراه يؤوب

فأمر بأن يُغنّى فيه . واتّصلتُ بمحمد[1] ابن زُبيدة في أيام أبيه وخدمتُه، ثم اتّصلتْ خدمتي له في أيام خلافته .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أبو العَيناء عن الحسين بن الضحّاك قال : كنت يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النَّبيذ وقد أخذ مني الشَّرابُ مأخذاً قويّاً، فرَددتُ عليه ردّاً أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ، فهاجرني؛ فكتبتُ اليه :

صوت

يابنَ الإمام تركتني هَمَلا　　أبكي الحياةَ وأندبُ الأملا
ما بالُ عينِك حين تلحظُني　　ما إن تُقِلُّ جفونَها ثِقَلا
لو كان لي ذنبٌ لبُحْتُ به　　كي لا يقال هجرتَني مَلَلا
إن كنتُ أعرف زَلّةً سلَفتْ　　فرأيتُ مِيتةَ واحدي عجَلا[2]

– فيه خفيفُ ثقيل يُنسب الى عبد الله بن العَلاء والى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ – قال : فكتب إليّ : قد تلافى لسانُك بشعرك، ما جناه في وقت

(١) هو محمد الامين الخليفة العباسي .

(٢) المعنى أنه يدعو على ولده الواحد بالموت عاجلاً اذا كان يعرف له زلة سلفت .

سكرك . وقد رَضيتُ عنك رِضاً صحيحاً، فصِرْ إليّ على أتمّ نشاطِك، وأكل بِساطك . فعُدتُ الى خدمته فما سكِرتُ عنده بعدها . قال : وكانت في حسين عربدةٌ .

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خَلَف بن المَرزُبان، وألفاظها تزيد وتنقص . وأخبرني ببعضه محمد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّةِ وصولِه الى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك . قال : وحدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه – ولم يقل وَكيع : عن أبيه – واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثه أتمّ، قال :

كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل اليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في إنشادها ؛ فظنّنها له فقال : هاتِ ؛ فأنشده :

أَجِرْني فإنّي قد ظَمِئتُ الى الوعد متى تُنجِزُ الوعدَ المؤكّدَ بالعهدِ
أُعِيذُك من خُلف الملوك وقد بدا تقطُّع أنفاسي عليك من الوجد
أَيبخَلُ فَرْدُ الحسن عنّي بنائلٍ قليلٍ وقد أفردتُه بهوًى فرد

الى أن بلغ الى قوله :

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده فملّكه والله أعلمُ بالعبدِ
ألا إنّما المأمونُ للناس عصمةٌ مميِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشْد

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبد الله ! فقال : يا أمير المؤمنين، أحسن قائلُها ؛ قال : ومن هو ؟ فقال : عبدُك حسين بن الضحّاك ؛ فغضِب ثم قال : لا حيّاً الله من ذكرتَ ولا بَيّاه ولا قرّ به ولا أنعم به عيناً ! أليس القائلَ :

أعينيّ جُودَا وابكيا لي محمدَا ولا تَذخَرا دمعاً عليه وأسعِدَا

فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمــد ولا زال شملُ الملــك فيه مبدَّدا
ولا فرِح المأمونُ بالمُلــك بعده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا

هذا بذاك؛ ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فضلُ إحسان أمـير المؤمنين وَسَعَةُ حلمه وعادتُه في العفو! فأمره بإحضاره. فلما حضر سلّم، فردّ عليه السلام ردّاً جافياً؛ ثم أقبل عليه فقال: أخبِرني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسِرب ظباء من ذُؤابةِ هاشمٍ هَتَفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميّتِ
أَرُدُّ يداً منّي اذا ما ذكرتُه على كبدٍ حَرَّى وقلبٍ مفتَّت
فلا بات ليـلُ الشامتين بغبطةٍ ولا بلَغتْ آمالُهم مـا تمنَّت

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتُها بعـد أن غمرتْني؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني، وسيّد فقدتُه فأقلقني. فإن عاقبتَ فبحقّك، وإن عفوتَ فبفضلك. فدَمَعتْ عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنـك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبـةَ ذنبك امتناعي عن استخدامك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قـال حدّثني أبي قال:

لمّا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنـه، رَمى بأمره الى عمرو بن مَسعَدة وكتب اليه:

أنتَ طَوْدي من بين هذي الهضابِ وشِهابي من دون كلّ شِهابِ
أنتَ يا عمـرو قوّتي وحياتي ولساني وأنت ظُفـري ونابي
أتُراني أنسى أياديـك البيــضَ اذ أسودّ نائـلُ الأصحاب

أين عطف الكرام في مأقِطِ[1] الحا جة يحمُون حوزةَ الآدابِ
أين أخلاقُك الرضيّة حالت فيّ أم أين رقّة الكُتّاب
أنا في ذمّة السّحاب وأظما! إنّ هذا لوصمةٌ في السّحاب
قمْ الى سيّد البريّة عنّي قومةً تستجرْ حسنَ خطاب
فلعلّ الإلهَ يُطفئُ عنّي بك ناراً عليّ ذاتَ التِهاب

قال: فلم يزل عمرو يَلطف للمأمون حتى أوصله اليه وأدرّ أرزاقَه.

حدّثني الصُوليّ قال حدّثني عوْن بن محمد قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأؤدّبنّه! وحجَبني أياماً. فكتبت اليه:

غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدَبِهْ وقد استجرتُ وعُذتُ من غضبِهْ
أصبحتُ معتصِماً بمعتصِمٍ أثنى الإلهُ عليه في كُتُبه
لا والذي لم يُبقِ لي سبباً أرجو النجاةَ به سوى سببه
ما لي شفيعٌ غيرُ حُرمتِه ولكلٍّ من أشفى على عَطَبه

قال: فلمّا قُرئ عليه التفت الى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُستعطَف الكرام؛ ما هو إلّا أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه. فقال له الواثق: هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوزَ عنه. فرضي عنّي وأمر بإحضاري.

هجا العباس بن المأمون:

قال الصوليّ فحدّثني الحسين بن يحيي أنّ هذه الأبيات إنما كتب بها الى

(١) المأقط: المضيق في الحرب. وقد وردت هنا على وجه الاستعارة.

المعتصم ؛ لأنه بلغه عنه أنه مدح العبّاسَ بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ ، فطلبه فأستتر وكتب بها الى المعتصم على يَدَيِ الواثق فأوصلها وشفَع له فرضي عنه وأمّنه فظهر اليه، وهجا العباسَ بن المأمون فقال :

خلِّ اللّعينَ وما أكتسبْ لا زال منقطعَ السَّبَبْ
يا عُرّةَ الثَّقَلَيْن لا دِيناً رعَيتَ ولا حَسَبْ
حَسَدُ الإمامِ مكانَه جهلًا حَذاكَ(١) على العَطَب
وأبوك قدّمه لها لما تخيَّر وأنتخب
ما تستطيع سوى التنفّس والتجرُّع للكرب
ما زلتَ عند أبيك مُنتقَصَ المروءة والأدب

مع صالح بن الرشيد :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا :

كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحّاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوَى خادماً له؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه ، وكان جالساً في صَحنٍ حوله نَرجس في قمر طالع حسنٍ؛ فقال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّي فيها عمرو بن بانة . فقال الحسين :

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلتُ أنّي وما أراكَ أراكا
وإذا ما تنفّس النرجسُ الغَضّ توهّمتُه نسيمَ شذاكا

(١) حذاك على العطب : جعلك محاذياً له يريد أنه قادك اليه وأوقعك فيه .

خُدَعٌ للمُنى تعلّلني فيـــك بإشراق ذا ونفحة ذاكا
لأدُومنّ يا حبيبي على العهد لهــذا وذاك اذ حَكَياكا

قال عمرو : فقال لي صالح : تغنّ فيها، فتغنّيتُ فيها من ساعتي .

لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته .

وقد حدّثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني عُبيد الله بن زكريا الضرير قال حدّثنا الجمّاز عن أبي نُواس قال :

كنت أتعشّق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حسين يتعشّق خادماً لأبي عيسى ابن الرشيد يقال له يُسْر؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال : قد كاد قلبي أن يسلوَ عنه وعن حبّه . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر؛ فقلت له : يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمد ؟ فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه :

وَصف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلتُ أنّي وما أراك أراكا
واذا مــا تنفّس النّرجسُ الغضّ توهمتُــه نَسيمَ شَذاكا
وأخال الذي لثمتَ أنيسي وجليسي ما باشرته يداكا
فإذا ما لثمتُ لثمــك فيــه فكأني بذاك قبّلتُ فاكا
خُدَعٌ للمُنى تعلّلني فيـــك بإشراق ذا ونَفحة ذاكا
لأقيمنّ ما حَييتُ على الشكـــر لهذا وذاك إذ حَكَياكا

قال : فقلت له : أحسنتَ والله ما شئتَ ! ولكنّك يا كَشخان[١] هوذا تَقــدِر أن تقطع الطريق في عملي ! فقال : يا كشخان أوَ شعري الذي سمعتَــه في حاضرٍ أم

(١) الكشخان (بالفتح ويكسر) : الديوث، وهو دخيل في كلام العرب .

بذكر غائبٍ! واللهِ لَلنَّعلُ التي يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه .

مع المتوكل:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني أحمد بن سعيد بن عَنبَسة القُرَشيّ الأُمويّ قال حدّثني عليّ بن الجَهم قال :

دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن ُخلده[1] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر :

بالشَّطّ لي سَكَنٌ أفديه من سَكَنِ ... أهدى من الآسِ لي غصنين في غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظِما إلفين والتبسا ... سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حسن
فالآسُ لا شكّ آسٍ من تشوّقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمن
أبْشَرْتُماني بأسبابٍ ستجمعنا ... إن شاء ربي ومهما يَقضِه يَكُن

قال : فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنشقّ حسداً : لمن هذا الشعر يا عليّ؟ فقلت : للحسين بن الضحّاك يا سيّدي . فقال لي : هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِم أنفك ومتّ حسداً . وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذٍ فلم أفعل، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخّرتُها الى وقت آخر .

أخبرني محمد بن يحيي قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبي قال حدّثني أبي قال :

أَحبّ المتوكّل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضحّاك وأن يرى ما بَقِي من

---

(١) الخلد : قصر للمنصور العباسي على شاطئ دجلة توارثه أبناؤه من بعده .

شهوته لما كان عليه؛ فأحضره وقد كبر وضعف، فسقاه حتى سكر، وقال لخادمه شفيع: إسقه، فسقاه وحياه بوردة، وكانت على شفيع ثياب موردة؛ فمد الحسين يده الى ذراع شفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أتجمش(١) أخص خدمي عندي بحضرتي! فكيف لو خلوت! ما أحوجك الى أدب! وقد كان المتوكل غمز شفيعاً على العبث به. فقال الحسين: يا سيدي، أريد دواة وقرطاساً، فأمر له بذلك؛ فكتب بخطه:

وكالوردة الحمراء حياً بأحمر ... من الورد يمشي في قراطق(٢) كالورد
له عبثات عند كل تحية ... بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة ... تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهراً لم أبت فيه ليلة ... خلياً ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة الى شفيع وقال له: ادفعها الى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنت والله يا حسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بحياتي إلا كنت ساقيه باقي يومه هذا وأخدمه كما تخدمني؛ وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف. قال أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال: صرت الى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، فقلت له: ويلك! أتدري ما صنعت؟! قال: نعم أدري، وما كنت لأدع عادتي بشيء؛ وقد قلت بعدك:

صوت

لا رأى عطفة الأحبة من لا يصرح
أصغر الساقيين أشكل عندي وأملح
لو تراه كالظبي يسنح حيناً ويبرح

---

(١) الجمش والتجميش: ضرب من المغازلة والملاعبة.

(٢) القرطق كجندب: قباء ذو طاق واحد.

خِلتَ غصناً على كَثيـــبٍ بِنَـوْرٍ يرشَحُ

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر .

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وقال حدّثني محمد بن أبي عَون قال :

حضرتُ المتوكل وعنده محمـد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر . وقال لحسين : قل في هذا شيئاً؛ فقال :

وكالدُّرّةِ البيضاء حيّاً بعنبرٍ وكالورد يَسعى في قَراطِق كالوَرْدِ
له عَبَثاتٌ عنـد كلِّ تحيَّة بعينيه تَستدعي الحليمَ الى الوجد
تمنّيتُ أن أسقى بكفّيه شربةً تُذكّرني ما قد نَسيتُ من العهد
سقى الله عيشاً لم أَبِتْ فيه ليلةً من الدّهر إلا من حبيب على وعد

فقال المتوكل : يُحمل الى حسين لكل بيت مائةُ دينار . فألتفتَ اليه محمـد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجِّب وقال : لم ذاك يا أمير المؤمنين ! فوالله لقـد أجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرَب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد . فخجِل المتوكل وقال : يُعطى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر أبن قاسم الكوكبيّ قال حدّثنا بِشر بن محمد قال وحدّثني علي بن الجَهم : أنه حضر المتوكلَ وقـد أمر شفيعاً أن يسقيَ حسينَ بن الضحّاك ؛ وذكر باقيَ الخـبر نحوَ ما مضى من رواية غيره .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرومي قال :

اجتمع حسين بن الضحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فأحتبسها عنده. وكان لأبن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقحِم، وكان عمرو بن بانة يتعشّقه ويُيسرّ ذلك من أبن شغوف. فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو أبن بانة للحسين: قل في مُقحِمٍ أبياتاً أغنِّ فيها الساعةَ. فقال الحسين:

صوت

وابأبي مُقحِمٌ لعزّته قلتُ له إذ خلوتُ مُكتتِماَ
تحبّ باللهِ من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نَعَما

وغنّى فيه عمرو. قال: فبينا هم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصليّ بالباب؛ فقال له عمرو: أعفِنا من دخوله ولا تنغِّص علينا ببُغضه وصَلفه وثِقَله ففعل؛ وخرج الحاجب فأعتلّ على إسحاق حتى أنصرف، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلتَهم عند أبن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسينُ بن الضحّاك الى إسحاق فحدّثه الحديثَ بنصّه. فقال إسحاق:

يأبن شغوفٍ أما علمتَ بما قد صار في الناس كلِّهم عَلَماَ
دعوتَ عمراً فبات ليلتَه في كلّ ما يَشتهي كما زعما
حتى اذا ما الظلامُ ألبسه سَرى دَبِيباً فضاجع الخَدَما
ثمّتَ لم يَرضَ أن يُضاجِعهم سِرًّا ولكن أبدى الذي كتما
ثم تغنّى لفرط صَبوته صوتاً شفى من غَليله السَّقَما:
«وابأبي مُقحِم لعزّته قلتُ له إذ خلوت مكتتما»
«تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نعما»

قال: وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن؛ فبلغت أبنَ شغوف فحلفَ ألّا يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلّمه، وقال: فضحني وشهّرني

وعرّضني للسان إسحاق، فمات مهاجراً له . وقال ابن أبي سعد في خبره : إن إسحاق غنّى فيها المعتصم، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث، فضحك وطرِب وصفّق ؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت الى أن سكر ونام :

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقحم من الثقيل الثاني بالوسطى .

أشعر الناس في الغزل :

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طَلحة قال حدّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال سمعت مَهدِيَّ بن سابِق يقول :

إلتقى أبو نُوَاس وحسين بن الضحّاك، فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ؛ قال : وفي أيّ ذلك ؟ قال : ألا تعلم يا حسين ؟ قال لا ؛ قال : في قولك :

وابأبي مُقحم لعزّته قلت له إذ خلوتُ مكتتماَ
تحبّ بالله من يَخُصّك بالودّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتَيْ خَجِلٍ أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغِي بحيلته بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين : وَيحك يا أبا نُوَاس ! فأنت لا تفارق مذهبَك في الخمر البتّةَ ؛ قال : لا والله، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً .

أخبرني عليّ بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلَب قال أنشدني حَمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضحّاك قال أنشدني حسين لنفسه :

لا وُحبّيكَ لا أصا فِح بالدَّمــع مَدمعاً
من بَكى شَجوَه أستَرا ح وإن كان مُوجَعا
كَبِدي من هواكَ أســقمُ من أن تَقطّعا
لم تدَعْ سَوْرةُ الضَّنى فيَّ للسُّقم مَوْضعا

قال : ثم قال لنا ثَعلب : ما بَقي من يُحسن أن يقول مثل هذا .

أخبرني عليّ قال حدّثني محمد بن الفَضل الأهوازيّ قال سمعت عليّ بن العباس الروميّ يقول :

حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول :

يا مستعيرَ سَوالِف الخِشفِ إسمَعْ لحلفة صادقِ الحلفِ
إنْ لم أُصح ليلي : ويا حرَبي من وجنتيكَ وفَترةِ الطَّرْف
فجَحدتُ ربّي فضلَ نعمته وعبدتُه أبداً على حَرْف[١]

محبوبته فتن :

أخبرني عليّ بن العباس الروميّ قال حدّثني قتيبة عن عمرو السَّكونيّ بالكوفة قال حدّثني أبي قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال :

كانت تألفني مغنّية، وتجيئني دائماً، وكنت أميل اليها وأستملحها، وكان يقال لها فِتَنُ . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجحاً ، وكان بغيضاً

(١) على حرف : مثل لمن يكون على قلق واضطراب في دينه لا علــى سكون وطمأنينة : كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن وإلا فرّ وطار على وجهه .

شَرِسَ الخُلُق، فاذا جاء معها توقيتُه، فرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغتُ منهـا مُرادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي، فقلت :

لا تَلُمْني عـلى فِتَنْ إنها كأسِهـا فِتَنْ
فإذا لم أهِمْ بهـا فبمن! لا بمن إذَن
أين - لا أين - مثلُها في جميع الوَرى سَكَن!
طِيب نَشْرٍ اذا تنمـــتَ وغُنج ومُحتضَن
وَالِ عَشْراً من الصَّبُو حِ على وجهها الحسن
وعـلى لفظها المُنَـوَّنِ للّام بالغُـنَن
لست أنسى من الغَريـــرة إذ بُحت بالشَّجَن
قولَهـا إذ سلبتُهـا عن كَثيبٍ وعن عُكَن :
ليس يُرضيكَ يا فتى من هوًى دون أن تَهِن
فأمتزجنـا معاً كما زَجةَ الرُّوح للبدن
وكُفينا من أن نُرا قِبَ نُجحاً اذا فَطَن
وأمِنّاه أن يَنِمّ ومـا كان مؤتَمن
كلّ ما كان من حبيـــبك مستظرَفٌ حسن

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ :

أنّ مُخارقاً وحسين بن الضحاك تَلاحَيا في أبي العتاهية وأبي نُواس أيُّهما أشعر؛ فاتّفقا على أختيار شعرٍ من شعريهما يتخايرانِ فيه، فأختار الحسينُ بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قوياً لمعرفته بذلـك، وأختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغنّي فيه لا لشيء عرفه منه إلا لأنه أستملحه وغنّى فيه، فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودّة؛ وتخاطَرا(١)

(١) تخاطرا : تراهنا .

على مالٍ، وتحاكما الى من يَرتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحلِّم؛ وبعث فأحضره وتحاكما اليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحاك. فتلكأ مخارق وقال: لم أُحسِن الاختيارَ للشعر ولَحُسينٌ أعلم مني بذلك، ولأبي العتاهية خيرٌ مما اخترتُ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدر عليه لأبي نُوَاس لأنه أعلم مني بالشعر، ولكنا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ؛ فتحاكما فحكم لأبي نواس، وقال: هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه. فأمر الواثقُ بدفع الخطَر الى حسين، وانكسر مخارق فما انتفع به بقيّةَ يومه.

أخبرني ابنُ أبي طَلحة قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيض قال حدّثني أبي قال:

لمّا اطرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه — كان — في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسينُ بن الضحّاك بالحسن بن سَهل وطمع أن يُصلحه له؛ فقال يمدحه:

أرى الآمالَ غيرَ مُعرِّجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سَهلِ
يُبارِي يومَه غدُه سَماحاً ... كِلَا اليومين بانَ بكلّ فضل
أرى حَسَناً تقدّم مستبِداً ... ببَعْدٍ من رياسته وقَبل
فإن حضرتْك مشكلةٌ بشكٍّ ... شفاكَ بحِكمةٍ وخطابِ فَصل
سليلُ مَرازبٍ برَعوا حلوماً ... وراع صغيرُهم بسداد كهل
ملوكٌ إن جريتَ بهم أبرّوا ... وعزّوا أن تُوازنَهم بِعدلٍ[1]
ليَهنِكَ أنّ ما أرجأتَ رشدٌ ... وما أمضيتَ من قول وفعل
وأنك مؤثرٌ للحقّ فينا ... أراك الله من قطع ووصل
وأنك للجميع حَياً ربيعٍ ... يَصوب على قَرارة كلّ مَحْل

(١) العدل: النظير.

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصله وخلع عليه ووعده إصلاحَ المأمون له، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسنَ من العلّة .

قال عليّ بن العباس بن أبي طلحة وحدّثني أبو العباس أحمد بن الفضل المَروَزِيّ قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحّاك : ما عَنيتَ بقولك :

يا خَليّ الذَّرْع من شَجَني إنما أشكو لترحَمني

قال : قد بيّنتُه؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

منعُك الميسورَ يُؤْيِسُني وقليل اليأس يقتلني

فقال له أبو محمد : إنك لتُضِيع بالخلاعة، ما أُعطِيتَه من البراعة .

غلمانياته :

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدّثنا ابو هفّان قال :

سألت حسينَ بن الضحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه، فقلت له : إني أشتهي أن أسمعه منك . فقال لي : دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وَسْمِيٌّ من المطر فرَشّ رَشًّا حسناً، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبِه، وهو جالس على سرير آبنُوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمة[1] ديباجٍ أصفر وهو يُشرف على

(١) الطارمة في الاصل : بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجميّ معرّب . والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسي .

بستان في داره، وبين يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدّينار؛ فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام، ونظر إليّ كالمستنطِق؛ فأنشأتُ أقول:

ألستَ ترى ديمةً تَهطِلُ ... وهذا صباحُك مُستقبَلُ

فقال: بَلى. فقلت:

وتلك المُدامُ وقد شاقنا ... برؤيته الشادنُ الأكحلُ

فقال: صدقت فمه؛ فقلتُ:

فعاد به وبنا سَكرةٌ ... تُهوّن مكروهَ ما نَسألُ

فسكت. فقلت:

فإني رأيت لـه نظرةً ... تُخبّرني أنه يفعلُ

ثم قال: مَهْ؛ فقلت:

وقد أشكل العيشُ في يومنا ... فيا حبّذا عيشُنا المُشكِلُ

فقال: العيش مشكِل، فما ترى؟ فقلت: مبادَرةُ القَصْف وتقريبُ الإلف. قال: على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا. فقلت له: لك الوفاء وعليك مثلُه لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً. ولم أرَ الغلامَ، فسألتُ عنه فقال لي: الساعةَ يجيء، فلم نلبث ان وافاني؛ فسألته أين كان؟ فقال: كنت في الحَمّام وهو الذي حبسني عنك. فقلتُ لوقتي:

وابأبي أبيضُ في صُفرةٍ ... كأنه تِبرٌ على فضّـهْ
جرّده الحَمّامُ عن دُرّةٍ ... تلوح فيها عُكَنٌ بَضّه

غصنٌ تبدَّى يتثنّى على ... مأكمةٍ(١) مثقلةِ النهضَه
كأنما الرّشُّ على خدّه ... طلٌّ على تفّاحةٍ غضَّه
صفاتُه فاتنة كلُّها ... فبعضُه يُذكرُني بعضَه
يا ليتني زوّدني قُبلةً ... أو لا فمن وجنته عضَّه

فقال لي الحسن: قد عمل فيك النبيذُ؛ فقلتُ: لا وحياتك! فقال: هذا شرٌّ من ذلك. فقلت:

إسقياني وصرّفا بنتَ حولين قرقفا
واسقيا المرهفَ الغريـر سقى اللهُ مُرهفا
لا تقولا نراه أكلفَ(٢) نِضواً مخففا
نِعْم ريحانةُ النديم وإن كان مُخطفا(٣)
إن يكن أكلفاً فإني أرى البدرَ أكلفا
بأبي ماجنُ السريرة يُبدي تعفّفا
حفّ أصداغه وعقربها ثم صفّفا
وحشا مدرجَ القُصا ص(٤) بمسك ورصّفا
فإذا رُمتَ منه ذا ك تأبّى وعنّفا
ليس إلّا بأن يُرنّحه السُّكرُ مُسعفا
باكِرا لا تسوّفا في عدمتُ المسوّفا
أعجلاه وبالفضا ضةِ(٥) في السّقي فأعنفا

(١) المأكمة : العجيزة .

(٢) الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .

(٣) مخطفا : منطوي الحشى، قليل لحم الجنب .

(٤) قصاص الشعر : نهاية منبته ومنقطعه على الرأس .

(٥) الفضاضة : آخر الشيء .

واحملا شُغْبَه وإن هو زَنّى[1] وأقفا
فإذا هَمّ للمنا م فقوماً وخففا

فتغاضب الغلامُ وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أقبِلْ على شرابك ودَع الهذيان. وناوَلني قدحاً. وقام أبو محمد ليبول، فشربتُ وأعطاني نُقْلاً فقلتُ: اجعلْ بدله قبلةً؛ فضحك وقال: أفعلُ هذا وقتَه فبدا له وقال: لا أفعل؛ فعاودته فانتهرني. فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج: بحياتي يا بنيّ أسعِفه بما طلب؛ فضحك ثم دنا مني كأنّه يناولني نُقْلاً وتغافل فاختلستُ منه قبلة؛ فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبديع الدّلّ قَصْريّ الغَنَجْ مَرِه[2] العين كَحِيل بالدّعجْ
سُمْتُه شيئاً وأصغيتُ له بعد ما صرّف كأساً ومَزَج
واستخفّته على نشوته نَبَراتٌ من خفيفٍ وهَزَج
فتأبّى وتثنّى خجِلاً وذَرا الدمعَ فنوناً ونَشَج
لجّ في «لولا» وفي «سوف ترى» وكذا كفكفَ[3] عنّي وخَلَج
ذهب الليلُ وما نوّلني دون أن أسفَرَ صبحٌ وانبلج
هوّن الأمرَ عليه فرجٌ بتأتّيه فسقياً لفَرَج
خَمِرُ النكهة لا من قهوةٍ أرِجَ الأصداغ بالمسك أرِج
وبنفسي نفسُ من قال، وقد كان ما كان، حرامٌ وحَرَج

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفتُ وعُدْتُ من غدٍ الى الحسن؛ فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك؟ فقلت له: أأصفُ ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

---

(١) زنى: قذف وسب.

(٢) مره العين: خلت عينه من الكحل.

(٣) كفكف: كف وأعرض. وخلج: جذب وانتزع. يريد أنه دفعه وانتزع نفسه منه.

تألّفتُ طيفَ غزال الحَرَمْ فواصَلَني بعد ما قد صَرَمْ
وما زلتُ أقنع من نَيْله بما تجتنيه بَنانُ الحُلم
بنفسي خيالٌ على رِقبةٍ أَلَمّ بـه الشوقُ فيا زَعَم
أتاني يجاذب أردافَـه من البُهْر تحت كسوف الظُّلَم
تمُجّ سوالفُـه مِسكةً وعنبرةً ريقُـه والنَّسم
تضمّخ من بعد تجميره[1] فطاب من القَرْن حتى القَدَم
يقول ونازعتُـه ثوبَه علـى أن يقولَ لشيء نعم
فغَضّ الجفونَ علـى خَجْلَةٍ وأعرضَ إعراضـةَ المحتَشِم
فشبّكتُ كفِّي على كفّه وأصغيتُ ألثُمُ دُرّاً بفَم
فنهنهني دفْـعَ لا مؤيسٍ بجِدّ ولا مُطمِعٍ مُغْـتَرِم
إذا ما همَمْتُ فأدنيتُـه تثَنّى وقال ليَ الوَيلُ لِمْ
فـا زلتُ أبسُطه مازحاً وأفرِط في اللهو حتى ابتسم
وحكّمني الرّيمُ في نفسه بشيءٍ ولـكنّـه مُكتَتَم
فواهاً لذلـك من طارقٍ على أن ما كان أبقى سَقَم

قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ! أظنّ ما ادّعيتَه علـى الطَّيف في النوم كان في اليقَظَة مع الشخص نفسه، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَضَ[2] العارَ عن أنفسنا بهبة الغلام لك، فخذه لا بُورِكَ لك فيه ! فأخذته وانصرفت .

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني أبو العَيْناء قـال : أنشدني الحسين بن الضحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان أجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيـه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام؛ فقال :

---

(١) جمرته اذا بخرته بالطيب .

(٢) نرحض : نغسل .

فديتُكَ ما لوجهك صدّ عنّي وأبديتَ التندُّمَ بالسلامِ
أحين خلبتني وقرنتَ قلبي بطرفك والصَّبابة في نِظام
تنكّر ما عهدتُ لغبّ يوم فيا قربَ الرّضاع من الفِطام
لأسرعَ ما نهيتَ الى همومي سروري بالزيارة واللِّمام

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حسين بن الضحّاك الخليع قال :

كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خزّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نُواس ؟ فلم يخبرني، فتوهّمت أنه أخذها من موسى بن عِمران لأنه دخل من باب بني تميم؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خزّ أخرى؛ فقلت له :

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال : بخير صبّحك الله به . فقلت :

يا كريم الإخاء والإخوانِ

فقال : أسمعك الله خيراً . فقلت :

إن لي حاجةً فرأيك فيها إننا في قضائها سِيّانِ

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

جُبّةٌ من جِبابك الخزّ حتى لا يراني الشتاء حيث يراني

قال : خذها على بركة الله، ومدّ كمّه فنزعتُها وجئتُ وأبو نواس جالس؛ فقال : من أين لك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال

أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحّاك قال :

دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دارَ المعتصم، فخرج علينا كالحاً. قال : فتوهّمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه . قال : وجاء إيتاخ[1] فقال : مخارق وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب؛ فقال : اَعزُبْ عنّي، عليك وعليهم لعنة الله ! قال : فتبسّمت الى محمد بن عمرو؛ وفهم المعتصم تبسُّمي فقال لي : ممّ تبسمتَ ؟ فقلت : من شيء حضرني؛ فقال : هاتِه؛ فأنشدتُه :

صوت

إنفِ عن قلبك الحزَنْ ... باقترابٍ من السَّكَنْ
وتمتّعْ بكرِّ طرْ ... فك في وجهه الحسَن
إنّ فيه شفاء صد ... رك من لاعجِ الحزَن

قال : فدعا بألفي دينار : ألفٍ لي وألفٍ لمحمد، فقلتُ : الشعر لي، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال : لأنه جاءنا معك . ثم أذِن لمُخارقٍ وعَلويه فدخلا، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبولَ فسمعتُه يردّده .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعَلويه وهو من الثقيل الاول بالبنصر .

---

(١) هو ايتاخ التركي المعتصمي القائد كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباخاً فاشتراه منه المعتصم ثم رفعه ومن بعده الواثق وضما اليه من أعمال السلطان أعمالا كثيرة، وكان من اراد المعتصم او الواثق قتله فعنده كان يقتل وبيده يحبس فقتل عجيفاً والعباس بن المأمون وابن الزيات الوزير وغيرهم .

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال :

كان الحسين بن الضحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر ، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتحبّه ؟ قال : نعم والله ؛ قال : فأعلِمه؛ قال : هو أعلم بحبّي له منّي به . ثم قال :

عالمٌ بحبّيه مُطرِقٌ من التِيهِ
يوسفُ الجمالِ وفر عونُ في تَعدِّيه
لا وحقِّ ما أنا مِنْ عَطفِه أرَجّيه
ما الحياة نافعةٌ لي على تأبّيه
النعيمُ يشغَلُه والجمالُ يُطغِيه
فهو غير مُكترثٍ للذي ألاقيه
تائهٌ تُزهِّدُه فيَّ رغبتي فيه

قال محمد بن محمد : وغنّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبُ وسُلَيمٌ وجماعةٌ من المغنّين .

حدّثني عمي قال حدّثني ميمون بن هارون قال :

كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشق جاريةً مغنّيةً، فزاحمه فيها غلامٌ كان في مُرُودته حسنَ الوجه؛ فلما خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخرج منها؛ ومالت القَينةُ اليه لشبابه ؛ فشكا ذلك الى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال :

يا من يُصارِع من لا شكَّ يَصرَعهُ خلِّ الذي عنكَ لا تَستطيعُ تدفعُهُ
فكيف تَصنَع لو قد جاء أجمعُهُ جاءت طرائقُ شَعْرٍ أنت ناتفُها

أأنت تحصُد ما ذو العرشِ يزرعهُ ... الله أكبر لا أنفـكُ من عجبِ
ترعى حِمَى خالقُ الأسماء يمنعه ... تبًّا لسعيك بل تبًّا لأمك إذ

وقال فيه أيضاً :

ثَكِلَتكَ أمك يابن يوسفْ ... حتّامَ ويحك أنت تنتِفْ
لو قد أتى الصيفُ الذي ... فيه رؤوس الناس تُكشَف
فكشفتَ عن خديكَ لي ... لكشفتَ عن مثلِ المُفوَّف[١]
أو مثل زرْعٍ ناله الـ ... ـيرَقانُ أو نكباء حرجف[٢]
فغدا عليه الزارعو ... ن ليحصُدوه وقد تقصّف
فظلِلْتَ تأسف كالأُلى ... أسِفوا ولم يُغنِ التأسف

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني عُمير بن أحمد بن نَصر الكوفيّ قال حدّثني زيد بن محمد شيخنا قال :

قلت لحسين بن الضحاك وقد قدِم الينا الكوفةَ : يا أبا عليّ شهّرتَ نفسك وفضحتها في خادم، فألا أشتريتَه ! فقال : فديتُك ! إن الحبَّ لَجاجٌ كلّه، وكنتُ أحببتُ هذا الخادمَ ووافقني على أن يَستبيع لأشتريَه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أقدِر على الانتصاف منه، وآثرَه الخادمُ واختاره، وكِلانا يحبّه إلا أن صالحاً يُناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل. فضحكتُ من قوله، ثم سألتُه أن يُنشِدَني شيئاً من شعره، فأنشدني :

إنّ من لا أرى وليس يَراني ... نُصبَ عيني مُمثَّلٌ بالأماني
بأبي من ضميرُه وضميري ... أبداً بالمغيبِ ينتجيان
نحن شخصانِ إن نظرتَ وروحا ... نِ اذا ما اختبرتَ يمتزجان

(١) برد مفوّف : فيه خطوط بيض على الطول .

(٢) النكباء الحرجف : الريح الباردة .

فإذا ما هممتُ بالأمر أو همّ بشيء بدأتُه وبداني
كان وَفقاً ما كان منه ومنّي فكأني حكيتُه وحكاني
خطراتُ الجفون منّا سواءٌ وسواءٌ تحرّك الأبدان

فسألته أن يحدّثني بأسرّ يومٍ مرّ له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فاستحسنه كلُّ من حضر، ثم تغنّى بغيره؛ فقال لي: عارِضه؛ فقلتُ: بقُبلةٍ فقال: هي لك، فقبّلتُه قبلة وقلت:

فدّيت من قال لي على خَفَرِه وغضّ من جفنه على حَوَرِه:
سمّع بي شعرك المليحُ فما ينفكُّ شادٍ به على وَتَرِه
حسبُك بعضُ الذي أذعتَ ولا حَسْبَ لصبٍّ لم يقضِ من وطَرِه
وقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الخشـــفِ وحسنِ الفتورِ من نظَرِه
لا تُنكِرنّ الحنينَ من طربٍ عاودَ فيكَ الصِّبا على كِبَرِه

حدّثني الصُّوليّ وعليّ بن العباس قالا حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال: كان حسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسينٌ يشكو اليه ما به فلا يسمع به ويكذّبه؛ ثم سكن نِفارُه وضحك اليه وتحدّثنا ساعة. فأنشدنا حسين قولَه فيه:

سائلْ بطيفكَ عن ليلي وعن سَهَري وعن تتابُعِ أنفاسي وعن فِكَري
لم يَخلُ قلبي من ذِكراكَ إذ نظرتْ عيني اليكَ على صَحوي ولا سَكَري
سَقياً ليوم سروري إذ تُنازعني صفوَ المدامةِ بين الأُنسِ والخَفَر
وفضلُ كأسك يأتيني فأشربُه جهراً وتشربُ كأسي غيرَ مستتر
وكيف أشمِلهُ لثمي وألزمه نحري وترفعه كفّي الى بصري
فليتَ مدّةَ يومي إذ مضى سلفاً كانت ومدّةَ أيامي على قَدَر
حتى اذا ما انطوتْ عنّا بشاشتُه صِرنا جميعاً كذا جارَين في الحُفَر

حدّثني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال :

كان صالح بن الرشيد يتعشّق غلاماً يسمّى يُسراً خادمَ أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفِي له. فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ الى صالحٍ أخيه في السّحَر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيتُ أن أصطبحَ اليوم، فبحياتي لَما ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً. فسار يُسْرٌ الى صالح أخيه في السَّحَر وهو مُنتَشٍ قد شرب في السَّحَر، فأبلغه الرسالةَ؛ فقال: نعم وكرامة، إجلس أوّلا نجلس؛ فقال: يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسر دَعْني من مواعيدك ومَطلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقضِ حاجتي، وإلّا فليس هاهنا إلا الغَصْب؛ فقال له: يا سيّدي؛ إني أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوعه، فقضى حاجتَه، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إليّ صالح من خَلوته فقال: يا حسين، قد رأيتَ ما كنّا فيه، فإن حضرك شيء فقل؛ فقلت:

صوت

أيا مَن طَرْفُه سِحْرُ ومَن ريقَتُه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفْتُـــك لمّا غُلِب الصبر
وما أحسنَ في مثلـــك أن يَنهتِك السِتر
وإن لامنِيَ الناس ففي وجهك لي عذر
فدَعني من مواعيدِ ك إذ حيَّنك الدهر
فلا واللهِ لا تبر حُ أو ينقضيَ الأمر
فإمّا الغَصْبُ والذمّ وإما البذلُ والشكر
ولو شئتَ تيسّرتَ كما سُمّيتَ يا يُسر

وكن كأسك لا تمنعك النخوة والكبر
فلا فزت بحظي منك إن ذاع له ذكر

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعمري تيسر يسر كما ذكرت. فقلت: نعم ومن لا يتيسر بعد أخذه الدية! لو أردتني أيضاً بهذا لتيسرت. فضحك ثم قال: نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك، ولا نزيدك لما أردنا له يسراً، فبئست المطية أنت؛ وأمر لي بها. ثم أمر عريب بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر.

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال:

كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبح وخادم له يسقيه؛ فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الغلام، فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل؛ فقلت:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي وطاب يومي لقرب أشباهي
فاستثر اللهو من مكامنه من قبل يوم منغص ناهي
بابنة كرم من كف منتطق مؤتزر بالمجون تياه
يسقيك من طرفه ومن يده سقي لطيف مجرب داهي
كأساً فكأساً كأن شاربها حيران بين الذكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله، وغنى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقية يومنا.

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سوادة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال:

خرج حسين بن الضحّاك الى القُفص[1] متنزّهاً ومعه جماعة من إخوانه ظرفاء. وبلَغ يُسرًا الخادمَ خروجه، فشدّ في وسَطه خنجراً وخرج اليه فجاءه وهو على غفلة؛ فسُرّ به حسين وتلقّاه وأقام معه الى آخر النهار يشربان. فلما سكرا جمّشه حسين؛ فأخرج خنجره عليه وعربَد؛ فأمسك حسينٌ وعاد الى شرابه، وقال في ذلك:

جمّشتُ يُسراً على تسكّرِهِ ... وقد دَهاني بحُسن منظرِهِ
فهمّ بالفتك بي فناشَده ... فيّ كريمٌ من خير معشره
يا مَن رأى مثلَ شادنٍ خَنِث ... يَصول في خِدْرِه بزُوَّره
يسحب ذيلَ القميص صعترَه[2] ... ووارداتٍ[3] من هُدب مئزرِه
ولا يُعاطي نديمَه قدحاً ... إلّا بإبهامه وخنصرِه
أخاف من كِبره بوادرَه ... أدالني[4] اللهُ من تكبّرِه
قد قلتُ للشَّرب إذ بَدا فُضُلاً[5] ... في رَيطتيه[6] وفي مُمَصَّرِه
وَيلي على شادنٍ توعّدني ... بسَلّ سكّينه وخنجرِه
أمَا كفاه ما حزّ في كبدي ... بسِحر أجفانه ومَحجِرِه[7]
اذا نسيمُ الرياح قابَلَنا ... بالطِّيب من مسكه وعنبرِه
هزّ قواماً كأنّه غُصُنٌ ... وارتجّ ما انحطّ من مُخَصَّرِه

---

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح، تنسب اليها الخمور الجيدة.

(٢) صعتر الشيء: زينه.

(٣) واردات: مسترسلات.

(٤) أدال الله فلاناً من فلان: جعل الكرة له عليه.

(٥) رجل فضل: يخالف بين طرفي ثوبه على عاتقه ويتوشحه.

(٦) الريطة: الملاءة ليست ذات لفقين. وثوب ممصر: مصبوغ بحمرة خفيفة.

(٧) محجر العين: ما دار بها وبدا من البرقع من جميع العين.

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيض قال حدّثني أبي قال :

حضرت حسين بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث مَليّاً ثم غازله حسينٌ ، فقال له يسر : إيّاك والتعرّضَ لي ، وارْبَحْ نفسك ؛ فقال حسين :

صوت

أيُّهـا النَّفّاثُ في العُقَدِ أنا مَطويٌّ على الكَمَدِ
إنّما زَخْرَفتَ لي خُـدَعاً قدَحتْ في الرُّوح والجسَد
هـاتِ يا خَدّاعُ واحـدةً من كثيرٍ قلتَـه وقَدِي[1]
ليت شعري بعد حَلفك لي بوفـاء العهد بعـد غد
ما الـذي بالله صيّره بعد قربٍ في مَدى الأبد
ما لأُنسٍ كان مُبتذَلا منـك لي بالأمس لم يَعُد
إيهِ قُـلْ لي غيرَ مُحتشِمٍ هل دَهاني فيـك من أحد
حبّـذا والكأسُ دائرةٌ لَهْوُنا والصَّيدُ بالطَّـرَد
وحديثٌ في القلوب لـه أُخَذٌ[2] يَصدَعْنَ في الكبد
يومَ تُعطيني وتأخذهـا دون نَدْماني يداً بيد
فإذا ألويتُ[3] هيّجني تَلَعٌ من ظبيـة البلد
وإذا أصغيتُ ذكّـرني نَشرَ كافورٍ عـلى بَرَد
ذاك يومٌ كان حـاسدُنا فيه معذوراً عـلى الحسد

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا عمرو بن بانة قال :

(١) قدي : حسبي .
(٢) الأخذة : الرقية .
(٣) ألوى برأسه : أماله . والتلع : طول العنق .

خرجنا مع المعتصم الى الشام لمّا غزا؛ فنزلنا في طريقنا بدَير مُرّان[١] — وهو دير على تَلعةٍ[٢] مُشرِفة عاليةٍ تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة — فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا؛ فلما شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا؛ قال: صدقتَ والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنِّ فيها عمرو؛ فقال: أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطِق به، ولكني أقول متشوّقاً الى بغداد: — فضحك وقال قلْ ما شئتَ — .

صوت

يا دَيرَ مِدْيانَ[٣] لا عُرّيتَ من سَكَنٍ ... هيّجتَ لي سَقَماً يا ديرَ مِدْيانا
هل عنـد قَسّك من علمٍ فيخبرَنا ... أم كيف يُسعِفُ وجهُ الصبر من بانا
حُثَّ المُدامَ فإن الكأسَ مُترَعةٌ ... مما يَهيجُ دَواعي الشوقِ أحيانا
سَقياً ورَعياً لكَرْخايا[٤] وساكِنها ... وللجُنَينة بالرَّوْحاء[٥] مَن كانا

فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارقاً فغنّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر، وأمر للجماعة بجوائز.

---

(١) دير مران: بالقرب من دمشق، على تل في سفح قاسيون، وبناؤه بالجص الابيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون.

(٢) التلعة: الرابية المرتفعة من الارض.

(٣) دير مديان: على نهر كرخايا قرب بغداد، وكان ديراً حسناً حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب.

(٤) كرخايا: نهر يشق من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية، ويشق الكرخ ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً وكان الماء فيه جارياً، ثم انقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات.

(٥) الروحاء: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية.

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل، ولحن مُخارِق هَزَج، ويقال: إنه لغيره.

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد قال:

كان حسين بن الضحّاك يميل الى خادم لأبي عيسى بن الرشيد؛ فعبث به يوماً على سكر؛ فأخذ قِنّينةً فضرب بها رأسه فشجّه شجّةً مُنكرةً؛ وشاع خبرُه وتوجّع له إخوانه وعُولج منها مدّةً، فجفا الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعرِض له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الخادمُ وغازَله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين:

صوت

تعزّ بيأسٍ عن هواي فإنّني ... اذا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدِّي
اذا خُنتمُ بالغيب ودّي فما لكم ... تُدِلّون إدلالَ المُقيم على العهد
ولي منك بُدٌّ فاجتنبْني مُذمَّماً ... وإن خلتَ أنّي ليس لي منك من بُدّ

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

تهنئته الواثق:

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبد الله بن المؤمّل العسكريّ قال:

لمّا وَلِيَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل اليه المهنّئون والشعراء فمدحوه وهنّأوه؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجُلَساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذِن له؛ فأنشده قوله:

أُكاتِمُ وَجدي فما يَنكتِمْ بِمَنْ لو شكوتُ اليه رَحِمْ
وإنّي على حسن ظنّي به لأحذَرُ إن بُحتُ أن يحتشِم
ولي عند لحظته رَوعةٌ تُحقّق ما ظنّه المُتّهِم
وقد علِم الناسُ أنّي له مُحِبٌّ وأحسَبه قد عَلِم

— وفي هذا رمَلٌ لعبد الله بن العبّاس بن الرّبيع — :

وإنّي لُمغضٍ على لوعةٍ من الشوق في كَبِدي تضطَرِمْ
عشيّةَ ودّعتُ عن مقلةٍ سَفُوحٍ وزفرةِ قلبٍ سَدِم[1]
فما كان عند النّوى مُسعِدٌ سوى العين تمزُج دمعاً بدَم
سيذكر من بان أوطانَه ويَبكي المقيمين من لم يُقِم

وقال فيها يصف السفينة :

الى خازن الله في خَلقه سراجِ النّهار وبدرِ الظُّلَمْ
رحلنا غَرابيبَ[2] زفّافةً بدجلةَ في مَوجها المُلتطِم
اذا ما قصدنا لقاطُولها ودُهمُ قَراقيرِها[3] تصطَدِم
سكنّاً الى خيرِ مسكونةٍ تيمّمها راغبٌ من أمَم[4]
مباركةٌ شاد بنيانَها بخيرِ المواطن خيرُ الأمم
كأنّ بها نَشرَ كافورةٍ لبَرْد نَداها وطيبِ النسَم
كظهر الأديم اذا ما السحا بُ صاب على مَتنها وانسجَم
مُبرّأة من وُحول الشتاء اذا ما طمَى وحلُه وارتكم

---

(١) السدم : الندم والحزن .

(٢) غرابيب : سود، الواحد غربيب . والمراد بها السفن لانها تطلى بالقـار . والزفافة : السريعة .

(٣) القراقير : السفن الطويلة .

(٤) من أمم : من قريب .

فما إن يزال بها راجلٌ يمرّ الهُوَينى ولا يلتطِمْ
ويَمشي على رِسْله آمناً سليمَ الشِراك نقيّ القدم
ولِلنُون¹ والضَّبّ في بطنها مراتعُ مسكونةٌ والنَعم
غدوتُ على الوَحْش مغترّةً رواتعَ في نَوْرها المنتظم
ورُحتُ عليها وأسرابُها تحوم بأكنافها تبتَسِم

ثم قال يمدح الواثق :

يَضيق الفضاء به إن غدا بطَوْدَيْ أعاريبه والعجمْ
ترى النصرَ يقدُم راياته اذا ما خفَقْن أمامَ العلم
وفي الله دوّخ أعداءه وجرّد فيهم سيوفَ النِقَم
وفي الله يكظِم من غيظه وفي الله يصفح عمّن جَرَم
رأى شِيَمَ الجود محمودةً وما شِيَمُ الجود إلّا قِسَم
فراح على « نَعَمٍ » واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلّا نَعم

قال : فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من نُدَمائه .

حدّثني أحمد بن العباس قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثني مهديّ ابن سابق قال :

قال الواثق لحسين بن الضحّاك : قل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أهبَ لك شيئاً مليحاً؛ فقال : في أيّ معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أمْدُد طرْفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصِفه . فالتفتُّ فاذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق في نور الصبح؛ فارْتِج عليّ ساعةً حتى خجلتُ وضقتُ ذرْعاً . فقال لي الواثق : ما لك وَيحك ! ألستَ ترى نُورَ صباح، ونَوْر أقاح ! فافتتح القولُ فقلت :

---

(١) النون : الحوت .

ألستَ ترى الصبحَ قد أسفرا ومُبتكِرَ الغيث قد أمطرا
وأسفرتِ الأرضُ عن حُلَّة تُضاحك بالأحمر الأصفرا
ووافاك نَيسانُ[١] في ورده وحَثَّك في الشُّرب كي تَسكرا
وتُعمِل كأسين في فِتيةٍ تُطارِد بالأصغر الأكبرا
يَحُثّ كؤوسهمُ مُخطَفٌ تُجاذِبُ أردافُه المِئزرا
ترجَّل بالبانِ حتى إذا أدار غدائرَه وفَّرا
وفضَّضَ في الجُلّنارِ[٢] البها رَ والابنُوسةَ[٣] والعَبهرا[٤]
فلمَّا تمازج ما شذَّرتْ مَقاريضُ أطرافه شذَّرا
فكلٌّ يُنافِس في بِرِّه ليفعل في ذاته المُنكرا

قال: فضحك الواثقُ وقال: سنستعمل كل ما قلتَ يا حُسينُ إلا الفِسقَ الذي ذكرتَه فلا ولا كرامةَ. ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال قوموا بنا الى حانَة الشَّطّ فقاموا اليها، فشرب وطرِب، وما ترك يومئذٍ أحداً من الجلساء والمغنّين والحَشَم إلا أمر له بصلة. وكانت من الايام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوتُ اليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي، فقد كان حسناً؛ فأنشدتُه:

صوت

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرمتِ مَثوانا عُودِي بيومِ سرورٍ كالذي كانا
لا تُفقِدينا دُعاباتِ الإمام ولا طِيبَ البَطالةِ إسراراً وإعلانا

---

(١) نيسان: الشهر السابع من شهور السنة المسيحية.

(٢) الجلنار: زهر الرمان. والبهار: نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع.

(٣) الآبنوسة: ضرب من الخشب اذا وضع على جمر بخر بخاراً طيب الرائحة.

(٤) العبهر: الياسمين والنرجس.

ولا تخالُعنا في غير فاحشةٍ إذا يطرّبنا الطُنبورُ أحيانا
وهاج زَمْرُ زُنامٍ(١) بين ذاك لنا شجْواً فأهدى لنا رَوْحاً وريحانا
وَسلسَلَ الرَّطلَ عمرُو ثم عَمّ به السُّقْيا فألحقَ أُولانا بأُخرانا
سَقياً لشكلِك من شكل خُصِصتِ به دون الدساكِر من لَذّات دنيانا
حَفّتْ رياضك جنّاتٌ مجاورةٌ في كلِّ مُختَرَقٍ نهراً وبستانا
لا زلتِ آهلةَ الأوطان عامرةً بأكرم الناس أعراقاً وأغصانا

قال : فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدّدَة، واستحسن الصوتَ، وأمر فغُنّي في عدّة أبيات منها . غنّت فَريدة في البيتين الاولين من هذه الأبيات، ولحنُها هَزَج مطلَقٌ .

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : اجتمعتُ أنا وحسين ابن الضحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول :

لقد كنتُ ريحانةَ في النَّديّ وتُفّاحةً في يد الكاعِبِ

وعمرو بن بانة يُغنّيها — فتذاكرْنا الدّوابّ، واتّصل الحديثُ الى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبَقَه أبو شهاب . فقال حسين في ذلك :

كُلُوا واشربوا هُنِئتمُ وتمتّعوا وعيشوا وذُمّوا الكَودَنَين(٢) جميعا
فأقسم ما كان الذي نال منهما مَدى السبق إذ جَدّ الجراء سريعا

وهي قصيدة معروفة في شعره . فقال أبو شهاب يجيبه :

---

(١) زنام : زمار حاذق، خدم كلا من الرشيد والمعتصم والواثق . وهو الذي أحدث الناي في زمن المعتصم .

(٢) الكودن : الفرس الهجين والبغل، وهو ايضاً الثقيل والبليد .

أيا شاعر الخُصيان حاولتَ خُطَّةً سُبِقتَ اليها وانكفأتَ سريعاً
تُحاول سبقي بالقَريض سَفاهةً لقد رمت – جهلًا – من حِمايَ مَنيعا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سببَ التباعد بينهما. وكنّا اذا أردنا العبثَ بحسين نقول له: أيا شاعر الخُصيان، فيُجَنّ ويشتُمنا.

قصة بين حبيبين:

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال: كان يألفني إنسانٌ من جُند الشام عجيب الخِلقة والزّيّ والشكل غليظٌ جِلفٌ جافٍ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظِّي التعجُّبَ به، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشكلَ من معانيها، ويسألني أن أجيب عنها؛ فأجهَد نفسي في الجوابات وأصرفُ عنايتي اليها على علمي بأن الشاميّ بجهله لا يميّز بين الخطإ والصواب، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ الى إفساد حاله عندها. فسألته عن اسمها فقال: «بَصبَص». فكتبت اليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به:

أرقَصني حبُّكِ يا بَصبَصُ والحبُّ يا سيّدتي يُرقِصُ
أرمَصتِ أجفاني[1] بطول البكا فما لأجفانك لا تَرمَص
وابأبي وجهُك ذاك الذي كأنه من حسنه عُصعُص

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا عليّ، جعلني الله فداءك، ما كان ذنبي اليك وما أردتَ بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو والله إلّا أن وصل ذلك الكتاب اليها حتى بعثتْ إليّ: إني مشتاقة اليك، والكتابُ لا

(١) الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع في الموق.

ينوب عن الرؤية، فتعالَ الى الرَّوْشن[١] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِياله حتى أراك؛ فتزيّنتُ بأحسن ما قدرتُ عليه وصرتُ الى الموضع. فبينا أنا واقفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إليّ اذا شيء قد صُبّ عليّ فلاّني من قَرْني الى قدمي وأفسد ثيابي وسَرْجي وصيّرني وجميعَ ما عليّ ودابّتي في نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر، وإذا به ماء قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[٢]؛ فانصرفتُ بخزْيٍ. وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[٣] والصِّياح بي أغلظَ مما مرّ بي؛ ولحقني من أهلي ومَن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجعُ. وأعظمُ من ذلك أن رُسُلَها انقطعتْ عنّي جملةً. قال: فجعلتُ أعتذر اليه وأقول له: إنّ الآفةَ أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسرُّ الشَّماتةَ به.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال:

كتب إليّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار، فقال:

هَزَزْتك للصَّبوح وقد نهاني أميرُ المؤمنين عن الصِّيامِ
وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ تَطِيب بهنّ عاتقةُ المُدام
ومن أمثالهن اذا انتشينا تَرانا نجتني ثمرَ الغرام
فكن أنتَ الجوابَ فليس شيء أحبَّ إليّ من حذف الكلام

قال: فوردت عليّ رقعتُه وقد سبقه إليّ محمد بن الحارث بن بُسخُنّر ووجّه إليّ بغلامٍ نظيف الوجه كان يَتحظّاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران[٤] حسان الوجوه

(١) الروشن: النافذة.

(٢) السرجين: الزبل الذي تدمل به الارض.

(٣) الطنز: السخرية.

(٤) أقران: نظراء.

ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكتب المناشير، وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ على اسم الله يا أشكلَ من غصن لُجينِ
في ثلاثٍ من بني الروم الى دار حسين
فاشْخِصِ[1] الكهلَ الى مولاك يا قُرّةَ عيني
أرهِ العُنف اذا استعصى وطالِبْه بدَين
ودَعِ اللفظَ وخاطِبه بغمز الحاجبَين
واحذَرِ الرّجعة من وجهك في خُفَّيْ حُنَين

قال : فمضيت معهم، وكتبتُ الى الحسن بن رَجاء جواب رقعته :

دعوتَ الى مماحكة الصِيامِ وإعمال المَلاهي والمُدامِ
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي اليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقي اليك بدون شوقي الى ثَمر التّصابي والغرام
ولكن حلّ في نفر عَسُوفٌ بمنشورٍ محلَّ المستهام
حسينٍ، فاستباح له حريماً بطرْف باعثٍ سببَ الحِمام
وأظهر نخوةً وسطاً وأبدى فَظاظتَه بتركِ للسلام
وأزعجني بألفاظ غِلاظٍ وقد أعطيتُه طَرَفَيْ زِمامي
ولو خالفتُه لم يَخشَ قتلي وقتّعني سريعاً بالحُسام

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أبي قال :

كان الواثق يلاعب حسين بن الضحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يتحظّاه، فجعل يلعب وينظر اليه. ثم قال للحسين بن

(١) وصلت همزة القطع هنا لضرورة الشعر.

الضحّاك : إن قلتَ الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرّح به . فقال الحسين :

صوت

أحبُّك حبّاً شابه بنصيحةٍ أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقُ
وأقسم ما بيني وبينك قُربةٌ ولكنّ قلبي بالحسان عَلُوق

فضحك الواثق وقال : أصبت ما في نفسي وأحسنت . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأمر لحسين بألفي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى .

بينه وبين ابي نواس :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خَلّاد قال :

أنشدني حسين بن الضحّاك لنفسه :

بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآء ومن صَبُوحك دَرَّ الإِبْلِ والشاء

حتى أتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أحد من المُحدَثين مثلَها . فقلت له : أنت تحوم حول أبي نُوَاس في قوله :

دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراء ودَاوِني بالتي كانت هي الداء

وهي أشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : أَلِي تقول هذا ! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكتُ أبا نواس ! فقلت له : دع ذا عنك ، فإنه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب ، لو نِكتَ أبا نواس وأمّه وأباه لم تكن أشعرَ منه . وأحِبّ أن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك :

فُضَّتْ خواتِمُها في نعت واصفها عن مثل رَقراقةٍ في عين مَرهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها :

دارتْ على فِتيةٍ ذَلَّ الزمانُ لهم فما أصابهم إلّا بما شاءوا
صفراء لا تَنزِل الأحزانُ ساحتَها لو مَسَّها حجَرٌ مسَّتْه سرَّاء
فأرسلتْ من فم الإبريق صافيةً كأنما أخذُها بالعقل إغفاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه؛ فقام وهو مغضَب كالمُقِرّ بقولي .

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدّثني أحمد بن المعتصم قال :

حجّ أبو نواس وحسين بن الضحّاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما : قولَ أبي نواس :

دَعْ عنك لومي فإنّ اللّوم إغراء وداوِني بالتي كانت هي الداء

وقصيدةَ حسين :

بُدِلتَ من نَفَحات الورد بالآء

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته؛ فقال أبو نواس : هـذا ابن مُناذر حاضرُ الموسمَ وهو بيني وبينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها؛ فقال ابن مُناذر : ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهَمّ بتفضيله؛ فقال له الحسين : لا تَعجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات؛ فأنشده قوله :

بُدِلتَ من نَفَحات الورد بالآء ومن صَبوحك دَرَّ الإبل والشاء

حتى انتهى الى قوله :

فُضَّتْ خواتمُها في نعت واصفها عن مثل رَقراقةٍ في عين مَرهاء

فقال له ابن مناذر : حَسْبُكَ، قد ٱستغنيتَ عن أن تزيد شيئاً، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر؛ ثم فأنت أشعر وقصيدتُك أفضلُ . فحكم له وقام أبو نواس منكسِراً .

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد قال حدّثني كثير بن إسماعيل التختكار قال :

لمّا قدِم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو الواسع وقِتينة وحسين بن الضحّاك وحاتم الرّيش وأنا، فأُدخلنا عليه . فلشُؤْمي وشقائي كتبتُ بين عينيّ : «سيّدي هَبْ لي شيئاً» . فلما رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال حمدون[1] بن إسماعيل : يا سيّدي تطايَبَ بأن كتب على جبينه : «سيّدي هب لي شيئاً !» فلم يَستطِبْ لي ذلك ولا ٱستملحه، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدْعُ بي . ففزِعتُ الى حسين بن الضحّاك؛ فقال لي : إنّي لم أحلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أشفع اليه فيك، ولكنّي أقول لك بيتين من شعر وآدفعهما الى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغُ . فقلتُ : أفعَلُ . فقال حسين :

قُلْ لدنيا أصبحتْ تلعب بي ... سلّط الله عليكِ الآخره
إن أكن أبردَ من قِتِينـةٍ ... ومن الرّيش فأمّي فاجره

قال : فأخذتهما وعرّفتُ حمدون أنهما لي وسألته إيصالهما ففعل؛ فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار وآستحضرني وألحقني بأصحابي .

أخبرني عمي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لي أحمدُ[2] بن حمدون :

(١) هو حمدون بن اسماعيل بن داود الكاتب، وهو اول من نادم الخلفاء من أهله .

(٢) هو أحمد بن حمدون بن اسماعيل راوية إخباري روى عن العدوى، له من الكتب كتاب الندماء والجلساء .

كان محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر لا يرى الصَّبوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباُحه استخفافاً بالخدمة؛ لأنه لا يأمن أن يُدعى على غفلة والغبوق يُؤمِّنه من ذلك؛ وكان المعتصم يحبُّ الصبوح؛ فكان يُلقِّب ابنَ بُسخُنَّر الغَبوقيَّ. فاذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبوحَ وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه؛ فاذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظاً عليه؛ فيَضِجُّ من ذلك ويَسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء اذا حضروا فيمنعه ذلك. فقال فيه حسين بن الضحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرّاط وكان من المضحِكين:

حُبّ أبي جعفر للغَبُوق — كقُبْحِك يا حاتِمُ مُقبِلا
فلا ذاك يُعذَر في فعله — وحقُّك في الناس أن تُقتلا
وأشبه شيء بما اختاره — ضُراطُك دونَ الخلا في الملا

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال:

مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مُزاحاً أغضبه؛ فجاوبه حسين جواباً غضِب منه أبو أحمد أيضاً. فمضى اليه حسين من غدٍ فاعتذر اليه وتنصّل وحلف؛ فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثِقَلاً في طَرْفه وانقباضاً عما كان يعهده منه؛ فقال في ذلك:

لا تَعجَبَنّ لملّةٍ صرَفتْ — وجهَ الأمير فإنه بشرُ
وإذا نبا بك في سَريرته — عَقْدُ الضمير نبا بك البصر

مع الأمين:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أبو محمد بن النشّار قال:

كان أبي صديقاً للحسين بن الضحّاك وكان يعاشره؛ فحملني معه يوماً اليه،

وجعل أبي يحادثه الى أن قال له : يا أبا علي، قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ونفقتك كثيرة، فكيف يمشي أمرك ؟ فقال له : بلى والله يا أخي، ما قِوام أمري إلا ببقايا هِباتِ الأمين محمد بن زُبَيدة وذخائره وهِباتِ جاريةٍ له — لم يُسمّها — أغنتني للابد لشيء ظريف جرى على غير تعمّد ؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي : يا حسين، إن جليسَ الرجل عشيرُه وثقته وموضعُ سرّه وأمنه ، وإن جاريتي فلانةَ أحسنُ الناس وجهاً وغناء، وهي مني بمحل نفسي، وقد كدّرتْ عليّ صفوَها ونغّصتْ عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنّيها عليّ وإدلالِها بما تعلم من حبّي إياها . وإني مُحضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها . فإذا غنّتْ وأومأتُ لك اليها — على أن أمرها أبينُ من أن يخفى عليك — فلا تَستحسِن الغناء ولا تشرب عليه ؛ وإذا غنّت الأخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك، وعليّ مكانَ كل ثوب مائةُ ثوب . فقلت : السمعُ والطاعة . فجلس في حجرة الخَلوة وأحضرني وسقاني وخلع عليّ ، وغنّت المحسنةُ وقد أخذ الشرابُ مني، فما تمالكتُ أن استحسنتُ وطربتُ وشربتُ، فأومأ إليّ وقطّب في وجهي . ثم غنّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله . ثم غنّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسناً، فما ملكتُ نفسي أن صِحتُ وشربتُ وطربتُ، وهو ينظر إليّ ويَعَضُّ شفتَيْه غيظاً، وقد زال عقلي فما أفكّر فيه، حتى فعلتُ ذلك مراراً؛ وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ مما يكره ؛ فغضِب فأمضّني وأمر بجرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ، فأمر بأن أُحجَب . وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسألوني عن قصّتي فأقول لهم : حمل عليّ النبيذُ فأسأتُ أدبي، فقوّمني أمير المؤمنين بصَرْفي وعاقَبني بمنعي من الوصول اليه . ومضى لِما أنا فيه شهرٌ، ثم جاءتني البِشارةُ أنه قد رضي عني، وأمر بإحضاري فحضَرتُ وأنا خائف . فلما وصلتُ أعطاني الأمين يدَه فقبّلتُها، وضحك إليّ وقام وقال : اتبعني، ودخل الى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري . وغنّتِ المحسنةُ التي نالني من أجلها ما نالني فسكتُّ . فقال لي : قُلْ ما شئتَ ولا تَخَفْ؛ فشربتُ واستحسنتُ . ثم قال لي : يا حسين، لقد خار اللهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما

تحبّ فيه . إن هذه الجاريةَ عادت الى الحال التي أُريد منها ورضِيتُ كلّ أفعالها؛ فأذكرتني بك وسألتني الرّضا عنك والاختصاصَ لك؛ وقد فعلتُ ووصلتُك بعشرة آلاف دينار، ووصلتُك هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ الى مثل هذه الحال ثم تحقِد ذلك عليك فتسألني ألّا تَصِلَ إليّ لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ الى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلّا وصِلاتُها وألطافُها تصل اليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلا سألته أن يصِلَني . فكلُّ شيء أنفقتُه بعده الى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخرتُ من صِلاتها . قال ابن النشّار : فقال له أبي : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه الله لك فيه .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال :

دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأمين بعقِبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر[1] فهزموهم وفضحوهم؛ فهنّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده :

أمينَ الله ثِقْ بالله تُعطَ العزّ والنُّصرهْ
كِلِ الأمرَ الى الله كلاكَ[2] الله ذو القُدره
لنا النصرُ بإذن الله والكَرّةُ لا الفَرّه
وللمُرّاق أعدائك يومُ السَّوْء والدَّبْره[3]
وكأسٌ تُورِدُ الموت كريهٌ طعمُها مُرّه

---

(١) هو طاهر بن الحسين أحد دعاة المأمون وأكبر قوّاده، وهو الذي حاصر محمداً الامين وظفر به وقتله .

(٢) كلأك الله : حفظك، سهلت همزته .

(٣) الدبرة : الهزيمة في القتال .

سَقَوْنا وَسَقيناهم فكانت بهم اَلحرّه
كذاك الحربُ أحياناً علينا ولنا مَرّه

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنشِده .

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال :

قال لي الحسين بن الضحّاك : شرِبنا يوماً مع الأمين في بستانٍ، فسقانا على الرّيق، وجدّ بنا في الشرب، وتحرّزَ من أن نذوق شيئاً . فاشتدّ الأمرُ عليّ، وقتُ لأبول، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرةٍ أومأتُ اليها رُقاقةً فيها لحمٌ، فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمد فقال : من يكون منكم حِماري ؟ فكلٌّ واحد منهم قال له : أنا، لأنه كان يركب الواحدَ منا عَبَثاً ثم يصله؛ ثم قال : يا حسين، أنت أضلَعُ[1] القوم . فركِبني وجعل يطوف وأنا أعدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي اليها حتى صار تحتها، فرأى الرُّقاقةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم؛ ثم رجع الى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر :

ومُطعِم الصيدِ يومَ الصيد مَطعَمَه أنّى توجّه والمحروم محروم

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النّحويّ المبرّد قال : كان حسين بن الضحّاك الأشقر، وهو الخليع، يهوى جاريةً لأمّ جعفر، وكانت من أجمل الجواري، وكان لها صُدْغانِ مُعقْرَبان، وكانت تخرج اليه اذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنشِدنا منه شيئاً؛ فيُخرج اليها الصحيفة، فتقول له : اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ . فشكا ذلك الى عاصم الغسّانيّ

(١) الأضلع : الشديد القويّ الأضلاع .

الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مَكِيناً عند أمّ جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبتْ عليه أمُّ جعفر؛ فوجّه الى الخليع بألف دينار وقال: خُذْ هذا الألفَ؛ فقد جَهدتُ الجهدَ كلّه فيها فلم تُمكنّي حيلة. فقال الحسين في ذاك:

رمَتْك غداةَ السبت شمسٌ من الخُلدِ ... بسهم الهوى عَمْداً وموتُك في العَمْدِ
مؤزَّرةُ السِّرْبال مهضومةُ الحشا ... غُلامِيَّةُ التقطيع شاطرة القَدِّ
مُحَنَّاة الأطراف رُوْدٌ شَبابُها ... مُعَقْرَبةُ الصُّدغين كاذبة الوعد
أقول ونفسي بين شَوْقٍ وزَفْرةٍ ... وقد شَخَصتْ عيني ودمعي على الخدّ
أجيزي على من قد تركتِ فؤادَه ... بلحظته بين التأسّف والجهد
فقالت عذابٌ بالهوى مع قربكم ... وموتٌ اذا أقدحتُ قلبَك بالبعد
لقد فَطِنت للجوْر فطنةَ عاصمٍ ... لصُنع الأيادي الغُرّ في طلب الحمد
سأشكوكِ في الأشعار غيرَ مُقصِّرٍ ... الى عاصمٍ ذي المكرُمات وذي المجد
لعلّ فتى غسّانَ يجمع بيننا ... فيأمنَ قلبي منكُم رَوعةَ الصَّدِّ

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن مُخارِق قال:

أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقطِع الحسين بن الضحّاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمينَ الله لا خِطَّةَ[1] لي ... ولقد أفردتَ صَحْبي بخِطَطْ
أنا في دَهياءَ من مَظلِمةٍ ... تحمِل الشيخَ على كلّ غَلَط
صعبةِ المَسلَك يرتاع لها ... كلُّ من أصعَد فيها وهَبط
بَوّني[2] منك كما بَوّأتهم ... عَرْصة تبسُط طرْفي ما انبسط
أبتني فيها لنفسي موطِناً ... ولعَقْبي فَرَطاً بعد فَرَط

(١) الخطة: المكان المختط لعمارة وغيرها، وهي أيضاً أرض يختطها الرجل لم تكن لاحد قبله.

(٢) بوّني: أصلها «بوّئني»، سهلت الهمزة فصارت ياء ثم حذفت لصيغة الأمر.

لم يزَلْ منكَ قريباً مسكني فأعِدْ لي عادَةَ القربِ فقطْ
كلُّ من قرّبته مُغتَبِطٌ[١] ولمن أبعدتَ خِزْيٌ وَسخَط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال:

كنتُ أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبُرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شجٍ على ابنٍ لها. فقال أبو العتاهية:

أمَا تنفكّ باكيةٌ بعينٍ غَزيرٌ دمعُها كَمِدٌ حشاها

أجِزْ يا حسين، فقلت:

تُنادي حفرةً أعيَتْ جواباً فقد وَلِهَتْ[٢] وَصَمَّ بها صَداها[٣]

منعته السياسة من الرثاء:

حدّثني الصوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيي قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كلّه وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا اليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه، إلّا أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه

(١) يقال: فلان مغتبط (بكسر الباء) اذا كان في نعمة، ومغتبط (بفتح الباء) اذا اغتبطه الغير على نعمة وتمنى ان يكون مثله.

(٢) الوله: الحزن او ذهاب العقل لفقدان الحبيب.

(٣) الصدى: الصوت الذي يرده الجبل اذا رفع فيه الانسان صوته. وصمم الصدى كناية عن الهلاك.

والتوجّع له بما صار هجاء لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنصَبٌّ الى العراق قد أقبل عليك؛ فأبقِ على نفسك؛ يا وَيحك ! أتجسُر على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهمُ نَفَلاً^١ والمُحصَناتُ صوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعدكَ أن يدوم لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شرَفُ

أكفُفْ غَرْبَ لسانك وأطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرَط منك . فعلِمتُ أنه قد نصَحني فجزيتُه الخيرَ، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وكِدتُ أن أنجو .

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أبو العَيْناء قال :

وقف علينا حسين بن الضحّاك ومعنا فتًى جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه، فحادثنا طويلًا وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعرِضٌ عنه حتى طال ذلك؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال :

تَتيه علينا أن رُزِقتَ ملاحةً فمَهلًا علينا بعضَ تِيهك يا بدر
لقد طالما كنَّا مِلاحاً وربما صَدَدنا وتِهنا ثم غيّرنا الدهر

وقام فانصرف .

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفيّ قال حدّثني ابن عَجلان قال :

غنّى بعضُ المغنّين في مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضحّاك، وهو :

صوت

ألستَ ترى دِيمةً تَهطِلُ وهذا صباحُك مُستقبَلُ
وهذي العُقار وقد راعنا بطلعته الشادنُ الأكحل
فعادَ به وبنا سكرةٌ تُهوِّن مكروهَ ما نسأل

(١) النفل : الغنيمة .

فإني رأيتُ له نظرةً تخبِّرنا أنــه يفعــلُ

قال: فأمر بإحضار حسين فأُحضِر، وقد كان محمد شرِب أرطالاً. فلما مَثل بين يديه أمر فسُقِي ثلاثةَ أرطالٍ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقَذَف، فأمر بحمله الى منزله فحُمل. فلما أفاق كتب اليه:

اذا كنتُ في عُصبةٍ من المَعشر الأخيبِ
ولم يَكُ لي مُسعِدٌ نديمٌ سوى جُعدُب
فأشرَبُ من رَمْـلةٍ وأسهرُ من قُطرُب[1]
ولمّا حباني الزما ن من حيث لم أحسب
ونادمتُ بدرَ السما ء في فَلَك الكوكب
أبتْ لي غُضُوضيَّتي[2] ولؤمٌ من المَنصِب
فأسكرني مسرعاً قويٌّ من المَشرب
كذا النذلُ يَنبو به منادمـةُ المُنجِب

قال: فردّه الى منادمته وأحسن جائزته وصلَته.

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون: أن الحسين بن الضحاك أنشده — وقد عاتبه خادم من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة؛ فقال حسين فيه —:

صوت

فَدّيتُ من قال لي على خَفَرهْ وغَضَّ جفناً له على حَوَرهْ

(١) القطرب: طائر يجول الليل كله لا ينام، قالوا: «أجــول من قطرب «و» أسهر من قطرب».

(٢) الغضوضية: غضاضة الشباب ونضارته، والمراد بها الطيش والنزق وهما من حظ الشبــاب ولوازمه. والغضوضية من المصادر الصناعية مثل الرجولية والفروسية.

سمّع بي شعرُكَ المليح فما ينفكّ شادٍ به على وَتَرِهْ
فقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الـخِشفِ وحسنِ الفتور من نَظَرِه
لا تُنكرنَّ الحنينَ من طَرَبٍ عاود فيك الصِّبا على كِبَرِه

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

شعره على قبر النواسي :

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني أبو سَهل بن نُوبَخت عن عمرو بن بانة قال :

لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره :

كابَرَنيكَ الزمانُ يا حسنُ فخاب سَهمي وأفلح الزمنُ
ليتك إذ لم تكن بقيتَ لنا لم تَبقَ روحٌ يَحُوطها بدن

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال :

كان في جوار الحسين بن الضحّاك طبيب يُداوي الجراحاتِ يقال له نُصَير، وكان مخنّثاً؛ فإذا كانت وليمةٌ دخل مع المخنّثين، وإذا لم تكن عالج الجراحاتِ . فقال فيه الحسين بن الضحّاك :

نُصَيرُ ليس المُردُ من شأنه نصيرُ طَبٌّ بالنّكاريشِ[1]
يقول للنّكريش في خَلوة مقالَ ذي لُطف وتَجميش
هل لك أن نلعبَ في فرشنا تقلُّبَ الطيرِ المَراعيش[2]

يعني المبادلة : فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : « يا نصير نلعب تقلُّبَ الطيرِ المراعيشِ » فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة .

(١) الطب : العالم بالشيء . والنكريش : الملتحى .
(٢) المراعيش : نوع من الحمام وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الجو كالنجم .

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال :

أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها :

لفَقدِكِ ريحانةَ العسكر

وكانت من أول ما قلتُه من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به الى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا؛ فقلنا : فإنما فعله طَنْزاً[1] بك؛ فشتَمه وشتمنا . وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد ابن ابي كامل قال :

مررتُ بباب حسين بن الضحّاك، وإذا أبو يزيد السَّلوليّ وأبو حَزْرةَ الغَنَويّ وهما ينتظرانِ المُحاربيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضحّاك ؛ فقلت لهما : لم لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد : ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجبُ مما اجتمع مناء الغَنَويّ والسَّلوليّ ينتظرانِ المُحاربيّ ليدخلوا على باهليّ .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنجِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال :

كان الواثق يميل الى الفتح بن خاقان[2] ويأنس به وهو يومئذٍ غلام، وكان الفتح ذكياً جيّد الطبع والفِطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرطُوج : يا فتح أيّما أحسن : داري او دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقفٍ وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبي إذا كنتَ فيها؛ فعجِب منه وتبنّاه .

(١) الطنز : السخرية .

(٢) هو الفتح بن خاقان بن أحمد، كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الادب من اولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخاً ووزيراً له، وكان يقدّمه على سائر ولده وأهله .

وكان الواثق له بهذه المنزلة، وزاد المتوكل عليها. فأعتلّ الفتح في أيام الواثق علّةً صعبة ثم أفاق وعُوفي، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عنّي الى الفتح تدعوه الى الصَّبوح؛ فكتبتُ اليه:

لمّا أصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني ... قد لاح لي باكرًا في ثوب بِذلَتِهِ
ناديتُ فتحاً وبَشّرتُ المدامَ به ... لمّا تخلّص من مكروه عِلّتِهِ
ذبْ الفتى عن حريم الراح مَكرُمةٌ ... إذا رآه امرؤٌ ضِدًّا لِنخلَتِهِ
فأعجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا ... وخالِس الدهر في أوقات غَفلتِهِ

فلما قرأها الفتح صار اليه فأصطبح معه.

أخبرني عمي قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدّثنا محمد ابن محمد الأنباريّ قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع وهو مُصطَبِحٌ وخادم له يَسقيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد أستحسنتُ سَقيَ هذا الخادم؛ فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقُل؛ فقلت:

أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي
فأستَثِرِ اللهوَ من مكامِنه ... من قبل يوم منغِّص ناهي
بأبنةِ كَرْمٍ من كفِّ مُنتَطِقٍ ... مؤتَزِرٍ بالمُجون تيّاه
يَسقيك من طَرْفه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مُجرِّبٍ داهي
كأساً فكأساً كأن شارِبَها ... حيرانُ بين الذّكور والساهي

قال: فأستحسنه عبد الله وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّة يومنا.

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادة بن الفَيض عن أبيه قال:

إتفق حسين بن الضحّاك ويُسرٌ مرّةً عند بعض إخوانها وشربا وذلك في

العشر الأواخر من شعبان . فقال حسين ليُسْرٍ : يا سيّدي، قد هجم الصومُ علينا، فتفضَّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك؛ فقال له : قد سكِرتَ وأخشى أن يبدوَ لك؛ فحلَف له يسرٌ أنه يَفي . فلما كان من الغد كتب اليه حسين وسأله الوفاء، فجحَد الوعدَ وأنكره . فكتب اليه يقول :

تجاسرت على الغدرِ كعاداتك في الهجرِ
فأخلفتَ وما استخلفتَ من إخوانك الزُّهْرِ
لئن خِستَ[1] لَمَا ذلكَ من فعلك بالنُّكْرِ
وما أقنعني فعلُك يا مختلِقَ العذرِ
بنفسي أنت إن سُؤْتَ فلا بدَّ من الصبرِ
وإن جرّعني الغيظَ وإن خَشَّن بالصدرِ[2]
ولولا فَرَقي منك لسمَّيتُك في الشعرِ
وعنّفتُك لا آلو وإن جُزْتُ مدى العُذْرِ
أمَا تحرج من إخلا ف ميعادك في العَشْرِ
غداً يفطِمنا الصومُ عن الراح الى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب؛ فقال : كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعل، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه، وتمّمنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا الى الليل، وقلتُ في ذلك :

سقى اللهُ بطنَ الدَّيرِ من مستوى السَّفحِ الى ملتقى النَّهرين فالأَثْلِ[3] فالطَّلحِ[4]

---

(١) خاس فلان بوعده : أخلف .

(٢) خشن بالصدر : أوغر به .

(٣) الأثل : شجر كالطرفاء إلا أنه أعظم منها وأجود عوداً، تتخذ منه الاقداح الصفر الجياد والقصاع والجفان، ورقه هدب طوال دقاق، ولا شوك له، وثمرته حمراء .

(٤) الطلح : أعظم العضاه شوكاً له عود صلب وصمغ جيد، وشوكه أحجن طويل، منبته في بطون الاودية .

مَلاعِبُ قُدْنَ القلبَ قَسراً الى الهوى ويَسَّرْنَ ما أمّلتُ من دَرَكِ النُّجْحِ
أتنسى فلا أنسى عتابَك بيننا حبيبَك حتى انقاد عفواً الى الصلح
سمحتُ لمن أهوى بصفو مودّتي ولكنّ من أهواه صِيغ على الشُّحِّ

شعره في يسر :

قال عليّ بن العبّاس : وأنشدني سَوادةُ بن القَيض عن أبيه لحسين بن الضحاك يصف أياماً مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص[1] ومجيء يُسرٍ اليه، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً :

تَيسَّري لِلّمام من أَمَمِ ولا تُراعِي حمامةَ الحَرَمِ
قد غاب – لا آب – من يُراقبنا ونام – لا قام – سامرُ الخَدَم
فاستَصحِبي مُسعِداً يفاوِضُنا إذا خَلونا في كلّ مُكتَتَم
تَبَذّلي بِذلَةً تَقرُّ بها العينُ ولا تَحصَري وتحتشمي
ليت نجومَ السماء راكدةٌ على دُجى ليلنا فلم تَرِم
ما لسروري بالشكّ ممتزجاً حتى كأنّي أراه في حُلُم
فَرِحتُ حتى استخفّني فرحي وشُبتُ عين اليقين بالتُّهَم
أمسح عيني مُستَثبِتاً نظري أخالُني نائماً ولم أنم
سَقياً لليلٍ أفنيتُ مدّته ببارد الرّيق طيّبِ النَّسم
أبيضَ مُرتَجَّةٍ روادفُه ما عِيب من قَرنه الى القدم
إذ قَصَباتُ العَريش تجمعنا حتى تجلّت أواخرُ الظُّلَم
وليلةٍ بتُّها محسَّدَةٍ محفوفةٍ بالظنون والتُّهَم
أبثّ عَبْراته على غَصَصٍ يَرُدّ أنفاسه الى الكَظَم

(١) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح تنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

سَقياً لقَيطُونها[١] ومُخدَعِها كم من لِمام به ومن لَمَمِ
لا أكفُر السَّيلَحِينَ[٢] أزمِنَةً مطيعةً بالنَّعيم والنِّعم
وليلة القُفص إن سألتَ بها كانت شفاءً لعلَّة السَّقَم
بات أنيسي صريعَ خمرته وتلك إحدى مصارع الكرم
وبتّ عن مَوْعِدٍ سبَقتُ به ألثم دُرّاً مُفلَّجاً بفَم
وابأبي من بدا برَوْعةِ «لا» وعاد من بعدها الى «نَعَم»
أباحني نفسَه ووسَّدني يُمنى يديه وبات مُلتزِمي
حتى اذا اهتاجت النواقسُ في سُحرةٍ أحوَى أحمّ كالحُمَم
وقلتُ هُبَّا يا صاحبيّ ونَبَّهتُ أبانا فهَبَّ كالزَّلَم[٣]
فاستنّها كالشهاب ضاحكةً عن بارقٍ في الاناء مُبتَسِم
صفراءَ زيتيَّةً موشّحةً بأرجوانٍ مُلَمَّع ضَرِم
أخذتُ ريحانةً أراحُ لها دبَّ سروري بها دبيبَ دَمي
فراجِع العذرَ إن بدا لك في الـعُذر وإن عُدتَ لائماً فَلُم

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني المُعتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال: قال لي الحسين بن الضحّاك وهو على شراب له: ويحكم أُحدّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة؟ قلنا: هات. قال: بلغ مولاه أنه جرى له مع أخيه سببٌ، فحجبه كما تُحجَب النساء، وأمر بالحَجْر عليه، وأمره ألّا يخرج عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكَّل به. فقلت في ذلك:

ظنّ من لا كان ظنّاً بحبيبي فحماهُ
أرْصد البابَ رقيبيـن له فاكتنفاه

(١) القيطون: بيت في بيت والمخدع: مثله أي الخزانة الصغيرة داخل الحجرة.

(٢) سيلحين: موضع قرب الحيرة ضارب في البر قرب القادسية وقيل: هو رستاق من رساتيق العراق.

(٣) الزلم: السهم.

فإذا ما اشتاق قربي ولقائي منعـاه
جعـل الله رقيبيـــه من السوء فداه
والذي أقرح في الشا دن قلبي ولواه
كلُّ مشتاق اليـه فمن السوء فـداه
سِيّا من حالت الأحــراسُ من دون مُناه

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قـال حدّثني عبد الله بن زكريّا الضّرير قال :

قال أبو نواس : قال لي حسين بن الضحّاك يوماً : يا أبا عليّ، أما ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ ! فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالٌ أردتُها منـه فمنَعَنيها فغضِبتُ؛ فأسألك أن تُصلح بيني وبينه . فقلت : وما تحبّ أن أبلغه عنك ؟ قال : تقول له :

بحُرْمة السُّكر وما كانا عزَمْتَ أن تقتل إنسانا !
أخاف أن تهجُرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
إنّ بقلبي روعـةً كلما أضمر لي قلبُك هِجرانا
يا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ فإنـه يصدُق أحيانا

قال : فقلت له : وَيحك ! أتجتنبه وتريد أن تترضّاه وتوسل اليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أنا أعرَف به، وهو كثير التبذّل، فأبلغه ما سألتُك؛ فأبلغتُه فرضي عنه وأصلحتُ بينهما .

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال :

جاءني يوماً حسين بن الضحّاك، فقلت له : أيّ شيء كان خبرُك أمسِ ؟ فقال لي : أسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن؛ فقلت : هات يا سيّدي؛ فقال :

زائرةٌ زارت على غفلةٍ يا حبّذا الزَّوْرةُ والزائرهْ
فلم أزلْ أخدَعُها ليلتي خديعةَ السّاحر للساحِره
حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرّضا وأنعمَتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ الى الصبح بها ساهراً وباتت الجوزاء بي ساهره
أفعل ما شئتُ بها ليلتي وملْءُ عيني نعمةٌ ظاهره
فلم نَنم إلّا على تسعة من غُلمة بي وبها ثائره
سَقياً لها لا لأخي شِعْرةٍ شِعرتُه كالشعرة الوافِره
وبين رجليه له حَرْبَةٌ مشهورةٌ في حَقوه شاهره
وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ تُلحقه بالكَرَّة الخاسره

قال: فقلت له: زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً. فقال: قل أنت ما شئتَ.

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو العيناء قال:

دخل حسين بن الضحّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب، فحثّه على الصَّبوح فلم ينشّط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده:

إستثِرِ اللهوَ من مكامنه من قبل يوم منغِّص ناهي
بابنة كرْم من كفّ مُنتطِقٍ مُؤْتزِرٍ بالمجون تيّاه
يَسقيك من لحظه ومن يده سَقيَ لطيفٍ مجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها حيرانُ بين الذِّكر والساهي

قال: فنشِط الواثق وقال: إنّ فرصة العيش لحقيقةٌ أن تُنتَهز؛ وأصطبح ووصَل الحسين.

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو الشِّبل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُميّ قال:

حجّ الحسين بن الضحّاك، فمرّ في مُنصرفه على موضع يعرف بالقريتين[١]، فإذا جارية تَطَلَّع في ثيابها وتنظر في حِرِها ثم تضربه بيدهـا وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مررتُ بالقـريتين مُنصرِفاً من حيث يقضي ذوو النُهى النُسُكا
إذا فتاةٌ كأنها قـرٌ للتِمّ لمّا توسّط الفَلَكا
واضعـةٌ كفّها عـلى حِرِها تقول يا ضَيعتي وضَيعتَكا

قال: فلما سمعتْ قوله ضحكتْ وغطّتْ وجهها وقالت: وافضِيحتاه! أوَقد سمعتَ ما قلتُ!

حدّثني محمد الصُوليّ قال حدثني ميمون بن هارون قال:

كان الحسين بن الضحاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معه كثيراً، وكانت نفسه قد تتبعت شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكل؛ فأنشدنا لنفسه فيه:

وأبيض في حُمر الثياب كأنه اذا ما بدا نِسرينةٌ[٢] في شقـائقِ
سقـاني بكفّيه رحيقاً وسامَني فسُوقاً بعينيه ولستُ بِفاسق
وأقسم لولا خشيةُ الله وحـدَه ومن لا أُسمّي كنتُ اول عاشق
وإنّي لمعذورٌ عـلى وَجَناته وإن وَسَمَتني شيبةٌ في المفارق
ولا عِشقَ لي أو يُحدِثَ الدهرُ نشرةً تعـود بعادات الشباب المُفارق
ولو كنتُ شكلاً للصِبا لاتّبعتُه ولكن سنّي بالصِبا غيرُ لائق

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال:

كان للحسين بن الضحاك أبن يسمّى محمداً، له أرزاق، فمات فقُطِعتْ أرزاقُه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق أبنه المتوفّى لزوجته وأولاده:

(١) القريتان: قرية قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة.

(٢) النسرين: ضرب من الرياحين.

إنّي أتيتُــك شافعاً بوليّ عهــد المسلمينا
وشبيهك المعــتزّ أو جهِ شافع في العالَمينا
يأبن الخلائف ٱلأوّليـــن ويا أبا المتأخرينـا
إنّ ٱبن عبــدك مات والأيّامُ تخترم القرينــا
ومضى وخلّف صبيــةً بعِراصه مُتلدّدينــا[١]
ومُهيرةً عَبرى خِــلا فَ أقاربٍ مُستعبِرينا
أصبحنَ في رَيب الحوا دث يُحسنون بك الظّنونا
قطَع الوُلاةُ جِرايةً كانوا بها مُستمسِكينا
فأمُنُن بردّ جميــع ما قطعوه غــيرَ مراقبينا
أعطاكَ أفضــلَ ما تؤمّل أفضــلُ المتفضّلينا

قال : فأمر المتوكل له بما سأل . فقال يشكره :

يا خيرَ مُستخلَفٍ من آل عبّاسِ إسلَمْ وليس على الأيام من باسِ
أحييتَ من أملي نِضْواً تَعاوَرَه تَعاقُبُ اليأس حتى مات باليأس

هجا مغنية فهربت :

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال :

كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضحاك ونحن على نبيذ؛ فعبِث بالمغنّية وجمّشها؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به . فأنشأ يقول :

لهـا في وجهها عُكَنُ وثُلثا وجهها ذَقَنُ
وأسنانٌ كَريشِ البَطّ بـينَ أصولهـا عَفَن

قال : فضحكنا، وبكت المغنّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ؛ وما ٱنتفعنا بها بقيّة يومنا.

(١) المتلدد : المتحير .

وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلها. وكانت إذا حضرتْ في موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ. ثم هربتْ من سُرّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

قال جعفر وحدّثنا أبو العَيناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثلَ ما حكاه محمد.

سنه :

حدّثني عمي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

سألت حسين بن الضحاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنه؛ فقال : لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدت فيها بعينها، ولكني أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعبةَ بن الحجّاج سنة ستين ومائة.

حدّثني الصولي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي (يعني أحمد ابن حمدون) قال :

أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحاك ويلازمَه؛ فلم يُطِق ذلك لكِبَر سنه. فقال للمتوكل بعضُ من حضر عنده : هو يُطيق الذّهابَ الى القُرى والمَواخيرِ والسكرَ فيها ويعجِز عن خدمتك! فبلغه ذلك، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها؛ فأوصلتُها الى المتوكل، وهي :

أمَا في ثمانين وفّيتُها ... عَذيرٌ وإن أنا لم أعتذرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً ... مع الصاعدين بتِسع أُخَر
وقد رفع الله أقلامَه ... عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصرّ على فتنةٍ ... وألحد في دينه أو كفر
وإنّي لمن أُسَراء الإلٰه ... في الأرض نُصْبَ صروفِ القدر
فإن يَقضِ لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يَقضِ شرّاً غَفَر

فلا تَلحَ في كِبَرٍ هدّني فلا ذنبَ لي أن بَلَغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب فأعقبني خَوَراً من أَشَر
وقد بسَط اللهُ لي عذرَه فمن ذا يلوم اذا ما عذَر
وإنّي لَفِي كَنَفٍ مُغدِقٍ وعزٍّ بنصر أبي المنتصِر
يُباري الرياحَ بفضل السما ح حتى تَبلَّدَ أو تَنحسِر
له أكّدَ الوحيُ ميراثَه ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَر
وما للحسود وأشياعِه ومَن كذَّب الحقّ إلا الحَجَر

قال ابن حمدون : فلما أوصلتُها شيَّعتُها بكلامي أعذِره، وقلت : لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكل : صدَقتَ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملها اليه؛ فأخذتُها فحملتُها اليه .

ضربه الخلفاء من الرشيد الى الواثق :

حدّثني عمي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي عن حسين ابن الضحاك قال :

ضربني الرشيد في خلافته لصُحبتي ولدَه، ثم ضربني الأمينُ لمُمايَلة ابنه عبد الله، ثم ضربني المأمون لميلي الى محمد، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي الى المتوكل، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذيرِ لي . ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعاً بالولع بي، فتغاضب المتوكل عليّ . فقلت له : يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك، فاعلم أنّ آخر ضَرْب ضُربتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن اليك يا حسين وأصونك وأُكرمك .

في اواخر ايامه :

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان الأَبزاري[١] قال :

دخلت على حسين بن الضحّاك، فقلت له : كيف أنت ؟ جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول :

أَصبحتُ من أُسراء الله مُحتَبَساً   في الأَرض نحو قضاء الله والقَدَرِ
إنّ الثمانين إذ وُفّيتُ عِدّتها   لم تُبقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ

---

(١) نسبة الى أبزار، وهي قرية بينها وبين نيسابور فرسخان .

أخبار أبي زكار الاعمى

قال أبو الفرج : أبو زكّار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المُغنّين، وكان منقطِعاً الى آل برمك، وكانوا يُؤثرونه ويُفضِلون عليه إفضالاً .

فحدّثني محمد بن جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال : سمعت مسروراً يحدّث أبي قال :

لمّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبعَدْ(١) فكلُّ فتًى سيأتي عليه الموتُ يَطرُقُ أو يُغادِي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً وإن بَقِيَتْ تصيرُ الى نَفادِ
ولو يُفدى من الحدثان شيءٌ فديتُك بالطَّريف وبالتِّلادِ

فقلت له : في هذا والله أتيتُك ! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه . فقال لي أبو زكّار : نَشَدْتُك اللهَ إلّا ألحقتَني به . فقلتُ : وما رغبتُك في ذلك ؟ قال : إنه أغناني عمّن سواه بإحسانه، فما أُحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أستأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك . فلما أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكّار؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصطنَعٌ، فاضمُمْه اليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتمِمْه له.

حدّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال :

غنّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي؛ فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت مُعرِقٌ في العمى . الشِّعر لبشّار الاعمى، والغناء لأبي زكّار الاعمى، وأولُ الصوت « عميت أمري » .

(١) لا تبعد : لا تهلك .

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

ما جَرَتْ خطرةٌ على القلب منّي فيكِ إلا ٱستترْتُ عن أصحابي
من دموع تجري، فإن كنتُ وحدي خالياً أسعدتْ دموعي ٱنتحابي
إن حبّي إيّاكِ قد سلّ جسمي ورماني بالشيب قبل الشباب
لو منحتِ اللقا شفى بك صبّاً هائمَ القلب قد ثوى في التراب

الشعر في الأبيات للسيّد الحِميَري. والغناء لمحمد نعجة الكوفي، مُغنّ غير مشهور ولا ممن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر.

اخبار السيد الحميرى

السيّد لقبُه . واسمه إسماعيل بن محمد يزيد بن رَبيعة بن مُفرّغ الحميري . ويكنى أبا هاشم . وأمه امرأة من الأزْد ثم من بني الحُدّان . وجدُّه يزيد بن رَبيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياد[1] وبنيه ونفاهم عن آل حرب؛ وحبسه عُبَيد[2] الله بن زياد لذلك وعذّبه، ثم أطلقه معاوية . وخبرُه في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أخباره؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أخبار السيّد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النَّخعي قال : سمعتُ ابن عائشة والقَحذَمي يقولان : هو يزيد بن مُفرّغ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ . ومفرّغ لقب ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُساً من لبن فشربه حتى فرّغه؛ فلُقِّب مفرِّغاً . وكان شَعّاباً[3] بسَيالة، ثم صار الى البصرة .

شاعر متقدم مطبوع :

وكان شاعراً متقدِماً مطبوعاً . يقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار، وأبو العتاهية، والسيّد؛ فإنه لا يُعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع .

---

(١) هو زياد ابن أبيه الأموي . كان والياً على العراق في أيام معاوية بن أبي سفيان .

(٢) هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه يزيد .

(٣) الشعاب : مصلح الشعب وهو الصدع يكون في الإناء . والسيالة : أول مرحلة لاهل المدينة اذا ارادوا مكة .

وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، فتُحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجره الناس تخوفاً وتراقباً. وله طراز من الشعر ومذهب قلّما يلحق فيه أو يقاربه. ولا يعرف له من الشعر كثير. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممن هو عنده ضدٌّ لهم. ولولا أنّ أخباره كلها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً؛ ولكنا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيّئ اختياره على قلّة ذلك.

شيعي من خارجي:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن إسماعيل ابن الساحر راوية السيّد، قال ابن عمّار وحدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه:

أن أبوي السيّد كانا إباضيّين[1]، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبّة، وكان السيّد يقول: طالما سُبّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سُئل عن التشيّع من أين وقع له، قال: غاصت عليّ الرحمةُ غوصاً.

ورُوي عن السيّد أن أبويه لمّا علما بمذهبه همّا بقتله؛ فأتى عُقبة بن سَلم الهنائيّ فأخبره بذلك، فأجاره وبوّأه منزلاً وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

وقد أخبرني الحسن بن علي البزّيّ عن محمد بن عامر عن القاسم بن الرّبيع

---

(١) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباض وهي فرقة من الخوارج.

عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالخزق راوية السيّد الحميري قال : ما مضى والله إلّا على مذهب الكَيْسانيّة[١] . وهذه القصائدُ التي يقولها الناس مثل :

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ
و تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا

وقوله :

أيا راكباً نحو المدينة جَسرةً[٢] عُذافرةً تهوي بها كلُّ سَبسَبِ
إذا ما هداكَ اللهُ لاقيتَ جعفراً فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذّبِ

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط، قالها ونَحلها للسيّد، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرَها، بمحل قاسم منه وخدمتِه إياه .

اوصافه ومواهبه :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيل بن بشّار قال :

كان السيّد أسمرَ، تامَّ القامة، أشنبَ[٣]، ذا وَفرةٍ[٤]، حسن الألفاظ، جميلَ الخطاب، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه .

أخبرني أحمد قال حدّثني محمد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشّيبانيّ عن لَبْطة بن الفرزدق قال :

(١) الكيسانية : فرقة من الشيعة الامامية .
(٢) الجسرة : العظيمة من الإبل . والعذافرة : الشديدة منها .
(٣) الشنب : البياض والبريق والتحديد في الاسنان .
(٤) الوفرة : ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر .

تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إن هاهنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه من هما؟ فقال: السيّد الحميريّ وعمران بن حطّان السّدوسيّ، ولكنّ الله عز وجل قد شغل كلّ واحد منهما بالقول في مذهبه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار قال:

كان السيّد أسمرَ، تامَّ الخلقة، أشنبَ، ذا وَفرة، حسنَ الألفاظ، وكان مع ذلك أنتنَ الناس إبطين، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتها.

قال حدّثني التّوّزيّ قال: رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيّد، فقال: لمن هذا؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه؛ فأقسم عليّ أن أخبِره فأخبرتُه؛ فقال: أنشِدني قصيدةً منه؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يستزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المُحدَثين السيّد الحميريّ وبشار.

أخبرني عمي قال حدّثني الحسن بن عُليل العنَزيّ عن أبي شُراعة القَيسيّ عن مسعود بن بِشر:

أن جماعةً تذاكروا أمرَ السيّد، وأنه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنفيّة وقال بإمامة جعفر بن محمد. فقال ابنُ الساحر راويتُه: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجعفريّات إلا منحولةٌ له قيلتْ بعده. وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلًا يروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ عليه

السلام : « إنه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحلتُه اسمي وكُنيتي » فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها :

أشاقتك المنازلُ بعد هندٍ وتربيها وذاتِ الدلّ دَعْدِ
منازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ[1] معالمُهن من سَبَلٍ[2] ورَعْد
وريحٍ حَرجَفٍ[3] تَستَنّ فيها بسافي التُّرْب تُلحِم ما تُسدِي
ألم يَبلُغك والأنباء تَنمي مقالُ محمدٍ فيما يؤدِي
إلى ذي علمه الهادي عليّ وخَولَةُ خادمٌ في البيت تَردِي[4]
ألم تر أنّ خولةَ سوف تأتي بواري الزَّند صافي الخِيم[5] نَجد
يفوز بكنيتي واسمي لأنّي نَحلتُهما والمهديّ بعدي
يُغيَّب عنهم حتى يقولوا تضمّنه بطيبة بطنُ لَحْد
سنينَ وأشهراً ويُرى برَضوى بشِعْب بين أنمار وأُسْد
مقيم بين آرامٍ وعِينٍ وحِفّانٍ[6] تروح خِلالَ رُبْد
تُراعيها السِّباع وليس منها ملاقيهنّ مفترساً بحَدّ
أمِنّ به الرَّدى فرتَعن طوراً بلا خوف لدى مَرْعى ووِرْد
حلفتُ بربّ مكة والمُصلّى وبيتٍ طاهر الأركان فَرْد
يطوف به الحَجيجُ وكلّ عامٍ يَحُلّ لديه وفدٌ بعد وفد
لقد كان ابنُ خَولة غيرَ شكٍّ صَفاءَ ولايتي وخُلوصَ وُدّي
فما أحدٌ أحبّ إليّ فيما أُسِرّ وما أبوح به وأبدي

(١) محت : عفت .

(٢) السبل : المطر .

(٣) ريح حرجف : باردة . وتستن : تعدو فيها إقبالا وإدبارا .

(٤) تردي : تلعب، يقال : الجواري يردين رديا اذا رفعن رجلا ومشين على أخرى يلعبن .

(٥) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٦) الحفان : صغار النعام .

سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يابنَ خولة إذ رمتني بأسهُمها المنيَّـةُ حين وعدي
يُذَبِّبُ عنكمُ ويَسُدُّ مما تثلَّم من حصونكم كسَدِّي
وما لي أن أُمَرَّ به ولكن أؤمِّل أن يؤخِّر يومُ فقدي
فأُدرِكَ دولةً لك لستَ فيها بجبَّارٍ فتوصَفَ بالتَّعدِّي
على قومٍ بَغَوا فيكم علينا لتُعدِيَ منكمُ[1] يا خيرَ مُعْدِ
لِتَعلُ بنـا عليهم حيث كانوا بغَورٍ من تِهامة أو بنجدِ
إذا ما سِرتَ من بلدٍ حرامٍ الى من بالمدينة من مَعَدِّ
وماذا غرَّهم والخيرُ منهم بأشوَسَ[2] أعصَلِ الأنيابِ وَرْدِ
وأنت لمن بغى وعدَا وأذكى عليك الحربَ واستَرداكَ مُرْدِ

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء، نسبته :

صوت

أشاقتك المنازلُ بعـد هندٍ وتِربَيها وذاتِ الدَّلِّ دعدِ
منازلُ أقفـرت منهنَّ مَحَّت معالمهُنَّ من سَبَلٍ ورعدِ

عروضُه من الوافر . الشعر للسيِّد الحِميريّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكيّ . وذكر الهشاميّ أنه لكَرْدَم . وذكر عمرو بن بانة أن اللّحن لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد : كنتُ عنده يوماً في جَناحٍ له، فأجال

---

(١) يقال : استعداه فأعداه اي استنصره فنصره .

(٢) الشوس : النظر بمؤخر العين وإمالة الوجه في شق العين التي ينظر بها، ويكون ذلك من الكبر والتيه او الغضب . وأعصل الانياب : معوجها .

بصرَه فيه ثم قال : يا إسماعيل، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح. قلت : ومن كان يفعل ؟ قال : أبواي . وكان يذهب مذهب الكيسانيَّة ويقول بإمامة محمد بن الحنفيَّة، وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ من لم تَصِح روايتُه أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميَّة[1]، وله في ذلك :

تجعفرتُ بأسم الله واللهُ أكبرُ وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفِرُ

وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصِّل، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه، وشعرُه في قصائده الكيسانيَّة مُبايِنٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الثُماليّ قال حدّثني التَوَّزيّ قال قال لي الأصمعيّ : أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحِميريّ فَعَل الله به وفعل؛ فأتيتُه بشيء منه؛ فقرأه فقال : قاتَله الله ! ما أطبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سبّ السَلَف لَمَا تقدّمه من طبقته أحد .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

أتيتُ أبا عبيدة مَعمَر بن المُثنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلما رآني أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إن أبا زيد ليس ممن يُحتشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرأه ، فاذا هو شعر السيّد . فجعل أبو عبيدة يَعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يَرويه . قال : وسمعتُ محمد بن أبي بكر المُقدَّميّ يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعي يُنشد شعرَ السيّد .

---

(١) الامامية : هم القائلون بامامة علي نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة اليه بالعين .

أخبرني ابن دُرَيد قال: سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدين؟ قال: السيّد وبشَّار.

وقال الموصليّ حدَّثني عمي قال:

جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة؛ فخِلتُ أن قد استوعبتُ شعره، حتى جلس اليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثّةٍ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره، فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كلَّه ثم أنشدني بعده ما ليس عنـدي لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حَضره! وعرفتُ حينئذٍ أن شعرَه ليس مما يُدرك ولا يُمكن جمعُه كله.

تقريعه لبشار:

أخبرني عمي قال حدَّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال:

وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر؛ فأقبل عليه وقال:

أيّها المـادحُ العبادَ ليُعطى إنّ لله ما بأيـدي العبادِ
فاْسأل اللهَ ما طلبتَ اليهم وارْجُ نفعَ المُنزّلِ العوّاد
لا تَقُلْ في الجواد ما ليس فيه وتُسمّي البخيلَ باسم الجواد

قال بَشّار: من هذا؟ فعرَّفه؛ فقال: لولا أن هذا الرجل قـد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. ورُوي في هذا الخبر أنّ عِمران ابن حطّان الشّاري[1] خاطب الفرزدقَ بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب.

---

(١) الشاري: أحد الشراة وهم طائفة من الخوارج يزعمون أنهم شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم.

سلام على من بايع الله شارياً وليس على الحزب المقيم سلام

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسيّ قال : اذا رأيتَ في شعر السيّد « دَعْ ذا » فدعه؛ فإنه لا يأتي بعده إلا سَبُّ السّلف أو بَليَّةٌ من بلاياه .

وروى الحسن بن عليّ بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيّد قال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم وكأنه في حديقةٍ سَبِخةٍ[1] فيها نخل طِوالٌ والى جانبها أرض كأنها الكافورُ ليس فيها شيء؛ فقال : أتدري لمن هذا النخل؟ قلت : لا يا رسول الله؛ قال : لامرئ القيس بن حُجْر، فاقلَعْها واغرِسها في هذه الأرض ففعلتُ . وأتيتُ ابنَ سيرينَ فقصَصْتُ رؤيايَ عليه ؛ فقال : أتقول الشعر؟ قلت : لا؛ قال : أمَا إنك ستقول شعراً مثلَ شعر امرئ القيس إلا أنك تقوله في قوم بَرَرة أطهار . قال : فما انصرفتُ إلا وأنا أقول الشعر .

قال الحسن وحدّثني غانم الورّاق قال : خرجت الى بادية البصرة فصِرتُ الى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا اليّ وأنسوا بي، وأنشدتُهم، وبدأتُ بشعر ذي الرُّمّة فعرَفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما؛ ثم أنشدتُهم للسيّد :

أتعرِف رسماً بالسَّوِيَّين قد دَثَرْ ... عَفَتْه أهاضيبُ[2] السحائبِ والمطرْ
وجرّت به الأذيالَ رِيحان خِلْفةً ... صَباً ودَبُورٌ بالعَشِيّاتِ والبُكَر
منازلُ قد كانت تكون بجوّها ... هضيمُ الحشا رياً الشّوى سحرُها النظر
قَطوفُ الخطا خَمصانةٌ بَخْتَرِيَّةٌ[3] ... كأنّ مُحيّاها سَنا دارة القمر
رمَتني ببُعد بعد قرب بها النّوى ... فبانت ولمّا أقضِ من عَبدة الوَطَر
ولما رأتني خشيةَ البين مُوجَعاً ... أُكفكِفُ منّي أدمُعاً فيضُها درر

(١) السبخة : الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

(٢) الاهاضيب : حلبات القطر .

(٣) البخترية : الحسنة المشية والجسم .

أشارت بأطرافٍ إليَّ ودمعُها كنَظْم جُمانٍ خانه السِلكُ فانتثرْ
وقد كنتُ مما أحدث البينُ حاذِراً فلم يُغنِ عنّي منه خوفي والحذر

قال: فجعلوا يُمرّقون[١] لإنشادي ويطرَبون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم؛ فقالوا: هو والله أحدُ المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِمَشقيّ قال حدّثنا الزبير ابن بَكّار قال: سمعتُ عمي يقول:

لو انّ قصيدةَ السيّد التي يقول فيها:

إنّ يوم التطهيرِ يومٌ عظيمٌ خُصّ بالفضل فيه أهلُ الكِساء[٢]

قُرئَت على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو ان شعره كلّه كان مثله لرويناه وما عِبْناه.

وأخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في:

إن يوم التَّطهير يوم عظيم

قال: ولم يكن التوَّزيّ متشيّعاً.

قال عليّ بن المغيرة حدّثني الحسين بن ثابت قال:

قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان يُنشدني الشيء من شعره، فأُنشِد في معناه للسيّد حتى أكثرتُ. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا.

---

(١) يمرقون: يغنون. والتمريق: ضرب من الغناء وهو غناء السفلة والاماء.

(٢) أهل بيت النبي.

مدح السفاح :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيل العنزيّ عن ابن عائشة قال :

لمّا أستقام الأمر لبني العبّاس قام السيّد الى أبي العبّاس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال :

دُونَكُموها يا بني هاشمٍ فجدِّدوا من عهدها الدّارسا
دُونكُموها لا علا كعبُ(١) مَنْ كان عليكم مُلكها نافسا
دونكُموها فألبَسوا تاجها لا تَعدَموا منكم له لابسا
لو خُيِّر المنبرُ فُرسانَه ما أختار إلّا منكم فارسا
قد ساسها قبلكمُ ساسةٌ لم يتركوا رَطْباً ولا يابسا
ولستُ من أن تَملكوها الى مَهبِط عيسى فيكمُ آيسا

فسرّ أبو العباس بذلك، وقال له : أحسنتَ يا إسماعيل ! سَلني حاجتَك؛ قال: تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل .

وذكر التّميميّ — وهو علي بن إسماعيل — عن أبيه قال : كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ أستأذن آذِنُه للسيّد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ . ودخل فسلّم وجلس . فأستنشده فأنشده قولَه :

أمرُرْ على جَدَث الحسين فقُل لأعظُمِه الزّكيّهْ
آأَعظُماً لا زِلتِ من وَطفاءَ(٢) ساكبةٍ رَوِيّه

(١) لا علا كعبه : لا شرفه الله ولا أسعده .

(٢) وطفاء : بينة الوطف . والوطف في السحاب : أن يكون في وجهه كالحمل الثقيل ، أو هو أسترخاء في جوانبه لكثرة مائه .

وإذا مررتَ بقبره فأطِلْ به وَقْفَ المطيَّهْ
وأبكِ المُطهَّرَ للمطهَّر والمطهَّرة النَّقيَّهْ
كبُكاء مُعولةٍ أتت يوماً لواحدها المنيَّه

قال: فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وأرتفع الصُّراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك لمّا أنصرفت؛ فقال لي: ويلي على الكَيْسانيّ الفاعل ابن الفاعل! يقول:

فإذا مررتَ بقبره فأطِل به وَقْفَ المطيَّهْ

فقلت: يا أبتِ، وماذا يصنع؟ قال: أوَ لا يَنحر! أوَ لا يقتُل نفسَه! فثَكِلَته أمُّه!

حدّثني أبو جعفر الأعرج – وهو ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار – عن إسماعيل ابن الساحر راويةِ السيّد – وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده:

وإسماعيلُ يَبرُزُ من فلانٍ ويزعُم أنّه للنّارِ صالِي

– قال: تلاحى رجلانِ من بني عبد الله بن دارمٍ في المُفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله؛ فَرضيا بحكم أول من يطلُع. فطلع السيّدُ، فقاما اليه وهما لا يعرفانه، فقال له مُفضِّل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما: إني وهذا أختلفنا في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: عليّ بن أبي طالب. فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال: وأيّ شيء قال هذا الآخرُ ابنُ الزانية! فضحك مَن حضر ووَجم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً.

وقال التّميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فُضَيل الرسان:

أُنشِد جعفرُ بن محمد قصيدةَ السيّد:

لأمِّ عمرو باللِّوى مَرْبَعُ دارسةٌ أعلامُه بَلقَعُ

فسمعتُ النَّحيبَ من داره. فسألني لمن هي، فأخبرتُه أنها للسيِّد، وسألني عنه فعرَّفتُه وفاته؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّستاق[1]؛ قال: أتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطرُ ذنبٍ عند الله أن يغفره لمُحِبِّ عليٍّ!

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال: جاء رجلٌ الى السيّد فقال: بلغني أنك تقول بالرَّجعة[2]؛ فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني. قال: أفتعطيني ديناراً بمائة دينار الى الرَّجعة؟ قال السيّد: نعم وأكثر من ذلك إن وثّقتَ لي بأنك تَرجع إنساناً. قال: وأيّ شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خِنزيراً فيذهب مالي؛ فأفحمه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائي الشاعر: أهدى إليَّ سليمان بن علي مُهراً أعجبني وعزَمتُ تربيته. فلما مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ، ففكّرت في صديق لي أُودِعه المهرَ ليقومَ عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفص، فصِرتُ اليه فسألته أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي؛ ودعا بسائسه فتقدّم اليه في ذلك؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به، ومضيتُ الى الحجّ. ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلّة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص،

(١) الرستاق: السواد والقرى.

(٢) الرجعة: أن يؤمن بالرجوع الى الدنيا بعد الموت.

أهكذا أوصيتُك في هذا المهر ! فقال: وما ذنبي ! لم يَنجع فيه العَلفُ ، فانصرفتُ به وقلت :

مَنْ عاذري من أبي حفص وثقتُ به	وكان عندي له في نفسه خطرُ
فلم يكن عند ظني في أمانته	والظنّ يُخلف والإنسانُ يُختبَرُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايتَه	حتى تبيّن فيه الجهدُ والضَّرر
عاتبتُه فيه في رفق فقلتُ له	يا صاحِ هل لك من عذر فتَعتذرِ
فقال داء به قِدماً أضرّ به	وداوه الجوعُ والإتعاب والسفر
قد كان لي في اسمه عنه وكُنيتِه	لو كنتُ مُعتبراً ناهٍ ومُعتبَر
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني	يوماً اذا غِبتُ عنه واسمه عمر
لو كان لي وَلَدٌ شتى لهم عددٌ	فيهم سَميّوه إن قلّوا وإن كثُروا
لم ينصحوا لي ولم يُبقُوا عليّ ولو	ساوى عديدَهمُ الحصباء والشجر

نصيحته للمهدي :

قال وحدّثني أبو سليان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش . فجاء السيّد فرفع الى الرّبيع رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصِلها اليه، فأوصلها، فإذا فيها :

قُل لابن عبّاسٍ سَميِّ محمدٍ	لا تُعطيَنّ بني عَـدِيّ[1] درهماً
إحرِم بنيّ[2] تيم بن مُرّةَ إنهم	شرُّ البريّة آخراً ومُقدَّما
إن تُعطِهم لا يشكروا لك نعمةً	ويكافئوك بأن تُذمّ وتُشتما
وإنِ ائتمنتهمُ أوِ استعملتَهم	خانوك واتخذوا خَراجك مَغنما

(١) هم بنو عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب .

(٢) هم رهط أبي بكر الصديق .

ولئن منعتَهمُ لقد بَدؤوكمُ بالمنـع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراثَ محمـدٍ أعمامَه وأبنَيهِ وأبنتَـه عَديلةَ مَريما
وتأمروا من غير أن يُستَخلفوا وكفى بما فعلوا هنالـك مأثما
لم يشكروا لمحمد إنعامَـه أفيشكرون لغيره إن أنعما
واللهُ منَّ عليهمُ بمحمـد وهداهمُ وكسا الجنُوبَ وأطعما
ثم أنبرَوْا لوصيّه ووليّـه بالمُنكَرات فجرَّعوه العَلقما

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها الى أبي عُبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه؛ وأنصرف الناس؛ ودخل السيّد اليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتَك يا إسماعيل، ولم يُعطهم شيئاً. أخبرني به عمي عن محمـد أبن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعيّ عن أبي سليمان الرّياحيّ مثلَه.

مناظرته شيطان الطاق:

أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القُمّيّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيّد:

أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطّـاق في الإمامة، فغلبَه محمد في دفع أبن الحنفيّة عن الإمامة؛ فقال السيّد:

ألا يا أيّها الجدِلُ[1] المعنّي لنا، ما نحن وَيحك والعَناء!
أتبصِر ما تقول وأنت كهلٌ تُراكَ عليك من ورعٍ رِداء
ألا إن الأئمةَ من قريشٍ ولاةُ الحقّ أربعـةٌ سَواء

(١) الجدل: الشديد الخصومة.

علىٌّ والثلاثةُ[1] من بَنيه هُمُ أسباطُه والأوصياء
فأنّى في وصيّته اليهم يكون الشك منّا والمِراء
بهم أوصاهمُ ودعا اليه جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاء
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ وسبطٌ غيَّبَتْه كَرْبَلاء
سقى جَدَثاً تضمّنه مُلِثٌّ هَتُوفُ الرّعد مُرتَجِزٌ رِواء[2]
تَظَلُّ مُظِلّةً منها عَزالٍ[3] عليه وتَغتدي أُخرى مِلاء
وسِبطٌ[4] لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يَقدُمها اللواء
من البيت المحجّبِ في سَراةٍ شُراةٍ لَفَّ بينهمُ الإخاء
عصائبُ ليس دونَ أغرَّ أجلى بمكة قائمٍ لهمُ انتهاء

— وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيّر — ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفَليُّ قال حدّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال :

رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد:

أَجِدَّ بآل فاطمةَ البُكورُ فدمع العين مُنهَمِرٌ غزيرُ

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع . قال : فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتني

---

(١) الثلاثة : يعني بهم محمد ابن الحنفية والحسن والحسين .

(٢) ألث المطر إلثاثاً : دام أياماً لا يقلع . وارتجز الرعد : تتابع صوتـــه . والرواء : الكثير المروي .

(٣) العزالى : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء . يقال : أرسلت السماء عزاليها أي كثر مطرها، يشبه اتساع المطر واندفاقه بما يخرج منها .

(٤) يعني بسبط الايمان الحسن بن علي، والسبط الذي غيبته كربلاء الحسين بن علي وقد قتل في كربلاء بالعراق، والسبط الذي لا يذوق الموت هو محمد ابن الحنفية .

وإياه طُوس[1] عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا، فقال لي: والله لقد كنتُ على خلافٍ فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه رجل يُنشد:

أَجَدّ بآل فاطمة البُكورُ

إلى آخرها؛ فاستيقظتُ من نومي وقد رَسَخ في قلبي من حبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنتُ أعتقِدُه.

أخبرني وكيع قال حدّثني إسحاق بن محمد قال حدّثنا أبو سليمان النّاجي ومحمد ابن حَليم الأعرج قالا:

كان السيّد اذا استُنشِد شيئاً من شعره لم يَبدأ بشيء إلا بقوله:

أَجَدّ بآل فاطمةَ البُكورُ فدمعُ العين مُنهمر غزيرُ

شاعريته:

قال إسحاق: وسمعتُ العُتبيَّ يقول: ليس في عصرنا هذا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيّد، ثم قال لبعض من حضر: أنشِدنا قصيدتَه اللّاميّة التي أنشدَتناها اليوم؛ فأنشده قولَه:

هل عند من أحببتَ تَنويلُ أم لا فإنّ اللّومَ تَضليلُ
أم في الحشى منك جوًى باطِنٌ ليس تُداويه الأباطيل
عُلِّقتَ يا مغرورُ خَدّاعةً بالوعد منها لك تَخييل
رَيّا رَداحٌ[2] النوم خَمصانة كأنها أدماء عُطبول[3]

(١) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر هارون الرشيد.

(٢) الرداح: الثقيلة العجيزة. والرداح: الجمل المثقل حملاً الذي لا انبعاث له.

(٣) الأدماء: الظبية. والعطبول: الطويلة العنق.

يَشفيك منها حين تخلو بها ضمٌّ الى النحر وتَقبيلُ
وَذوقُ ريقٍ طيّبٍ طعمُه كأنه بالمسك مَعلول
في نِسوةٍ مثل المَها خُرَّدٍ تَضيق عنهنّ الخلاخيل

يقول فيها :

أُقسم بالله وآلائِه والمرء عمّا قال مسؤولُ
إنّ عليّ بن أَبي طالب على التُّقى والبِرّ مجبول

فقال العتبيّ : أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجُم على القلب بلا حجاب .

في البيتين الأوَّلين من هذه القصيدة لمُخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر حَبَش أنه للغَريض . وفيه لحنٌ لسليان من كتب بَذْل غيرُ مجنَّس .

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال :

كنّا كثيراً ما نقول للسيّد : ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأَنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّه مَن سمعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقِداً تَضِلّ فيه الأَوهام .

أخبرني أحمد بن عَمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ راويةُ الشعراء بالكوفة قال حدّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّبّاح ومحمد بن سَلَمة، يزيد بعضُهم على بعض :

أن السيّد لمّا قدِم الكوفةَ أتاه محمد بن سهل راويةُ الكميت؛ فأقبل عليه السيّد فقال : من الذي يقول :

يَعيب عـليَّ أقوامٌ سَفاهاً … بأن أُرجي¹ أبا حسن عليّاً
وإرجـائي أبا حسن صوابٌ … عن العُمَرين² بَرّاً أو شَقيّاً
فإن قدّمتُ قوماً قال قومٌ … أسأتَ وكنتَ كذّاباً رَديّاً
اذا أيقنتُ أنّ الله ربّي … وأرسل أحمـداً حقّاً نَبيّاً
وأنّ الرُّسلَ قد بُعثوا بحقٍّ … وأنّ الله كان لهم وليّاً
فليس عليّ في الإرجاء بأسٌ … ولا لَبسٌ ولست أخاف شيّاً

فقال محمد بن سهل : هذا يقوله مُحارِب بن دِثار الذُّهليّ . فقال السيِّد : لا كان الله وليّاً للعاضِّ بَظْرَ أمّه ! من يُنشدنا قصيدة أبي الأسود :

أُحِبّ محمداً حبّاً شديداً … وعبّاساً وحمزةَ والوصيّاً

فأنشده القصيدةَ بعضُ من كان حاضراً ؛ فطفِق يَسُبّ محاربَ بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود . فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمريّ فقال : ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال :

يَوَدُّ محارِبٌ لو قـد رآها … وأبصرهم حَوالَيْهـا جُثِيّاً
وأنّ لسانَه من نابِ أفعى … وما أرجـا أبا حسن عليّاً
وأنّ عجوزَه مَصَعتْ³ بكلبٍ … وكان دماءُ ساقَيهـا جَرِيّاً
متى تُرجِئْ أبا حسن عليّاً … فقد أرجيتَ يا لُكَعُ نبيّاً

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال :

دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنهـا وعنده

---

(١) الإرجاء : التأخير .
(٢) العمران هما أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب .
(٣) مصعت المرأة بولدها : رمت به .

قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد، فن أنكره عليه لم يحدّثه؛ فسمعتُه يُنشدهم :

ما تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها من حوض أحمدَ شَربةٌ من ماء

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده : من يقول هـذا الشعر؟ قالوا : السيد الحميريّ .

حدّثني عمي والكُرانيّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن الحارث بن صَفوان، وأخبرني بـه الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه .

أن السيّد كان بالأهواز؛ فمرّت به امرأة من آل الزبير تُزَفّ الى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمِع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها؛ فقال :

أتتنا تُزَفّ على بغلة وفوق رحالتها قُبّه
زُبَيريّة من بنات الذي أحلّ الحرام من الكعبه
تُزَفّ الى ملك ماجد فلا اجتمعا وبها الوَجبه

روى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه : فدخلتْ في طريقها الى خَربَةٍ للخَلاء، فنهَشَتها أفعى فماتت؛ فكان السيد يقول : لَحِقَتها دعوتي .

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفريّ – وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر – قال أخبرني أبي قال :

خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيدُ وعليه ثيابُ خزّ وجُبّةٌ ومِطرَفٌ وعِمامة؛ فجعل يَجُرّ مِطرَفه ويقول :

إهبِطْ الى الأرض فخُذْ جَلمداً ثم ارْمِهم يا مُزْن بالجَلمَدِ

لا تَسقِهم من سَبَلٍ قطرةً فإنهم حَربُ بني أحمد

أخبرني محمد بن العباس اليَزيدي قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَوي قال حدّثنا الحِرمازِيّ قال حدّثني رجل قال :

كنت أختلف الى ابنَي قيس، وكانا يرويان عن الحسن؛ فلقيني السيّد يوماً وأنا منصرِف من عندهما، فقال : أرِني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتُها فمحوت ما فيها . فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها :

لَشَربةٌ من سَويقٍ عند مَسغَبةٍ وأكلةٌ من ثَريدٍ لحمُه واري
أشدُّ مما روى حُبّاً إليّ بنو قيس ومما رَوى صَلتُ[1] بن دِينار
مِمّا رواه فلانٌ عن فلانِهِمُ ذاكَ الذي كان يدعوهم الى النار

أخبرني أحمد بن عليّ الخفّاف قال حدّثني أبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَباطَبا قال : سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول :

رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بِيضٌ ؛ فنظرتُ اليه فلم أعرفه، إذ التفتَ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا سيّد، أنشِدْني قولَك :

لأُمّ عمرو في اللِّوى مَرْبَعُ

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلَّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحّانَةً رديء الإنشاد، فكان اذا أنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعتع[2] فيها ولم يَلحَن .

---

(١) هو الصلت بن دينار الأزدي البصري، كان ضعيف الحديث متهم الرواية، وكان ينال من الإمام علي كرم الله وجهه وينتقصه .

(٢) التعتعة في الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصر او عيّ .

وقال محمد بن داود بن الجرّاح في روايته عن إسحاق النَّخَعيّ حدّثني عبد الرحمن ابن محمد الكُوفيّ عن عليّ بن إسماعيل الهيثَميّ عن فُضَيل الرسان قال:

دخلت على جعفر بن محمدٍ أعزّيه عن عمه زيد، ثم قلت له: ألا أُنشِدُك شعرَ السيّد؟ فقال: أنشِد، فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها:

فالناس يوم البعْث راياتُهم   خمسٌ فمنها هالكٌ أربَعُ
قائدُها العجل وفرْعَونهم   وسامِريّ الأُمّةِ المُفظِع
ومارِقٌ من دينه مُخرَج   أسودُ عبدٌ لُكَعٌ أوكَع[١]
ورايةٌ قائدُها وجهُه   كأنه الشمس اذا تطلُع

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيّد! فقال: رحمه الله. فقلت: جُعِلتُ فِداك! إني رأيتُه يشرب الخمر. فقال: رحمه الله! فما ذنبٌ على الله أن يغفِره لآل عليّ! إن محبَّ عليّ لا تَزِلّ له قَدَمٌ إلا تَثبُتُ له أخرى.

حدّثني الأخفَش عن أبي العَينـاء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال:

إن زلّتْ له قَدَمٌ فقد ثَبتَتِ الأخرى.

تعصبه:

نسختُ من كتاب الشاهيني حدّثني محمد بن سهل الحِميَريّ عن أبيه قال:

انحدر السيّد الحميريّ في سفينة الى الأهواز، فماراه رجـلٌ في تفضيل عليّ

(١) الأوكع: اللئيم.

وباهلَه[١] على ذلك . فلما كان الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة، فدفعه السيّد فغرّقه؛ فصاح الملاحون : غرِق والله الرجلُ! فقال السيّد : دعوه فإنّه باهلَني .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني التَّوَّزِيّ قال :

جلس السيّدُ يوماً الى قوم، فجعل يُنشدهم وهم يَلغَطون؛ فقال :

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب بين الحميرِ وبين الشاء والبقرِ
لا يَسمعون الى قول أجيء بـه وكيف تَستمِع الأنعامُ للبشر
أقول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجر

أخبرني محمد بن جعفر النّحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدّثنا إسحاق بن محمد النّخعيّ عن محمد بن الرّبيع عن سُوَيد بن حَمدان بن الحُصَين قال :

كان السيّدُ يختلف الينا ويَغشانا، فقام من عندنا ذاتَ يومٍ ، فخلفه رجل وقال: لكم شرفٌ وقدرٌ عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتمِ السلف . فبلغ ذلك السيّدَ فكتب اليه :

وَصفتُ لك الحوضَ يابنَ الحُصين على صفةِ الحارث الأعورِ[٢]
فإن تُسقَ منه غداً شَربَةً تَفُزْ من نصيبك بالأوفر
فما ليَ ذنبٌ سوى أنني ذكرتُ الذي[٣] فرّ عن خيبر

(١) المباهلة : الملاعنة .

(٢) هو الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدّمي أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مات بالكوفة سنة ٦٥ هـ .

(٣) يعني عمر بن الخطاب .

ذكرتُ امرأً فرّ عن مِرحبٍ فِرارَ الحمار من القَسوَر[١]
فأنكر ذاك جليسٌ لكم زَنيمٌ أخو خُلقٍ أعور
لَحاني بحبِّ إمام الهدى وفاروقِ[٢] أمّتنا الأكبر
سأحلِق لحيتَه إنها شهودٌ على الزّور والمُنكر

قال : فهجر والله مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزِموا محبّة السيّد ومجالسته .

رد شهادته :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا مهديّ ابن سابق :

أن السيّد تقدّم الى سَوّار القاضي ليشهدَ عنده، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال : أعفِني من الشهادة عند سوّار، وبذَل له مالًا فلم يُعفِه . فلما تقدّم الى سوّار فشهد قال : ألستَ المعروفَ بالسيّد ! قال : بلى؛ قال : إستغفِر اللهَ من ذنب تجرّأتَ به على الشهادة عندي، ثمّ لا أرضى بك . فقام مُغضَباً من مجلسه وكتب الى سوّار رقعةً فيها يقول :

إن سوّار بن عبد الله من شرّ القضاة

فلما قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذٍ نازل بالجسر، فسبقه السيّد اليه فأنشده :

---

(١) القسور : الأسد .

(٢) الفاروق : الذي يفرق بين الأمور ويفصلها .

قل للإمام الذي يُنجي بطاعته ... يوم القيامة من بُحبُوحة[١] النارِ
لا تَستعينَنْ جزاكَ الله صالحةً ... يا خيرَ من دَبَّ في حكمٍ بسوّارِ
لا تَستعِنْ بخبيثِ الرأي ذي صَلَفٍ ... جَمّ العيوب عظيمِ الكِبْرِ جبّار
تُضحِي الخصومُ لديه من تجبّرِه ... لا يَرفعون اليه لحظ أبصار
تِيهاً وكِبراً ولولا ما رفعتَ له ... من ضَبْعه[٢] كان عينَ الجائعِ العاري

ودخل سوّارٌ؛ فلما رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبرُ إياس[٣] بن معاوية حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيّد ولسانه! ثم أمر السيّدَ بمصالحته.

مدح المنصور:

وقال إسحاق بن محمد النَّخَعيّ حدّثني عبد الله بن محمد الجعفَريّ قال حدّثني محمد بن عبد الله الحِميَريّ قال:

دخل السيّد على المهديّ لمّا بايع لابنَيه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

ما بالُ مجرى دمعِكَ الساجمِ ... أمِنْ قَذًى بات بها لازمِ
أمْ مِن هوًى أنتَ له ساهر ... صبابةً من قلبك الهائم
آليتُ لا أمدح ذا نائلٍ ... من مَعشر غيرَ بني هاشم
أولَتهمُ عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمَنّ أبي القاسم
فإنها بيضاءُ محمودةٌ ... جزاؤها الشكرُ على العالَم

---

(١) بحبوحة المكان: وسطه.

(٢) يقال: أخذت بضبعيه ومددت بضبعيه اذا نعشته ونوّهت باسمه.

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري.

جزاؤها حفظُ أبي جعفر خليفةِ الرحمن والقائمِ
وطاعةُ المهديّ ثم ابنِه موسى على ذي الإرْبَةِ الحازمِ
وللرشيد الرابع المرتضى مُفتَرَضٌ من حقه اللازمِ
ملكُهمُ خمسون معدودةً برَغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقُوا غيرَهم في هذه الأمة من حاكم
حتى يَردّوها الى هابط عليه عيسى منهمُ ناجم

حبه لعلي :

وقال عليّ بن المُغيرة حدّثني عليّ بن عبد الله السَدُوسيّ عن المدائنيّ قال :

كان السيّد يأتي الأعمش[1] فيكتب عنه فضائلَ عليّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً . فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حَمله على فرس وخلَع عليه؛ فوقف بالكُناسة[2] ثم قال : يا معشر الكوفيّين، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أُقل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عَليّ . فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب ؛ فلبِس ثيابَه وأراد لُبسَ الخفّ فلبِس أحدَ خُفّيه، ثم أهوى الى الآخر ليأخذه فانقضّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْود[3] وانساب فدخل جُحراً ؛ فلبِس عليٌّ رضي الله عنه الخفّ . قال : ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكّر هنيهةً ثم قال :

ألا يا قومِ للعَجبِ العُجابِ لخُفّ أبي الحسين وللحُبابِ[4]

(١) هو سليمان بن مهران مولى بني كاهل الكوفي الإمام، كان ثقة عالماً فاضلاً .

(٢) الكناسة : محلة بالكوفة .

(٣) الأسود : العظيم من الحيات .

(٤) الحباب : الحية .

أتى خُفًّا له وانساب فيه لِيَنهَش رِجلَه منه بناب
فخرّ من السماء له عُقابٌ من العِقبان أو شِبهُ العُقاب
فطار به فحلّق ثم أهوى به للأرض من دون السّحاب
الى جُحْرٍ له فانساب فيه بعيدِ القَعرِ لم يُرتَجْ بباب
كريهُ الوجه أسودُ ذو بَصِيصٍ حديدُ النّاب أزرقُ ذو لُعاب
ودُوفِع عن أبي حسن عليٍّ نَقيعُ سِمامه بعد انسياب

ثم حرّك فرَسه ومضى وجعل تَشبيبها بعد ذلك :

صبوتُ الى سُلَيمى والرَّبابِ وما لأخي المَشيبِ وللتّصابي

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني عبد الله بن أحمد بن مُستورد قال :

وقف السيّد يوماً بالكوفة، فقال : من أتاني بفضيلة لعليّ بن أبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ، وذكر باقي الحديث. فأما العُقاب الذي(١) انقضّ على خفِ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدّثني جعفر بن عليّ بن نجيح قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أبي داود الطَّهويّ عن أبي الزّعْل المُراديّ قال :

قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلما عاد ليَلبسه انقضّتْ عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد رُوي مثل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدّثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد بن

---

(١) العقاب : يذكر ويؤنث.

عُقبة قال حدّثنا محمد بن الصَّلت قال حدّثنا حيّان بن علي عن أبي سعيد عن عِكرمة عن ابن عباس قال :

كان النبيّ صلى الله عليه وسلم اذا أراد حاجةً تَباعَد حتى لا يَراه أحدٌ ، فنزَع خُفّه فإذا عُقاب قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمّ إني أعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أربع ومن شرّ الجن والإنس » .

قال أبو سعيد وحدّثنا محمد بن إسماعيل الرّاشديّ قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا حَيّان بن علي عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عباس مثلَه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا حاتم ابن قَبيصة قال :

سمِع السيّد محدِّثاً يحدّث أن النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم كان ساجداً، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره؛ فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعْمَ المطيُّ مطيُّكما! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ونِعمَ الراكبانِ هما » . فانصرف السيّد من فَوره فقال في ذلك :

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ ... وقد جلسا حَجْرةً[1] يلعبانِ
ففدّاهما ثم حيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكانِ
فَراحا وتحتهما عاتِقاه ... فنعم المَطيّةُ والراكبان
وليدان أمّهما بَرّةٌ ... حَصانٌ مُطَهّرةٌ للحَصان
وشيخُهما ابنُ أبي طالب ... فنِعْمَ الوَليدانِ والوالدان
خليليّ لا تُرجيا واعلما ... بأن الهدى غيرُ ما تزعُمان

---

(١) الحجرة : الناحية .

وأنَّ عَمى الشكِّ بعد اليقين وضَعْفَ البصيرة بعد العِيانِ
ضلالٌ فلا تَلجَجا فيهما فبئستْ لعَمرُكما الخصلتان
أُيُرجى عليٌّ إمامُ الهدى وعثمانُ ما أعنَد المُرْجيان
ويُرجى ابنُ حربٍ[1] وأشياعُه وهُوجُ الخوارج بالنَّهْروان
يكون إمامَهمُ في المَعاد خبيثُ الهوى مؤمن الشَّيصَبان[2]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ قال حدثني محمد عن أبيه قال حدثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدثنا الحارث بن عبد المطَّلب قال:

كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجلة بالبصرة وسَوَّار بن عبد الله العَنبريّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيِّد ابن محمد بين يديه يُنشد قولَه:

إن الإله الذي لا شيء يُشبهه أعطاكمُ المُلكَ للدُّنيا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلكاً لا زوالَ له حتى يُقادَ اليكم صاحبُ الصِّينِ
وصاحبُ الهند مأخوذاً برُمَّته وصاحبُ التُّرك محبوساً على هُون

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشده؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوَّار يتربَّد غيظاً ويَسوَدّ حنَقاً ويدلُك إحدى يديه بالأخرى ويتحرّق؛ فقال له المنصور: ما لك! أرابَك شيء؟ قال: نعم، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، واللهِ يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيرُكم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرُنا ووليُّنا، وما عرفتُ منه إلا صدقَ محبَّة وإخلاصَ نيّة. فقال له السيِّد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحمّلتُ بُغضَكم لأحد، وما

(١) يعني به معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

(٢) الشيصبان: من أسماء الشيطان.

وجدتُ أبويَّ عليه فافتتنتُ بهما؛ وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوّكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجُرات[1]، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن (أكثرُهُمْ لا يَعقِلون). وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيّدُ قصيدتَه التي أوّلها:

قِفْ بنا يا صَاحِ وارْبَعْ بالمَغاني الموحِشاتِ

أنشدها أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن النَّوفليّ. وأخبرنا محمد بخبره مع سوّار بالقصّة من هاهنا الى آخرها؛ وقال فيها:

يا امينَ اللهِ يا منصورُ يا خيرَ الوُلاةِ
إنَّ سوّار بن عبد الله من شرِّ القُضاة
نَعثَليٌّ[2] جَمَليٌّ[3] لكمُ غيرُ مُوات
جَدُّه سارقُ عَنزٍ[4] فَجرَةً من فَجَرات
لرسولِ الله والقا ذِفه بالمُنكرات
وابنُ من كان ينادي من وراء الحُجُرات
يا هَناةُ[5] أخرُج الينا إننا اهلُ هَنات
مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ مِ يُصَبْ بالزَّفَرات
فاكفِنيهِ لا كفاه الله شرَّ الطارقاتِ

(١) يعني وفد بني تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة النبي.

(٢) نعثل رجل لحياني (طويل اللحية) من أهل مصر كان يشبه به عثمان رضي الله عنه اذا نيل منه.

(٣) نسبة الى وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة والتي خرجت فيها عائشة راكبة جملاً فسميت الوقعة به.

(٤) يعني جدّه «عنزة بن نقب» وكان يقال له «سارق العنز».

(٥) يا هناة: يا فلان.

فشكاه سَوَّار الى أبي جعفر، فأمرَه بأن يصير اليه معتذراً؛ ففعل فلم يَعذِره؛ فقال:

أتيتُ دعِيَّ بني العَنبرِ ... أروم اعتذاراً فلم أُعذَرِ
فقلتُ لنفسي وعاتبتُها ... على اللوْم في فعلها أقصِري
أيعتذر الحرُّ مما أتى ... الى رجل من بَني العَنبر
أبوك ابنُ سارق عَنْزِ النبي ... وأُمُّك بنت أبي جَحدَر
ونحن على رَغمِك الرَّافضو ... ن لأهل الضَّلالة والُمنكَر

قال: وبلغ السيِّدَ أن سَوَّاراً قد أعدَّ جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقطعه؛ فشكاه الى أبي جعفر؛ فدعا بسوَّارٍ وقال له: قد عزلتُك عن الحكم للسيِّد أو عليه. فما تعرّض له بسوء حتى مات.

ورَوى عبد الله بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخَلال العَتَكيّ دخل على عُقبة بن سَلْم والسيِّدُ عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخَلال شيخَ العَشيرة وكبيرَها، فقال له: أيها الأمير، أُتعطِي هذه العطايا رجلاً ما يَفتُرُ عن سَبِّ أبي بكر وعمر! فقال له عُقبة: ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلّا على العِشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قومٍ يَلزَمُنا حقُّهم ورعايتُهم. فقال له أبو الخَلال: فمُرْه إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمرَ حتى نعرف براءتَه مما يُنسب اليه من الرَّفض[1]. فقال: قد سمِعك، فإن شاء فعل. فقال السيِّد:

إذا أنا لم أحفَظ وَصاةَ محمدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغديرِ[2] المؤكدا

---

(١) الرافضة: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم رفضوه وارفضوا عنه. والنسبة رافضيّ، والمصدر الرفض.

(٢) يريد غدير خم (بالضم) وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال منها. وفيه أخذ النبي بيد علي وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فإنّي كمن يَشري الضَّلالةَ بالهدى تنصَّر من بعد التُّقى وتَهوَّدا
وما لي وتَيمَ أو عَدِيٍّ وإنما أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا
تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ وليستْ صلاتي بعد أن أتشهَّدا
بكاملةٍ إن لم أُصلِّ عليهمُ وأَدْعُ لهم ربّاً كريماً ممجَّدا
بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي مدى الدهر ما سُمّيتُ ياصاحِ سيّدا
وإنّ امرأً يَلحى على صدق وُدّهم أحقُّ وأولى فيهمُ أن يُفنَّدا
فإن شئتَ فاخترْ عاجلَ الغمّ ضِلَّةً[١] وإلّا فأمسِك كي تُصانَ وتُحمدا

ثم نهض مُغضَباً. فقام أبو الخَلّال الى عُقبة فقال: أعِذْني من شرّه أعاذك الله من السوء أيها الأمير؛ قال: قد فعلتُ على ألّا تعرضَ له بعدها.

زواجه من خارجية:

ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضيّة، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنكاح أمّ خارجةَ[٢] قبل حضور وَليٍّ وشهودٍ. فاستضحكتْ وقالت: ننظر في هذا؛ وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إن تَسأليني بقومي تسألي رجلاً في ذِرْوة العزّ من أحياء ذي يمنِ
حَولي بها ذو كَلاعٍ[٣] في منازلها وذو رُعَينٍ[٤] وهَمْدانٌ[٥] وذو يَزَنِ[٦]

---

(١) الضلة: الضلال.

(٢) نكاح أم خارجة يضرب به المثل في السرعة، فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة».

(٣) ذو الكلاع: رجلان من أذواء اليمن.

(٤) ذو رعين: هو أحد ملوك اليمن الاول.

(٥) هو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. ومن ولده قبيلة باليمن تنسب اليه.

(٦) ذو يزن: ملك من ملوك حمير.

والأَزْدُ أزْدُ عُمانَ الأكرَمون اذا عُدَّت مآثِرُهم في سالف الزمنِ
بانت كِرِيمَتُهم عنّي فـدارُهُمُ داري وفي الرَّحْب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلَحْجٍ[1] منزلٌ وَسطٌ[2] منها ولي منزلٌ للعـزّ في عدن
ثمّ الوَلاء الذي أرجو النجاة به من كَبَّة النار للهادي أبي حسن

فقالت : قد عرفناك، ولا شيءَ أعجبُ من هذا : يمانٍ وتميميّةٌ، ورافِضيّ وإباضيّة، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيــك فيّ تسخو نفسُك، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً . قالت : أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معــه المستور، وظهرت خفيّاتُ الأمور ! قال : فأنا أعرِضُ عليكِ أخرى . قالت : ما هي ؟ قال : المُتعة[3] التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أختُ الزِّنا . قال : أعيــذك بالله أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : فكيف ؟ قال : قال الله تعالى : (فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِـهِ مِنهُنَّ فآتُوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً ولا جُناحَ عليكُمْ فيما تَراضَيتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ) . فقالت : أستخِيرُ اللهَ وأُقلِّدك ان كنتَ صاحبَ قِيـاس . ففعلت . فانصرفتْ معه وباتَ مُعرِساً بها . وبلغ أهلَها من الخوارج أمرُها، فتوعّدوهـا بالقتل وقالوا : تزوّجتِ بكافر ! فجحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمتعة . فكانت مدّة تختلف اليه على هذا السبيل من المُتعة وتُواصِله حتى افترقا .

وقال الحسن بن علي بن المُغيرة حدّثني أبي قال :

كنتُ مع السيّد على باب عُقبة بن سَلْم ومعنا ابنٌ لسليمان[4] بن عليّ ننتظره

(١) لحج : مخلاف باليمن ينسب الى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن .

(٢) الوسط : اسم لما بين طرفي الشيء، وقد يأتي صفة، على معنى أفضل الشيء وخياره وأعدله .

(٣) المتعة : أن تتزوج امرأة تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها .

(٤) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس عم أبي جعفر المنصور .

وقد أُسرِج له ليَرْكَبَ، إذ قال ابنُ سليمان بن علي يعرِّض بالسيِّد: أشعرُ الناسِ واللهِ الذي يقول:

محمدٌ خيرُ من يمشي على قَدمٍ وصاحِباه وعثمانُ بن عفّانا

فوثب السيِّد وقال: أشعرُ واللهِ منه الذي يقول:

سائِلْ قريشاً اذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ مَن كان أثبتَها في الدِّين أوتادا
من كان أعلمَها عِلماً وأحلَمها حلماً وأصدقَها قَولاً وميعادا
إن يَصدُقوك فلن يَعدُوا أبا حسنٍ إن أنتَ لم تلقَ للأبرار حُسّادا

ثم أقبل على الهاشميّ فقال: يا فتى، نعمَ الخَلَفُ أنت لشرف سَلَفِك! أراك تهدِم شرفَك، وتثلِب سَلَفك، وتَسعى بالعداوة على أهلك، وتُفضِل من ليس أصلُك من أصله على مَن فضلُك من فضله؛ وسأُخبر أميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك. فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقبةَ بن سَلم. وكتب اليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكوبة حتى خرجت الجائزةُ للسيِّد.

أخبرني محمد بن جعفر النَّحويّ قال حدّثنا ابن القاسم البَزّيّ عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَليّ قال:

كنّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيِّدَ، فجاء فجلس، وخُضنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهَض. فقلنا: يا أبا هاشم، مِمَّ القيامُ؟ فقال:

إني لأكره أن أُطيل بمجلس لا ذكرَ فيه لفضل آل محمدِ
لا ذكرَ فيه لأحمد ووصيّه وبَنيه ذلك مجلس نَطِفٌ[1] رَدِي
إن الذي ينساهُمُ في مجلس حتى يفارقه لغيرُ مسدَّدِ

---

(١) النطف: السيئ الفاسد، والمتهم بريبة.

حبسه في السكر :

وروى أبو سليمان النّاجي : أن السيّد قدِم الأهواز وأبو بُجير بن سِماك الأسديّ يتولّاها، وكان له صديقاً . وكان لأبي بجير مولًى يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيد يُنشده أبا بجير، وكان أبو بجير يتشيّع . فذهب السيّد الى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرِب عندهم؛ فلما أمسى انصرف، فأخذه العَسَس فحُبِس . فكتب مِنْ غده بهذه الأبيات وبَعث بها الى يزيد بن مَذعور . فدخل على أبي بُجير وقال : قد جَنى عليك صاحبُ عَسَسك ما لا قِوام لك به . قال : وما ذلك ؟ قال : اسمع هذه الأبيات، كتبها السيّدُ من الحبس ؛ فأنشده يقول :

قِفْ بالدِّيار وحيِّها يا مَربَعُ ... وٱسأل وكيف يُجيب من لا يَسمعُ
إنّ الدِّيارَ خَلَتْ وليس بجوِّها ... إلّا الضَّوابحُ[١] والحَمامُ الوُقّعُ
ولقد تكون بها أوانسُ كالدُّمى ... جُمْلٌ وعَزّةُ والرَّبابُ وبَوْزَعُ
حورٌ نواعمُ لا تُرى في مثلها ... أمثالُهن من الصيانة أربَعُ
فَعَرِينَ بعد تألُّفٍ وتَجمُّعٍ ... والدَّهرُ — صاحِ — مُشتِّتٌ ما يَجمعُ
فٱسلَم فإنّك قد نزلتَ بمنزلٍ ... عند الأمير تَضُرُّ فيه وتَنفَعُ
تُؤْتَى هواك اذا نطقتَ بحاجةٍ ... فيه وتَشفَعُ عنده فيُشفَّعُ
قلْ للأمير إذا ظَفِرتَ بخَلوة ... منه ولم يكُ عنده من يَسمعُ
هَبْ لي الذي أحببته في أحمد ... وبَنيه إنك حاصدٌ ما تَزرَعُ
يَختصّ آلَ محمد بمحبّة ... في الصدر قد طُوِيَتْ عليها الأضلُعُ

في هذا الغناء لسعيد .

---

(١) الضوابح : يعني بها الثعالب وغيرها، يقال : ضبح الثعلب والأرنب والأسود من الحيات والبوم والصدى اذا صوّت . ويقال : طائر واقع اذا كان على شجر أو موكناً، ووقع الطائر اذا نزل عن طيرانه .

وَحكى ابن الساحر: انّ السيّد دُعي لشهادة عند سَوّار القاضي؛ فقال لصاحب الدّعوى: أعفِني من الشهادة عند سوّار؛ فلم يُعفِه صاحبُها منها وطالبَه بإقامتها عند سَوّار. فلما حضر عنده وشهد قال له: ألَمْ أعرفك وتعرفني! وكيف مع معرفتك بي تُقدِم على الشهادة عندي! فقال له: إني تخوّفتُ إكرَاهه، ولقد أفتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منّي فأقمتُها؛ فلا يَقبَل الله لك صَرفاً ولا عَدْلا إن قبِلتَها، وقام من عنده؛ ولم يقدِر سوّار له على شيء لِما تقدّم به المنصور اليه في أمره، وأغتاظ غيظاً شديداً وأنصرف من مجلسه فلم يَقض يومئذٍ بين أثنين. ثم إن سوّاراً أعتلّ علّته التي مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه في حياته لنَهي المنصور إيّاه عن ذلك. ومات سوّار فأُخرج عَشِياً وحُفِر له، فوقع الحفر في موضع كَنيف. وكان بين الأزْد وبين تَميم عداوة، فمات عَقِب موته عبّادُ بن حبيب بن المهلّب؛ فهجا السيّدُ سوّاراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها الى نوائح الأزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحن بها، وأوّلُها:

يا مَن غدا حاملاً جُثمانَ سوّارِ … من داره ظاعناً منها الى النارِ
لا قدّس اللهُ رُوحاً كان هيكلَها … فقد مضتْ بعظيم الخزي والعار
حتى هوَتْ قَعرَ بُرهوتٍ[1] معذّبةٍ … وجسمُه في كنيف بين أقذار
لقد رأيتُ من الرحمن مُعجِبةً … فيه وأحكامُه تجري بمقدار
فأذهَبْ عليك من الرحمن بَهلَتُه[2] … يا شرّ حيٍّ براه الخالقُ الباري

مع زنجي:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد البقّال قال

(١) برهوت: بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها. ويشير بقوله: «حتى هوت قعر برهوت» الى ما ورد في هذه البئر من أنها مأوى أرواح الكفار والمنافقين.

(٢) البهلة: اللعنة.

حدّثنا شَيبان بن محمد الحرّاني – وكان يُلقَّب بَعُوضَةَ وصار من سادات الأزد– قال :

كان السيِّد جاري، وكان أدلَمَ[١]، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتًى مثله أدلَمُ غليظُ الأنف والشَّفتين مُزَنَّج الخلْقة. وكان السيِّد من أنتن الناس إبطين. وكانا يتمازحانِ، فيقول له السيِّد: أنت زِنجيّ الأنف والشفتين، ويقول الفتى للسيد: أنت زِنجيّ اللون والإبطين. فقال السيِّد:

أعارَكَ يومَ بِعناه رَباحٌ[٢] مشافرَه وأنفَكَ ذا القبيحَا
وكانت حِصَّتي إبطَيّ منه ولوناً حالكاً أمسى فَضُوحا
فهل لك في مُبادَلتِيكَ إبطِي بأنفك تَحمدُ البيْعَ الرَّبيحا
فإنَّك أقبحُ الفتيان أنفاً وإبطِي أنتَنُ الآباط رِيحا

أخبرني أحمد قال حدَّثني شَيبان قال:

مات منّا رجلٌ موسِرٌ وخلّف أبناً له فورِث مالَه وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفَساد واللهو، وقد تزوّج امرأةً تسمّى ليلى، واجتمع على السيِّد وكان من أظرف الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالاً كثيراً؛ وكانت ليلى تعذُله على إسرافه وتقول له: كأني بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً. فهجاها السيد. وكان مما قال فيها:

أقول يا ليتَ ليلى في يَدَيْ حَنِقٍ من العداوة منْ أعدى أعاديها
يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يَحدِرها في هُوَّةٍ فَتَدَهدى يومَها فيها
أو ليتَها في غِمارِ البحر قد عصفت فيه الرِّياح فهاجت من أواذيها[٣]

(١) الأدلم: الشديد السواد.

(٢) رباح: من أسماء العبيد.

(٣) الأواذي: الأمواج واحدها آذي بالتشديد وخفف لضرورة الشعر.

أو ليتها قُرِنَت يوماً الى فرسٍ قد شُدَّ منها الى هاديه[1] هاديها
حتى يُرى لحمُها من حُضرِه زِيَماً[2] وقد أتى القومَ بعد الموت ناعيها
فمَن بكاها فلا جفّتْ مدامعُه لا أسخن اللهُ إلّا عينَ باكيها

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخعيّ وعبد الحميد بن عُقبة قالا حدّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُناسة قال :

أهدى بعضُ ولاة الكوفة الى السيد رداء عَدَنياً؛ فكتب اليه السيد فقال :

وقد أتانا رداءٌ من هديّتكم فلا عَدِمتُك طولَ الدهر مِن والِ
هو الجمالُ جزاك الله صالحةً لو أنّه كان موصولاً بسِربالِ

فبعث اليه بخِلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال : يُقطع عتابُ أبي هاشم واستزادتُه إيانا .

حدّثني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ عن بعض البَصريّين عن سليان بن أرقم قال :

كنتُ مع السيد، فمرّ بقاصّ على باب أبي سفيان بن العَلاء وهو يقول : يُوزَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في كِفّة بأُمته أجمع فيَرجحُ بهم، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيَرجح، ثم يُؤتى بفلان فيُوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لعَمري إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَرجح على أمته في الفضل، والحديث حقٌّ ؛ وإنما رجح الآخران الناسَ في سيئاتهم ؛ لأنّ من سَنّ سُنّة سيئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووِزْر من عَمِل بها . قال : فما أجابه أحد . فمضى فلم يَبق أحدٌ من القوم إلّا سَبّه .

---

(١) الهادي : العنق .
(٢) زيماً : قطعاً متفرقة .

وقال أبو جعفر الأعرج حدّثني إسماعيل بن السّاحر قال :

خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى . فلما كنّا بزَهْران لَقِيَتنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجاءة، وكانت امرأةً برْزَةً حسناءَ فصيحةً، فواقفها السيد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش، فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . فقال السيّد : ... ...

من ناكِثين وقاسطين الأرْوَعُ
حول الأمين وقال هاتِ لِيَسمعوا
قم يابنَ مَذعورٍ فأنشِد نكَسوا   خُضُعَ الرِّقاب بأعين لا تُرفَع
لولا حِذارُ أبي بجير أظهروا   شنآنهم وتفرّقوا وتصدّعوا
لا تجزَعوا فلقد صبَرنا فاصبروا   سبعين عاماً والأنوفُ تُجدَع
إذ لا يزال يقوم كلَّ عَرُوبةٍ[1]   منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقع
مُسحَنفِرٌ[2] في غيّه مُتتابعٌ[3]   في الشَّتم مثلَه بخيل يسجع
ليَسُرَّ مخلوقاً ويُسخِط خالقاً   إن الشقيَّ بكلّ شرٍّ مُولَع

فلما سمِعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسِه فشتَمه وقال : جنيتَ عليّ ما لا يَدلى به؛ إذهب صاغراً الى الحبس وقل : أيّكم أبو هاشم؛ فإذا أجابك فأخرِجه واحمِله على دابّتك وامشِ معه صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيّدُ ولم يُجبه الى الخروج إلا بعد أن يُطلِق له كلَّ من أُخذ معه . فرجع الى أبي بُجَير فأخبره، فقال : الحمدُ لله الذي لم يَقُل أخرِجْهم وأعطِ كلَّ واحدٍ منهم مالاً ، فما كنّا نقدِر على خلافه؛ إفعل ما أحبَّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلّ من كان معه ممن أُخذ في تلك الليله، وأتى به الى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال:

(١) عروبة : يوم الجمعة .

(٢) المسحنفر : الماضي السريع .

(٣) التتابع : التهافت .

قدمتَ علينا فلم تأتِنا وأتيتَ بعض أصحابك الفُسّاق وشربتَ ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى؛ فأعتذر من ذلك اليه؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمله وأقام عنده مدّة .

قال النوفليّ وحدّثني أبي : أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ؛ فغضِب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشِدْني وَيلك لأبي هاشم . فأنشده قوله :

يا صاحبيّ لدِمْنتَين عفاهما　　مَرُّ الـريّاح عليهما فمحاهما

حتى فرغ . ثم قال : هاتِ النُّونيَّة؛ فأنشده :

يا صاحبيّ تَروَّحا وذَراني　　ليس الخليُّ كمُسْعَر الأحزانِ

فلما فرغ قال : أنشدني الدمّاغةَ الرائيَّةَ، فأنشده إيّاها . فلما فرغ أقبل عليه الثَّغْريّون فقالوا له : ما أعتبتَنا فيما عاتبناك عليه . فقال : يا حَمِير ! هل في الجواب أكثر مما سمِعتم ! والله لولا أنّي لا أعلم كيف يقَع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقَكم ! قوموا الى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّدَ الخبرُ فقال :

إذا قـال الأمير أبو بجـيرٍ　　أخو أسدٍ لمنشده يَزيـدا
طَرِبتُ الى الكرام فهاتِ فيهم　　مديحاً من مديحـك أو نشيدا
رأيتَ لمن بحضرتـه وُجوهاً　　من الشُّكّاك والمُرْجـين سُودا
كأنّ يزيد يُنشِد بأمتـداح　　أبا حسنٍ نَصارى أو يهـودا

وروى أبو داود المسترِق : أنّ السيّد والعبديّ أجتمعا؛ فأنشد السيّد :

إنّي أدين بما دان الوَصيّ به　　يوم الخُرَيبة[1] من قتل المُحلّينا
وبالذي دان يومَ النهروان به　　وشاركت كفّه كفّي بصِفّينا

(١) الخريبة : موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل .

فقال له العَبْديّ : أخطأت، لو شاركتَ كفُّك كفَّه كنتَ مثله ؛ ولكن قل : تابعت كفِّي كفَّه لتكون تابعاً لا شريكاً . فكان السيّد بعد ذلك يقول : أنا أشعر الناس إلّا العبديّ .

وقال إسحاق النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل ابن السَّاحر قال :

كنتُ مع السيّد وقد أكترينا سفينة الى الأهواز ؛ فجلس فيها معنا قوم شُراةٌ، فجعلوا يَنالون من عثمان . فأخرج السيّد رأسه اليهم وقال :

شَفَيتَ من نَعثلٍ في نَحت أثلته[1] ... فاعمِد هُديتَ الى نَحتِ الغَويَّينِ
إعمِد هُديتَ الى نَحت اللَّذَيْن هما ... كانا عن الشرّ لو شاءا غنيَّيْنِ

قال إسماعيل : فلما قَدِمنا الأهوازَ قدِم السيّد وقد سكِر، فأُتي به أبا بجير بن سماك الأسديّ ؛ وكان أبنُ النجاشيّ عند ابن سماك بعد العِشاء الآخِرة، وكان يعرفه بأسمه ولم يعرِفه . فقال له : يا شيخ السّوء، تخرج سكرانَ في هذا الوقت ! لأُحسِنَنّ أدبَكَ . فقال له : والله لا فعلتَ، ولتُكرِمنِّي ولتَخلَعنّ عليّ وتَحمِلَنّي وتُجيزَنّي . قال : أوَ تَهزأ أيضاً ! قال : لا والله ! ثم أندفع يُنشده فقال :

من كان معتذراً من شَتْمه عمراً ... فأبنُ النَّجاشيّ منه غيرُ مُعتذِرِ
وأبنُ النجاشي بَراءٌ—غيرَ محتشم— ... في دينه من أبي بكر ومن عمر

ثم أنشده قوله :

إحداهما نَمَّتْ عليه حديثَه ... وبَغَتْ عليه نفسه إحداهما
فهما اللّتان سمِعتُ ربَّ محمد ... في الذكر قصَّ على العباد نَباهما

فقال : أبو هاشم ؟ فقال نعم . قال : أرتفِع . فحمله وأجازه، وقال : والله لأُصدِّقن قولك في جميع ما حلَفتَ عليه .

---

(١) يقال : فلان ينحت أثلة فلان اذا ذمه وتنقصه .

قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيّدَ متغيّر اللّون، فسأله عن حالــه؛ فقال: فقَدْتُ الشرابَ الذي ألِفتُه لكراهة الأمير إيَّاه؛ قال: فاشْرَبْه، فإنّنا نحتمله لك. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتُب له بمائتي دَوْرَق مِيبَختج[1]. فقال له السيّد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج اليه وتَدعَ ما يُستغنى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائتي دَوْرَق «مِي» ولا تكتب «بَختج»، فإنك تَستغني عنه. فضحك، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك. قال: والمِي: النبيذ.

قال إسماعيل: وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز أن أبا بجير قد أشرف على الموت، فأظهرت المُرْجئةُ الشّماتةَ به. فخرج السيّد متحرّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج اليها، وأنشأ يقول:

تَباشَر أهلُ تَدْمُرَ[2] إذ أتاهم ... بأمرِ أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ اليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبير
سوى حبِّ النبيِّ وأقرَبيه ... ومولاهم بحبِّهمُ جدير
وقالوا لي لكَيا يُحزِنوني ... ولكن قولهم إفْكٌ وزور
لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزله يُزار ولا يَزور
وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ ... كأنّ الأرض تحتهمُ تَمور
فبِتُّ كأنّني مما رَمَوْني ... به في قِدٍّ[3] ذي حَلَقٍ أسير
كأنّ مدامعي وجفونَ عيني ... تُوَخَّز بالقَتاد[4] فهنّ عُور

---

(١) ميبختج: كلمة فارسية مركبة من لفظين: «مي» ومعناها النبيذ، كما سيذكره المؤلف، و «بختج» أي مطبوخ.

(٢) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام.

(٣) القد: سير يقد من جلد. ويقال لكل محبوس في قد: أسير.

(٤) القتاد: الشوك.

أقول عَليَّ للرحمٰن نَذْرٌ صحيحٌ حيثُ تُحتَبس النّذورُ
بمكة، إن لقيتُ أبا بُجَيرٍ صحيحاً واللّواء له يسير

وهي قصيدة طويلة .

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيّد :

أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في النوم، فاستنشده فأنشده قولَه :

لأمّ عمرو باللوى مَرْبَعُ طامِسةٌ أعلامُه بَلقعُ

حتى انتهى الى قوله :

قالوا له لو شئتَ أعلَمْتنا الى مَنِ الغايَةُ والمَفزعُ

فقال : حسبُك ! ثم نفَض يدَه وقال : قد والله أعلمتُهم .

مرضه ووفاته :

وروى أبو داود وإسماعيل بن الساحر : أنهما حضَرا السيّدَ عند وفاته بواسط وقد أصابه شَرًى(١) وكربٌ ؛ فجلس ثم قال : اللهمّ أهكذا جَزائي في حبّ آل محمد ! قال : فكأنها كانت ناراً فطفِئتْ عنه .

وأخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ بإسنادٍ له لم يحضُرني وأنا أُخرّجه إن شاء الله تعالى قال :

حدّثني من حضر السيّد وقد احتُضِر فقال :

بَرئتُ الى الإلٰه من ابن أروى(٢) ومن دِين الخوارج أجمعينا

---

(١) الشرى : داء يأخذ في الجلد أحمر كهيئة الدراهم .

(٢) يعني بابن أروى عثمان بن عفان وأروى : أمه . وهي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

ومن فُعَلٍ بَرِئتُ[١] ومن فُعَيل غداةَ دُعِي أميرَ المؤمنينا

ثم كأنّ نفسه كانت حصاةً فسقطتْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن أبي الهُذَيل العَلّاف عن أبي جعفر المنصور قال :

بلغني أن السيّد مات بواسط فلم يَدفِنوه . والله لئن تحقّق عندي لأُحرِقنّها !

ووجدتُ في بعض الكتب : حدّثني محمد بن يحيى اللؤلئيّ قال حدّثني محمد بن عباد بن صُهَيب عن أبيه قال :

كنتُ عند جعفر بن محمد، فأتاه نعيُ السيّد، فدعا له وترحّم عليه . فقال رجلٌ : يأبن رسول الله، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرَّجعة ! فقال : حدّثني أبي عن جدّي أن مُحِبّي آلِ محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب، ورفع مُصَلّى كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيّد يعرِّفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له .

وذكر محمد بن إدريس العُتْبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِميَريّ حدّثه أن السيّد عاش الى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنّه مدحه بقصيدتين فأمر له بِبَدرتين ففرّقهما . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا .

أخبرني ابن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد بن بَشير بن عَمّار الصَّيرفيّ عن جدّه بشير بن عمّار قال :

حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة ببغداد، فوجّه رسولًا الى صفّ الجَزّارين الكوفيّين يُعلِمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسولُ فذهب الى صفّ السموسين ،

(١) يعني بفعل وفعيل أبا بكر وعمر .

فشتموه ولعنوه؛ فعلم أنه قد غَلِط، فعاد الى الكوفيِّين يُعلمهم بحاله ووفاته؛ فوافاه سبعون كفناً. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسَّر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسودُ كالقار وما يتكلّم، الى ان أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر الى ناحية القِبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليّك! قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى. قال: فتجلّى والله في جبينه عِرقٌ بياض، فما زال يتَّسع ويَلبَس وجهَه حتى صار كلّه كالبدر، وتوفّي فأخذنا في جِهازه ودفنّاه في الجُنَينة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.

من المائة المختارة

صوت

فلا زِلنَ حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها ... الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ
ولا ذَنبَ لي إذقلتُ إذ نحن جِيرةٌ ... أَثيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائقِ

عروضه من الطويل.

قوله: «فلا زلن حسرى»: دعاء على الإبل التي ظَعَنتْ بها وأبعدتْها عنه. وحسرى: قد حَسِرن أي بَلَغ منهن الجهدُ فلم يُبقِ فيهنّ بقيّةً؛ يقال: حسر ناقتَه فهو يَحسِرُها، وهي حَسرى، والذكر حسير؛ قال الله عز وجل: (يَنقَلِبُ إليكَ البَصَرُ خاسِئاً وهُوَ حَسِيرٌ). وفي الحديث «فإن أتعبتَها حسرتَها». والظَّلْعُ في كل شيء: أن تألم رجله فلا يقدِر أن يمشي عليها فيَغمِز في مَشيه كالأعرج اذا مشى، ويقال: ظلَع فهو ظالِعٌ. والنائي: البعيد، والنِّية: الناحية التي تنوي اليها، والنَّوى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بَغتةً بما يُحذَر، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الاول من الشعر لكُثَيِّر، ويقال: إنه لأبي جُندَب الهذليّ. والبيت

الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمة، وزعم ابن دَأْبٍ أنه عبد الله بن عَلقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة، وقيل أيضاً: إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازِيه التي وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.

الغناء في اللحن المختار لمُتَيَّمَ مولاةِ عليّ بن هشام وأمِّ أولاده. ولحنُها رمل بالبنصر، من رواية إسحاق وعمرو؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ. وفيه خفيفُ ثقيلٍ، يقال: إنه لحسين بن مُحرِز، ويقال: إنه قديم من غِناء أهل مكة.

* * *

عبد الله بن علقمة وحبيشة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا العباس ابن بكّار قال حدّثنا ابن دَأْب قال:

كان من حديث عبد الله بن عَلقَمة أحدِ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة أنه خرج مع أمّه وهو مع ذلك غلامٌ يَفَعَةٌ[1] دون المُحتَلِم لتزور جارةً لها، وكان لها بنت يقال لها حُبَيشة بنت حُبَيش أحدِ بني عامر بن عبد مناة بن كِنانة. فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه، وانصرف وترك أمّه عند جارتها، فلبِثتْ عندها يومين. ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليَرْجعها الى منزلها، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحيّ، فازداد بها عَجَباً، وانصرف بأمّه في غَداةٍ تُمطِر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

وما أدري بَلى إنّي لأدري		أَصوبُ القَطْرِ أحسنُ أم حُبَيشُ
حُبَيشَةُ والذي خلق الهدايا		وما عن بُعدها للصَّبِّ عيشُ

---

(١) غلام يافع ويفعة: شاب.

فسمِعتْ ذلك أُمه فتغافلَتْ عنه وكرِهت قولَه. ثم مَشَيا مَلِيًّا، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأرض، فقال:

يا أُمتا أخبريني غيرَ كاذبةٍ ... وما يُريد مَسُولُ الحقِّ بالكذبِ
أتلك أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ ... لا بل حُبَيشةُ في عيني وفي أرَبي

فزجرته أُمه وقالت له: ما أنتَ وهذا! نُزوّجك بنتَ عمك فهي أجملُ من تلك. وأتت امرأةَ عمه فأخبرتْها خبرَه، وقالت: زيّني ابنتَك له، ففعلتْ وأدخلتْها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أُمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غُيّبتْ عني حُبيشةُ مرةً ... من الدهر لم أملِك عزاء ولا صبرا
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشُّه[1] ... وَقود الغَضى والقلبُ مستعِرا[2]

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقته كما علِقها، وكثُر قولُه للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حُبَيشةُ هل جَدّي وجَدُّكِ جامعٌ ... بشَملِكمُ شَمْلي وأهلِكمُ أهلي
وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مرّةً ... بصَحراء بين الأُلَيّتين[3] الى النخلِ
وهل أشتفِي من ريقِ ثغركِ مرّةً ... كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ[4] النَّحلِ

فلما بلغ أهلَها خبرهما حجبوها عنه مُدّة، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها. فأتوها فقالوا لها: عِديه السَّرْحةَ، فإذا أتاك فقولي له: نَشدتُك اللهَ إن كنتَ أحببتني فوالله ما على الأرض شيء أبغض اليّ منك، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين. فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون، وجلستْ عند السَّرْحة، وأقبل عبد الله لوعدها.

(١) يقال: حش النار يحشها حشا اذا أوقدها.
(٢) غير متزن.
(٣) ألية: ماءة من مياه بني سليم، والنخل: اسم لمواضع كثيرة.
(٤) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

فلما دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت الى حيث أهلُها جلوسٌ، فعرَف أنهم قريب فرَجع. وبلَغه ما قالوا لها أن تقولَه فأنشأ يقول:

لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جَوًى بكم　　على أنه لم يَبقَ سِترٌ ولا صبرُ
ولم يكُ حبّي عن نوالٍ بذلتِه　　فيُسلِيَني عنه التجهُّمُ والهجرُ
وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ دمعَها　　ونظرتَها حتى يُغيِّبَني القبرُ

سرية خالد بن الوليد الى بني عامر:

وبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم على أثَر ذلك خالدَ بن الوليد الى بني عامر ابن عبد مَناة بن كِنانة وأمره أن يدعوهم الى الاسلام، فإن أجابوه وإلّا قاتَلهم. فصبَحهم[1] خالد بن الوليد بالغُمَيصاء[2] وقد سمِعوا بـه فخافوه فظَعَنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمّه الفاكه بن المغيرة في الجاهليّة، وكانوا من أشدّ حيّ في كِنانة بأساً يُسمَّوْن «لَعَقة الدّم». فلما صبَحهم خالدٌ ومعه بنو سُليم، وكانت بنو سُليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّريد وإخوتـه كُرزٍ وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن واحد. فلما صبَحهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأوْا معه بني سُليم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أسلِموا تَسلَموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فألقوا سلاحَكم وانزِلوا. قالوا: لا والله. فقال جَذيمةُ بن الحارث أحدُ بني أقرَم: يا قوم، لا تضَعوا سلاحَكم، والله ما بعد وضعِ السلاح إلّا القتل. قالوا: لا والله لا نُلقِي سلاحنا ولا نَنزل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمِنين. قال خالدٌ: فلا أمانَ لكم إن لم تَنزلوا. فنزلتْ فرقـةٌ منهم فأسرهم، وتفرّق بقيّةُ القوم فرقتين، فأصعدتْ فرقةٌ وسفَلتْ فرقةٌ أخرى.

قال ابن دَأب: فأخبرني من لا أتّهم عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ

(١) صبح القوم: أغار عليهم صباحاً.

(٢) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة.

قال : كنت يومئذٍ في جند خالد، فبَعَثنا في أثَر ظُعُن(١) مُصعِدةٍ يسوق بهنّ فتيةٌ، فقال : أدرِكوا أولئك . قال : فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوا، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا وهو يقول :

بَيْنَ أطرافَ الذُّيول وارْبَعْنْ   مَشْيَ حَيِيّاتٍ كأن لم يَفزَعْنْ
إن يُمنَعِ اليومَ نساءٌ تُمنَعْنْ

فقاتَلَنا طويلًا فقتلناه ومضينا حتى لحِقْنا الظُّعنَ، فخرج الينا غلام كأنه الاول، فجعل يقاتلنا ويقول :

أُقسم ما إن خادِرٌ(٢) ذو لِبْدَهْ   يزأر بين أيكةٍ ووَهْدَهْ
يفرِس شُبّانَ الرجال وَحْدَهْ   بأصدق الغداةَ منّي نَجْدَهْ

فقاتَلنا حتى قتلناه، وأدركنا الظُّعُن فأخذناهنّ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فرَبَطناه بحبل وقدّمناه لنقتلَه ؛ فقال لنا : هل لكم في خير ؟ قلنا : وما هو ؟ قال : تُدركون بي الظُّعنَ أسفلَ الوادي ثم تقتلونني؛ قلنا : نفعل . فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أسفلَ الوادي . فلما كان بحيث يَسمعن الصوتَ، نادى بأعلى صوته : إسلَمي حُبَيشُ، عند نَفاد العيش . فأقبلت اليه جاريةٌ بيضاء حسناء فقالت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء، وشدّة البلاء . فقال : سلامٌ عليكم دهراً، وإن بقيت عصراً . قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشَفعاً تَترى، وثلاثاً وِتْرا . فقال :

إن يَقتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ   هواكِ لهم منّي سوى غُلّة الصدرِ
وأنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي   وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له :

---

(١) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .

(٢) الأسد الخادر : المقيم في عرينه .

ونحن بكينا من فراقك مرّةً وأخرى وآسيناك في العسر واليسرِ
وأنت — فلا تَبعَدْ فنعم فتى الهوى — جميلُ العفاف في المودّة والسّترِ

فقال لها :

أريتك إن طالبتُكم فوجدتُكم بحَلية[١] أو أدركتُكم بالخوانِق[٢]
ألم يــك حقًّا أن يُنوّلَ عاشقٌ تكلّف إدلاجَ السُّرى والودائقِ[٣]

فقالت : بلى والله . فقال :

فلا ذنبَ لي إذ قلتُ اذ نحن جيرةٌ أثيبي بودٍّ قبل إحدى البوائقِ
أثيبي بودّ قبل أن تَشحَط النوى وينأى خليطٌ بالحبيب المفارقِ

قال ابن أبي حَدْرَد : فضربنا عُنقَه، فتقحمتِ الجاريةُ من خِدْرها حتى أتت نحوَه فالتقمتْ فاه، فنزعنا منها رأسه وإنهـا لتَكسَع[٤] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأفلت من القوم غلامٌ من بني أقرَم يقال له السَّميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه .

قال ابنُ دأب : فأخبرني صالح بن كيسان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله « هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع » ؟ فقال : نعم، رجل أصفرُ رَبعــةٌ ورجل أحمرُ طويلٌ . فقال عمر : أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أمّا الاول فهو ابني وصِفَتُه، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حُذَيفة . وكان خالد قد أمر كلَّ من أسرَ أسيراً أن يضربَ عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حُذيفة أسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه بعد فراغــه من حُنَين

---

(١) حلية : واد بتهامة أعلاه لهذيل، وأسفله لكنانة .

(٢) الخوانق : جمع خانق، وهو موضع بتهامة وقعت فيه حرب بين إياد بن نزار وإخوتها مضر وربيعة فانهزمت إياد، وأصبح من بلاد كنانة بن خزيمة .

(٣) الودائق : جمع وديقة وهي شدّة الحرّ في الهاجرة .

(٤) تكسع : تضرب .

وبعث معه بإبلٍ ووَرِقٍ وأمره أن يَدِيَهم فودَاهم، ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال عليّ : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تَقبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتلى والَجرحى وتُحلِّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم : فهل لكم أن تقبَلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْع والفَزَع؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم: فهل لكم أن تقبَلوا الثالثَ وتُحلِّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما عَلِمَ ومما لم يَعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعتُه اليهم، وجعلتُ أدِيهم، حتى إني لأَدِي مِيلغةَ(١) الكلب، وفضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها اليهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفقَبِلوها؟» قال نعم. قال : «فوالذي أنا عبده لهي أحبّ اليّ من حُمْر النَّعم».

وقالت سَلمى(٢) بنت عُمَيس :

وكم غادروا يومَ الغُمَيصاء من فتًى   أُصيب فلم يَجرَح وقد كان جارحا
ومن سيّدٍ كهل عليه مَهابةٌ   أُصيب ولمّا يَعلُه الشيبُ واضحا
أحاطتْ(٣) بخُطّابِ الأيامي وطلّقت   غداتئذٍ من كان منهنّ ناكحا
ولولا مقالُ القوم للقوم أسلِموا   للاقتْ سُلَيمٌ يوم ذلك ناطحا

قال ابن دأب : وأمّا سببُ قتلهم القرشيَّين، فإنه كان نَفَرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة، وكان يقال لهم «لَعَقة الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديد. فجاءت اليهم بنو عامر فقالوا للقرشيَّين : إيّاكم أن يكون معكم رجل من فَهْم؛ لأنه كان له عندهم ذَحْلٌ. قالوا : لا والله ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهميّ معهم في رِحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم. فقال راجزهم :

---

(١) الميلغة : الاناء الذي يلغ فيه الكلب.

(٢) هي أخت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق.

(٣) ويروى : «ألظت». وألظ بالشيء ولظ به : لزمه.

إن قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ نحن قتلنا منهم بِغادَهْ[١]
عشرين كهلًا ما لهم زيادَهْ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عفّان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفّان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمٰن بن عوف، والفاكه بن المُغيرة، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة. فأرادت قريشٌ قتالهم حتى خذَلتهم بنو الحارث بن عبد مَناة فلم يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مَناة فيمن حضر الوَقعةَ هو وضِرار[٢]. فأشار الى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله :

دعوتُ الى خُطّةٍ خالداً من المجد ضيَّعها خالدُ
فوالله أدري[٣] أضاهى بها بَني العَمّ أم صدرُه بارد
ولو خالدٌ عاد في مثلها لتابَعه عُنُقٌ وارِد[٤]

وقال ضِرارٌ أيضاً :

أرى ابنَيْ لُؤَيٍّ أسرَعا أن تَسالما وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسلَكِ
فإن أنتمُ لم تَثأروا برجالكم فَدُوكوا[٥] الذي أنتم عليه بِمَدْوَك[٦]
فإنّ أداةَ الحرب ما قد جمعتمُ ومن يَتَّقِ الأقوامَ بالشرّ يُترك

فلما كان يومُ فتح مكة بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجيوش الى قبائل بني كنانة حولَه، فبعث الى بني ضَمْرة نُمَيلةَ بن عبد الله اللَّيثيّ، والى بني الدِّئل عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، وبعث الى بني مُدلج عيّاشَ بن أبي رَبيعة المخزوميّ

(١) غادة : موضع في ديار كنانة .

(٢) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري أحد الاشراف والشعراء المعدودين والابطال المذكورين .

(٣) النفي مقدر هنا، أي فوالله لا أدري .

(٤) عنق وارد : متدلٍّ، يكنى بذلك عن موته .

(٥) فدوكوا : اسحقوا .

(٦) المدوك : حجر يسحق به الطيب .

وبعث الى بني بَغيض ومحارب بن فهر عبدَ الله بن نَهيك أحدَ بني مالـك بن حِسْل، وبعث الى بني عامر بن عبد مَناة خالداً . فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيصاء؛ وقد كان خبرُه سقط اليهم، فمضى منهم سلَفٌ قتله بقوم منهم، يقـال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُعَين بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم، فأُصيب من أصيب . فلما أقبل خالد ودخل المدينةَ قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « يا خالدُ ما دعاك الى هذا »! قال : يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك . قال : « وما هي » ؟ قال : قولُ الله عزّ ذكرُه : (قاتِلُوهُمْ يُعذِّبْهُمُ اللهُ بأيدِيكُمْ ويُخزِهِمْ ويَنصُرْكُمْ عَلَيهِمْ ويَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ ويُذْهِبْ غَيظَ قُلُوبِهِمْ) وجاءني ابنُ أمّ أصرَمَ فقال لي : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقاتِـلَ . فحينئذٍ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوَداهم .

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سعد بن أبي نصر قال حدّثنا سفيان ابن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَينة يقـال له ابن عاصم عن أبيه قال :

بعَثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَرِيّةٍ وأمرَنا ألّا نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سمعنا أذاناً — قال وَكيع وأخبرني أحمد بن أبي خَيثَمة قال حدّثنـا إبراهيم بن بَشّار الرَّماديّ قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نَوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال — :

فبينا نحن نسير إذا بفتًى يسوق ظعائنَ؛ فعرَضنا عليـه الإسلامَ فإذا هو لا يعرِفه؛ فقال : ما أنتم صانعون بي إن لم أُسلِم ؟ قلنا : نحن قاتِلوك . قـال : فدَعوني ألحَقْ هذه الظعائنَ، فتركناه؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال : اسْلَمي حُبيشُ، قبل نَفاد العيش . فقالت : وأنتَ فاَسلم تِسعاً وتراً وثمانياً تَترى، وعشراً أخرى .

فقال لها :

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أَثيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائقِ

أثيبي بودّ قبل أن تَشحط النّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المُفارقِ

قال : ثم جاء فضربنا عنقه . فخرجَتْ من ذلك الهودج جارية جميلة فجنأَتْ[١] عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العَتَكي قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

يُروى أن خالد بن الوليد كان جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسُئل عن غزوته بَني جَذيمة فقال : إنْ أذِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحدّثتُ . فقال : « تحدّثْ » . فقال : لقيناهم بالغُمَيصاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغيبُ، فمَنحنا اللهُ أكتافَهم فتبِعناهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنوبٍ[٢] في أخرَياتِ القوم، فبوّأتُ[٣] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه؛ فقال : لا إله، فقبضتُ عنه الرّمح؛ فقال : إلّا اللّات أحسنتْ أو أساءتْ . فهمَستُه[٤] هَمسةً أذرَيتُه وَقيذاً[٥]؛ ثم أخذتُه أسيراً فشددتُه وَثاقاً؛ ثم كلمتُه فلم يكلّمني، واستخبرتُه فلم يُخبرني . فلما كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذيمة يسوق بهنّ المسلمون، فقال : أيا خالد ! قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقِفي على هؤلاء النِّسوة ؟ ! فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ، وفيهن جارية تُدعى حُبيشة؛ فقال لها : ناوليني يدَكِ فناولته يدَها في ثوبها؛ فقال : اسلمي حبيش، قبل نَفاد العيش . فقالت : حُيّيتَ عشراً، وتسعاً وتراً، وثمانياً تترى . فقال :

أرَيتَكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بحَليَةَ أو أدركتُكم بالخَوانقِ
ألم يَكُ حقّاً أن يُنوَّل عاشقٌ ... تكلّف إدلاج السُّرى والودائقِ

(١) جنأت عليه : أكبت عليه .
(٢) الذنوب : الفرس الوافر الذنب .
(٣) بوأ الرمح : سدّده وهيأه .
(٤) همسه : أخذه أخذاً شديداً وعصره .
(٥) الوقيذ : الدنف المشرف على الموت .

وقد قلتُ إذ أهلي لأهلكِ جيرةٌ أَثِيبي بودٍّ قبل إحدى الصَّفائقِ
أثيبي بوُدٍّ قبل أن تَشحَط النّوى وينأى أميرٌ بالحبيب المفارقِ
فإنّيَ لا ضيّعتُ سرَّ أمانتي ولا راقَ عيني بعد عينك رائقُ [1]
سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ عن الوُدّ إلا أن يكون التَّوامُقُ

فلما جاء على حاله تلك قدّمتْه فضربتُ عنقه . فأقبلت الجاريةُ ووضعتْ رأسه في حِجرها وجعلت تَرشُفُه وتقول :

لا تَبعَدنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً لحقّ بحسن المدح مثلُك من مثلي
لا تَبعَدن يا عمرو حيّاً وهالكاً فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعلِ
فمَن لِطِراد الخيل تُشجَر [2] بالقَنا وللفخر يوماً عند قَرقَرة البُزْلِ [3]

وجعلت تبكي وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه لفي حِجرها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رُفِعتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلَكاً لَمُطِيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلته » .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن المُنذِر عن صفيّة بنت الزبير بن هشام قالت :

كان أبو السائب المخزوميّ رجلًا صالحاً زاهداً متقلّلًا يصوم الدّهرَ ، وكان أرقَّ خلق الله وأشدَّهم غزَلًا . فوجّه ابنَه يوماً يأتيه بما يُفطر عليه . فأبطأ الغلامُ الى العَتَمة . فلما جاء قال له : يا عدوَّ نفسه ، ما أخّرك الى هذا الوقت ؟ قال : جُزتُ بباب بني فلان فسمعتُ منه غناء فوقفتُ حتى أخذتُه . فقال : هاتِ يا بُنيّ ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأحبُوَنّك ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضربنّك . فاندفع يغنّي بشعر كثيّر :

---

(١) في هذا البيت والذي يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروي .
(٢) تشجر : تطعن .
(٣) البزل : جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة . والقرقرة : دعاء الابل ، وهي أيضاً هدير الفحل .

ولما عَلَوْا شَغْباً[1] تبيّنتُ أنه تقطّع من أهل الحجاز علائقي
فلا زِلن حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

فلم يَزَل يغنّيه الى نصف الليل . فقالت له زوجتُه : يا هذا ، قد أنتصف الليلُ وما أفطرنا . قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطورُنا غيرَه . فلم يزل يغنّيه الى السَّحَر . فلما كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه : هذا السَّحَرُ وما أفطرْنا ! فقال : أنتِ طالقٌ إن كان سَحورُنا غيرَه . فلما أصبح قال لأبنه : خُذْ جُبّتي هذه وأعطِني خَلَقَك ليكون الحِباءُ فَضْلَ ما بينهما . فقال له : يا أبتِ ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بنيّ ، ما ترك صوتك هذا للبرد عليّ سبيلًا ما حَييتُ .

أخبرني وَكيع قال أنشدنا أحمد بن يَزيد الشيبانيّ عن مصعَب الزُّبيريّ لسليمان بن أبي دُباكِل[2] قال :

فهلّا نظرتَ الصبحَ يا بَعلَ زينبٍ فتُقضى لُباناتُ الحبيب المفارقِ
يَروح اذا يُمسي حنيناً ويَغتدي وتهجيرُه عند أحتدام الودائقِ
فَطِرْ جاهداً أو كن حليفاً لصخرةٍ مُمنَّعةٍ في رأس أرعَنَ شاهقِ
فما زال هذا الدهرُ من شؤم صرفِهِ يُفرّق بين العاشقين الأوامقِ
فيُبعِدنا ممن نُريد أقترابَه ويُدْني الينا من نُحبّ نفارقِ[3]
ولما عَلَوْا شَغْباً تبيّنتُ أنه تقطّع من أهل الحجاز علائقي
فلا زِلن حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

---

(١) شغب : منهل بين طريق مصر والشام .

(٢) سليمان بن أبي دباكل : شاعر خزاعيّ من شعراء الحماسة .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ .

ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها

كانت متيَّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة، وبها نشأتْ وتأدَّبتْ وغنَّتْ. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قَبْله وعن طبقتهما من المغنّين. وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها. وعلى ما أخذتْ عنها كانت تَعتمد. فاشتراها عليّ بن هشام[1] بعد ذلك، فازدادتْ أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنّين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس مما يُستجاد، ولكنه يُستحسن من مثلها. وحَظِيتْ عند عليّ بن هشام حظوةً شديدة، وتقدّمتْ على جواريه جُمَعَ عنده، وهي أمُّ وَلَدِه كلّهم.

وقال عبد الله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُرَيش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشاميّ قال:

كانت مُتَيَّمُ لِلُبانةَ بنت عبد الله بن إسماعيل المراكِبي مولى عَريب، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْرية، فولدت له صفيّة وتُكنى أمَّ العباس، ثم ولدت محمداً ويُعرف بأبي عبد الله، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون ويعرف بأبي جعفر، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنية. قال: ولما تُوفِّي عليّ بن هشام عَتَقتْ. وكان المأمونُ يبعث اليها فتجيئه فتُغنّيه. فلما خرج المعتصمُ الى سُرَّ مَن رأى أرسل اليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسق في دار كانت تُسمّى الدِمَشْقيّ وأقطعها غيرَها. وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول الى بغداد الى ولدها فتزورهُم وترجع، ثم ضمّها لما خرجتْ قَلَمُ. وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعليّ بن هشام. وكانت متيّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه.

(١) كان من أمراء المأمون وقوّاده تولى له حرب بابك الخرّمي. ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان وغيرها، فبلغه ظلمه وأخذه الأموال وقتله الرجال فأمر بقتله.

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أكثم حدّثه عن الحسن ابن إبراهيم بن رِياح قال :

سألتُ عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ : مَن أحسنُ من أدركتَ صَنعَةً ؟ قال: إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : عَلّويه . قلت : ثم من ؟ قال : متيَّم . قلت : ثم من ؟ قال : ثم أنا . فعجِبتُ من تقديمه متيَّمَ على نفسه ؛ فقال : الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع.

أخبرني محمد بن الحسن قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

سُئِل عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ عن أحسن الناس غناء . فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له : ما أحسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم في قوله :

فلا زِلْنَ حَسرى ظُلّعاً لِمْ حَملْنَها

ولا كما صنع عَلّويه في قول الصِّمّة :

فواحَسرتي لم أَقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتّــع بالجِوار وبالقُرْبِ

قال : فأين عمرو بن بانةَ ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضـع، ولكنّه صنع لحناً في هذا الغناء .

نسبة صوت علّويه

صوت

فواحسرتي لم أقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتّــع بالجوار وبالقربِ
يقولون هذا آخرُ العهـد منهمُ ... فقلت وهـذا آخر العهد من قلبي
ألا يا حمامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مراهق ... سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْبِ

الشعر للصِّمّة بن عبد الله القُشيريّ . والغناء فيه لعلّويه، ثقيل اول مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لمخارق خفيفُ رملٍ بالوسطى، أوّله : « ألا يا حمـام الشعب » ثم الثاني ثم الاول . وذكر حبشٌ أن فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال :

كانت متيم ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر؛ فغنت متيم في الثقيل الاول :

لزينب طيف تعتريني طوارقه هدواً إذا ما النجم لاحت لواحقه

فأشار اليها إبراهيم أن تعيده؛ فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي، إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه؛ فقال لها : لا تعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلس المعتصم ومتيم غائبة، فانصرف إبراهيم بعد حين الى منزله ومتيم في منزلها بالميدان[1] وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جواري علي بن هشام؛ فتقدم الى المنظرة وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدك .

وقال : ابن المعتز : وحدثت أن المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها معجباً؛ فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولد . فلما ألح المأمون في طلبها حرص علي على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمون منها . فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله .

وحدثني سليمان الطبال انه رأى متيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجيذ بردائها .

وحكى علي بن محمد الهشامي قال :

أهدي إلى علي بن هشام برذون أشهب قرطاسي[2] وكان في النهاية من الحسن والفراهة، وكان علي به معجباً، وكان إسحاق يشتهيه شهوة شديدة،

(١) شارع الميدان : محلة ببغداد وهي بشرقي بغداد بباب الأزل .

(٢) القرطاسي : الابيض الذي لا يخالط بياضه شية .

وعَرّض لعليّ بطلبه مراراً فلم يَرْضَ أن يُعطيَه له. فسار إسحاقُ الى عليّ يوماً بعَقِب صنعةِ مُتيّم «فلا زِلن حَسرى» فأحتبسه عليٌّ وبعث الى متيّم أن تجعل صوتَها هذا في صدر غِنائها ففعلتْ، فأطربَ إسحاقَ إطراباً شديداً، وجعل يَستردّه، فتَردّه وتَستوفيه ليَزيدَ في إطرابه إسحاقَ وهو يُصغي اليها ويتفهّمه حتى صحّ له. ثم قال لعليّ: ما فعل البِرذَونُ الأشهب؟ قال: على ما عهدتَ من حسنه وفراهته. قال: فأختر الآن منّي خَلّةً من اثنتين: إما أن طِبتَ لي نفساً به وحملتَني عليه، وإما أن أبيتَ فادّعي والله هذا الصوتَ لي وقد أخذتُه، أفتراك تقول: إنه لمتيّم وأقول: إنه لي ويُؤخذ قولُك ويُترك قولي؟! قال: لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه؛ يا غلام قُدِ البرذونَ الى منزل أبي محمد بِسَرجه ولجامه، لا باركَ اللهُ له فيه!

قال عليّ بن محمد وحدّثني أحمد بن حمدون:

إن إسحاق قال لمتيّم لمّا سمع هذا الصوتَ منها: أنتِ أنا فأنا مَن! يريد أنها قد حلّت محلّه وساوَته.

قال عليّ بن محمد وقال جدّي أبو جعفر:

كانت متيّمُ تقول:

صوت

فلا زِلن حسرى ظُلّعاً لم حملنها

الرّمل كلّه.

وحدّثني الهشاميّ قال مدّ عليُّ بن هشام يده الى بَذْل جاريته في عتاب يعاتبها، ثم ندم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول:

فليتَ يدي بانت غداةَ مدَدْتُها اليكِ ولم تَرجع بكفٍ وساعدِ

وغنّت متيّمُ جاريتُه فيه في الثقيل الاول؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليٍّ بذل الصغيرة .

وحدّثني الهشاميّ قال :

كان سببُ موت بذل هذه أنها كانت ذاتَ يوم جالسةً عند المأمون فغنّته، وكان حاضراً في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكنى بأبي الكَرْكَدَنّ من أهل طَبَرِستان يضحك منه المأمونُ، فعبثوا به فوثَب عليهم وهرَب الناسُ من بين يديه فلم يَبق أحدٌ حتى هرب المأمونُ، وبقيت بذلُ جالسةً والعودُ في حِجرها، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسها فشجّها في شابورتها اليمنى؛ فأنصرفتْ وحُمّت، وكان سببَ موتها .

وحدّثني الهشاميّ قال :

لما مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ، أخذ المعتصمُ جواريَ عليّ بن هشام كلّهن فأدخلهنّ القصر، فتزوّج ببَذْل المغنية وبقيتْ عنده الى أن مات ؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلا بذلَ الصغيرة لأنها كانت حُرْمَته فلم يُخرجوها .

ويقال : إنه لم يكن في المغنّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبد الله بن العباس ومتيّم . وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم :

بَني مُتيّمَ هل تَدرون ما الخبرُ   وكيف يُستَرُ أمرٌ ليس يَستترُ
حاجبُكم مَنْ أبوكم يا بَني عُصَبٍ   شتى ولكنّا للعاهر الحَجَرُ

قال : وحدّثني جدّي قال : كلّم عليُّ بن هشام متيّمَ فأجابته جواباً لم يَرْضَه، فدفع يدَه في صدرها، فغضِبتْ ونهضتْ، فتثاقلتْ عن الخروج اليه . فكتب اليها:

صوت

فليتَ يدي بانتْ غداةَ مَددْتُها   اليكِ ولم تَرجع بكفٍ وساعدِ
فإن يرجعِ الرحمنُ ما كان بيننا   فلستُ الى يوم التّنادي بعائدِ

غنّته متيّمُ خفيفَ رملٍ بالبنصر .

قال : وعَتَبت عليه مرّةً فنادى عَتبُها، وترضّاها فلم تَرْضَ؛ فكتب اليها : الإدلال يدعو الى الإملال، وربّ هجرٍ دعا الى صبر ، وإنما سُمّي القلبُ قلباً لتقلّبه . ولقد صدق العباسُ بن الأحنف حيث يقول :

ما أراني إلّا سأهجر من ليـــس يَراني أقوى على الهجرانِ
قد حَدا بي الى الجفاء وفائي ما أضرَّ الوفـاء بالإنسانِ

قال : فخرجتْ اليه من وقتها ورضيتْ .

وحدّثني الهشاميّ قال :

كانت متيّمُ تُحبّني حبّاً شديداً يتجاوز محبّةَ الأخت لأخيهـا، وكانت تعلم أني أحِبّ النَّبِق، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإني لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السَّحر إذا أنا ببابي يُدَقّ . فقيل : من هذا ؟ فقالوا : خادمُ متيّم يريـد أن يدخل الى أبي عبد الله . فقلتُ : يَدخل . فدخل ومعه اليّ صِينيّة فيها نَبِقٌ ؛ فقال لي : تُقرئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بنَبِقٍ من أحسن ما يكون؛ فقالتُ له : يا سيّدي، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تَطلُبين ما شئتِ . قالت : يُطعمني أميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق . فقال لسمانة : أجعل من هذا النّبِق في صينية وأجعلوها قدّام مُتيّم ؛ فأخذتُه وذلّلتُه لك وقد بعثتْ به اليك معي، ثم دفعتْ اليّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هـذه الدراهمَ لكي يَفتحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به اليه .

ثم حدّثنا الهشاميّ قال :

بعث عليّ بن هشام الى إسحاق فجاء، فأخرج مُتيّمَ جاريتَه اليه؛ فغنّتْ بين يديه :

فلا زِلن حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها الى بلد ناء قليـــل الأصادقِ

فأستعاده إسحاق وأستحسنه، ثم قال له: بكم تَشتري منّي هذا الصوتَ؟ فقال له عليّ بن هشام: جاريتي تَصنع هذا الصوتَ وأشتريه منــك! قال: قد أخذتُه الساعةَ وأدَّعيه، فقول من يُصدَّق، قولي أو قولُك! فأفتداه منه ببرذَون أختاره له.

وحدّثني الهشاميّ قال:

سمِع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبيدة صوتاً عجيباً، فرشا لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار الى داره وطُرِح الصوتُ على جَواريه. ولو علمت بذلك زُبيدة لأشتدّ عليها، ولو سألها أن توجّهَ به ما فعلتْ.

وحدّثني يحيي بن عليّ بن يحيي المنجّم عن أبيه قال:

لمّا صنعت متيّمُ اللحنَ في قوله:

فلا زِلن حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها

أعجب به عليّ بن هشام، وأسمعه إسحاق فأستحسنه وقال: من أين لــك هذا؟ فقال: من بعض الجواري. فقال: إنه لعريبَ؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال: إنه لمتيّمَ؛ فأطرق. وكان متحاملًا على المغنّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسرِفاً في حَطّ درجاتِهم، وما رأيتُه في غِنائه ذكر لعَلّويه ولا مُخارِق ولا عمرو ابن بانة ولا عبد الله بن عبّاس ولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنتصِباً(١) لهم، وذكر في آخر الكتاب قولَه:

فلا زِلن حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها الى بلـــد ناء قليل الأصادقِ

ووقع تحتــه «لمتيّم»: وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونَسَب الى كل مغنٍ صوتَه غير مُخارِق وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشيء.

---

(١) الانتصاب: إظهار العداوة.

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أبن المكيّ عن أبيه قال قال لي عليّ أبن هشام:

لمّا قدِمتْ عليّ شاهك جدّتي من خُراسان، قالت: اعْرِض جواريَك عليّ، فعرَضْتُهنّ عليها. ثم جلسنا على الشَّراب، وغنّتنا مُتيّم. وأطالت جدّتي الجلوس فلم أنبَسِط الى جَواريّ كما كنتُ أفعل؛ فقلت هذين البيتين:

صوت

أَنبقى على هذا وأنتِ قريبةٌ وقد مَنَع الزُّوَّارُ بعضَ التَّكلُّمِ
سلامٌ عليكم لا سلامَ مُودِّعٍ ولكن سلامٌ من حبيب متيّمِ

وكتبتُها في رُقعة ورميتُ بها الى متيم؛ فأخذتْها ونهضتْ الى الصلاة، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذي يُغنّى فيه اليوم، فغنّتْ. فقالت شاهك: ما أرانا إلّا قد ثَقُلنا عليكم اليوم؛ وأمرت الجواريَ فحملنَ مِحَفّتَها، وأمرتْ بجوائز للجواري وساوت بينهنّ، وأمرت لمتيّمَ بمائة ألف درهم.

وأخبرني قال: أوّلُ من عقَد من النساء في طَرَف الإزار زُنّاراً[1] وخيطَ إبرَيسَم[2] ثم تجعله في رأسها فيثبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيّمُ.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

مرّت متيّمُ في نِسوةٍ وهي مُستَخفِيةٌ بقصر عليّ بن هشام بعد أن قُتِل، فلما رأت بابَه مُغلَقاً لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطُرِحتْ في أفنيته المَزابلُ، وقفتْ عليه وتمثّلتْ:

صوت

يا منزلاً لم تَبلَ أطلالُهْ حاشا لأطلالِكَ أن تَبلَى

(١) الزنار في الاصل: ما يلبسه ويشدّه الذمي على وسطه.

(٢) الابريسم: الحرير.

لم أبكِ أطلالَكَ لكنَّني بكيتُ عيشي فيكِ إذ وَلّى
قد كان لي فيكِ هوًى مرَّةً غيّبه الترْبُ وما مُلّا
فصرتُ أبكي جاهداً فقدَه عند اذّكاري حيثما حلّا
فالعيشُ أَولى ما بكاه الفتى لا بدَّ للمحزون أن يَسلى

— فيه رمل بالوسطى لابن جامع — قال: ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها، وجعل النِّسوةُ يُناشِدْنها ويَقُلْنَ: اللهَ اللهَ في نفسك! فإنك تُؤخَذين الآن، فبعد لَأْيٍ[1] ما حُمِلت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضعَ.

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن الحسن عن عبد الله بن العباس الرَّبيعي قال: قالت لي متيَّمُ: بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ، فذهبتُ اليه، فأمرني بالغناء فغنّيتُ:

هل مُسعدٌ لبكاء بعَبرة أو دماء

فقال: اعدِلي عن هذا البيت الى غيره؛ فغنّيته غيرَه من معناه؛ فدَمَعتْ عيناه وقال: غنّي غيرَ هذا. فغنّيتُ في لحني:

أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنعَةٍ تفانَوا وإلّا تذرِف العينُ أكمَدِ

فبكى وقال: وَيحكِ! لا تُغنّيني في هذا المعنى شيئاً ألبتّة. فغنّيتُ في لحني:

لا تأمَنِ الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ إنّ المنايا تَغشّى كلَّ إنسانِ
واسلُك طريقَك هوناً غيرَ مكترِثٍ فسوف يأتيك ما يَمني[2] لك الماني

فقال: والله لولا أني أعلم أنك إنما غنّيتِ بما في قلبك لصاحبك وأنك لم تُريديني لمثّلتُ بك؛ ولكن خذوا بيدها فأخرِجوها، فأخذوا بيدي فأُخرِجتُ.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هل مُسعِدٌ لبكاء بعَبرة أو دماء

(١) اللأي: الجهد والمشقة.
(٢) مناه الله: قدّره. فما يمني لك الماني، اي ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى.

وذا لفقد خليـــلٍ لسادةٍ نُجبـــاء

الشعر لمُرادَ شاعرةِ عليّ بن هشام تَرثيه لمّا قتــله المأمونُ . والغناء لمتيّم . ولحنُه من الثقيل الاول بالوسطى .

منها :

ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي ... ...

وقد أخرج في أخبار ابراهيم بن المهديّ لأنه من غنائه وشعره، وشُرحتْ أخبارُه فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

ومنها :

صوت

أولئك قومي بعد عزّ ومَنعة تفانَوا وإلّا تَذرفِ العينُ أُكمَدِ

وقد أُخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبليّ وغنّيا فيه من مراثيها في بني أميّة . ولحنُ متيّم هذا الذي غَنّت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها :

صوت

لا تأمَنِ الموتَ في حلّ وفي حرم ... ...

ذكر الهشاميّ أنه ممّا وجدَه من غناء متيّم، غير أن لها لحناً فيــه يُذكر في

موضع غير هذا على شرح إن شاء الله تعالى، وإنما ألِفَتْ صوتاً تولَّعتْ به وغنَّته فنسبه اليها[1] .

وأخبرني قال : كنّا في مجلسنا نِياماً . فلما كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت : أطعموني شيئاً؛ فأخرجوا اليها شيئاً تأكله، فأكلتْ، ودعتْ بنبيذ وأبتدأتِ الشربَ، ودعت بعود فأندفعت تغنّي لنفسها وتشرب . وكان مما غنَّت :

كيف الثَّواءُ بأرض لا أراك بها   يا أكثر الناس عندي مِنَّةً ويدا

– خفيف رمل – وقال : ما رأيت أحداً من المغنّين والمغنّيات اذا غنَّوْا لأنفسهم يكادون يغنّون إلّا خفيفَ رمل .

نوحها على سيدها :

وأخبرني قال حدثني بعضُ أهلها قال : لما أُصِبنا بعليّ بن هشام، جاء النوائحُ، فطرح بعضُ من حضر من مُغنّياته عليهنّ نوحاً من نوح متيّم، وكان حسناً جيّداً، فابطأ نوحُ النوائح اللّاتي جئن لحسنه وجَوْدته . وكانت زين حاضرةً فأستحسنته جداً، وقالت : رضِي اللهُ عنكِ يا متيّم ! كنتِ علَماً في السرور، وأنت علم في المصائب .

---

(١) في بعض الاصول زيادة :

« أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من انسان مدني . فيه صوتين فأشتهيها منها فأخذتها بحضرتي ثم سمعت بيتين هما لها أحدهما :

يا منزلاً لم تبل أطلاله   حاشا لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنني   بكيت عيشي فيك إذ ولى

والآخر :

أمسى الربع بجديّ   إذ مشى فيه الخليل
وعلى مثلك يبكى   أيها الربع المحيل
عرفت عيني الطلول   فلها دمعي يسيل
وبكت لي إذ رأتني   خالياً فيها أجول » .

وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نَوحها:

لعليٍّ وأحمد وحسينٍ ثم نصرٍ وقبلَه للخليل

هزَجٌ:

قال ابن المعتزّ: وأخبرني الهشاميُّ قال: وجّهتْ مؤنِسةُ جاريةُ المأمون الى متيّم جاريةِ عليّ بن هشام في يومٍ احتجمتْ فيه مِخنَقةً[١] في وسطها حبّةٌ لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبَّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمرّدات وما بينها من شُذُور الذهب، وباقي المِخنَقة قد طُيِّب بغاليةٍ.

حبها البنفسج:

وأخبرني قال: كانت متيّمُ يُعجِبها البَنَفسج جداً، وكان عندها آثرَ من كلّ رَيحان وطِيبٍ، حتى إنها من شدّة إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمِّها الرّيحان ولا تراه إلا كما قُطِف من البستان.

وقد أخبرني رحمه الله قال حدّثنا أبو جعفر بن الدِّهقانة:

أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيّمُ وإبراهيمُ بن المهديّ وبَذْلُ: يا سيّدي، أظن أنّ في الجنَّة عُرساً، فطلبوا هؤلاء اليه. فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأنكَره. فلما كان بعد أيام، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة فاحترق كلُّ ما تَملِكه. وسمِع المعتصمُ الجَلَبة فقال: ما هذا؟ فأُخبِر عنه؛ فدعا بها فقال: ما قصّتُك؟ فبكت وقالت: يا سيّدي، احترق كلُّ ما أملِكه. فقال: لا تَجزَعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس.

---

(١) المخنقة: القلادة.

قدرتها على الاجازة الشعرية :

وقد ذكرتُ في متقدّم أخبار متيّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدّيناريّ قال حدّثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدّثني أبي قال :

قال المأمون لمتيّم جارية عليّ بن هشام : أجيزي لي هذين البيتين :

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ملاحَظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ إليك إشاراتٌ بها وزَفيرُ

صوت

من المائة المختارة

إنّ العيون التي في طَرْفها مرض قَتَلْنَنا ثم لم يُحيِين قتلانا
يَصرعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَراك له وهنّ أضعفُ خلق الله أركانا

عروضه من البسيط . والشعر لجرير . والغِناء لابن مُحرِز . ولحنه المختار من القدر الأوْسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ أُخر تُغنّى فيها ألحانٌ سوى هذا اللحن، منها قوله :

صوت

من المائة المختارة

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا
إن العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا

الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ أولُ مطلَق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها أيضاً :

صوت

بان الأخِلّا وما ودّعتُ مَن بانَا   وقطّعوا من حبال الوصل أركانَا
أصبحتُ لا أبتغي من بعدهم بَدَلا   بالدار داراً ولا الجيران جيرانا
وصرتُ مذ ودّع الأظعانُ ذا طَرَبٍ(١)   مروَّعاً من حِذار البين مِحزانا

في الاول والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ رمل بالبنصر . وفيها للغَريض ثاني ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشاميّ . وذكر حبش أن فيه لمالك خفيفَ رملٍ بالوسطى، ولابن سرجس في الاول والثاني وبعدهما :

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِق

رملٌ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أن لابن محرز في الاول والثاني بعدهما « أتبعتُهم مقلة » لحناً من الثقيل الاول بالبنصر، وذكر المكيّ أنه لمعبد .

(١) الطرب هنا : الحزن .

فهرس

المجلد السابع من كتاب الأغاني

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** – ميدان السور – بيروت

مصر والسودان	:	**شركة توزيع الاخبار**	– ميدان التحرير	القاهرة
مصر والسودان	:	**مكتبة الخانجي**	– شارع عبد العزيز	القاهرة
العراق	:	**مكتبة المثنى**	– قاسم الرجب	بغداد
افريقيا الشمالية	:	**دار الكتب**	– الدار البيضاء	مراكش
الكويت	:	**مكتبة الطلبة**	– عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	:	**المكتبة الوطنية**	– ابراهيم محمد	البحرين
المملكة السعودية العربية	:	**مكتبة الثقافة**	– مكة المكرمة	المملكة السعودية
فرنسا	:	**المكتبة الشرقية**	– باريس	

ولنا وكلاء في كافة البلاد العربية – وفي اوربا – وفي الاميريكتين .

بدل الاشتراك

٣٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها بدل اشتراك ٢٤ جزءاً (يضاف اليها اجور البريد للخارج)

يراجع بخصوص الاشتراكات **الناشر**

دار الثقافة ص . ب ٥٤٣ – تلفون ٣٠٥٦١ – بيروت

وعموم الوكلاء

اطلب المجلدات الاولى لأنها اصبحت محدودة جداً . المجلد الاول نافد

ثمن المجلد **٥٥٠** غ . ل او ما يعادلها : غلاف عادي

« « **٧٥٠** غ . ل او ما يعادلها : تجليد لف قماش ومبصوم بالذهب